عقيدة المسلم

في ضوء الكتاب والسُّـنَّة

المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

الجزء الثاني

الرسالة الثامنة: نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة

التمهيد

لا شك أن الإخلاص سبب للنصر، والنجاة من عذاب الله، ورفع المنزلة في الدنيا والآخرة، والفوز بحب الله، ثم حب أهل السموات والأرض للمخلص، وهذا في الحقيقة نور يقذفه الله في قلب من شاء من عباده: ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ (1).

وإرادة الدنيا بعمل الآخرة، ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض؛ لأن ذلك يُنافي كمال التوحيد، ويُحبط العمل الذي قارنه، قال الله ﷻ: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (2).

وسأبين ذلك بالتفصيل في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: نور الإخلاص

المطلب الأول: مفهوم الإخلاص

الإخلاص في اللغة: خَلَص يخلص خلوصًا: صفا وزال عنه شوبه، ويقال: خلص من ورطته: سلم منها، ونجا، ويقال: خلَّصه تخليصًا: أي نجّاه. والإخلاص في الطاعة: ترك الرياء(3).

وحقيقة الإخلاص:هو أن يريد العبد بعمله التقرب إلى الله تعالى وحده.

وقد ذكر أهل العلم تعريفات بعضها قريب من بعض:

فقيل: **الإخلاص:** إفراد الحق - سبحانه - بالقصد في الطاعة.

وقيل: **الإخلاص:** استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعْمَرَ من ظاهره.

---

(1) سورة النور، الآية: 40.
(2) سورة هود، الآيتان: 15- 16
(3) المعجم الوسيط، 249/1، ومختار الصحاح، ص77.

وقيل: تصفية العمل من كل ما يشوبه[1].

وعلى ما تقدّم: يتّضح أن **الإخلاص:** صرف العمل والتقرّب به إلى الله وحده، لا رياءً ولا سمعةً، ولا طلبًا للعَرَض الزائل، ولا تصنّعًا، وإنما يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه.

ولهذا قال القاضي عياض: ((تَرْك العمل من أجل الناس رياءٌ، والعملُ من أجل الناس شركٌ، والإخلاصُ أن يعافيَكَ الله منهما))[2].

والإخلاص: في حياة المسلم أن يَقصد بعمله، وقوله، وسائر تصرفاته، وتوجيهاته وتعليمه وجه الله تعالى وحده لا شريك له ولا رب سواه.

المطلب الثاني: أهمية الإخلاص

لقد خلق الله الخلق: الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، وأمر جميع المكلفين بالإخلاص:**﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ *، أَلا لله الدِّينُ الْخَالِصُ﴾**[4] ، **﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**[5]، **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**[6].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصُهُ وأصوَبُهُ. قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: ((إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[7]. ثم قرأ قوله تعالى: **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ**

---

(1) مدارج السالكين، لابن القيم، 91/2.
(2) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، 91/2.
(3) سورة البينة، الآية: 5.
(4) سورة الزمر، الآيتان: 2- 3.
(5) سورة الأنعام، الآيتان: 162- 163.
(6) سورة الملك، الآية: 2.
(7) مدارج السالكين، لابن القيم، 89/2.

فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[1]، وقال تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ)** [2]. فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسول الله ﷺ وسنته[3].

وقد ثبت في الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال ﷺ: ((**ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تُحيط من ورائهم**))[4].

والإخلاص هو روح عمل المسلم، وأهم صفاته، فبدونه يكون جهده وعمله هباءً منثورًا.

والإخلاص من أهم أعمال القلوب باتفاق أئمة الإسلام، ولاشك أن أعمال القلوب هي الأصل: لمحبة الله ورسوله، والتوكل عليه، والإخلاص له، والخوف منه، والرجاء له، وأعمال الجوارح تَبَعٌ؛ فإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح مات، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح.

فيجب على المسلم أن يكون مخلصًا لله ﷻ لا يريد رياءً ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا مدحهم وحمدهم، إنما يعمل الصالحات، ويدعو إلى الله يريد وجهه - تعالى - كما قال سبحانه: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ ﴾**[5]، وقال سبحانه: **﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى الله ﴾** [6].

[6].

والإخلاص أعظم الصفات التي تجب على جميع المسلمين، فيريدون بدعوتهم وعملهم وجه الله والدار الآخرة، ويريدون

---

(1) سورة الكهف، الآية: 110.
(2) سورة النساء، الآية: 125.
(3) مدارج السالكين، لابن القيم، 90/2.
(4) أخرجه الترمذي، في كتاب العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، 34/5، برقم 2658 من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وأخرجه أحمد، 183/5 من حديث زيد بن ثابت ﷺ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، 78/1.
(5) سورة يوسف، الآية: 108.
(6) سورة فصلت، الآية: 33.

إصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور[1].

المطلب الثالث: مكانة النية الصالحة وثمراتها

النية: أساس العمل وقاعدته، ورأس الأمر وعموده، وأصله الذي عليه بُنِيَ؛ لأنها روح العمل، وقائده، وسائقه، والعمل تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، وبها يحصل التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة[2]؛ ولهذا قال النبي ﷺ: ((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**...)) [3].

وقال الله تعالى: ﴿**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [4].

وهذا يدل على أهمية ومكانة النية، وأن الدعاة إلى الله وغيرهم من المسلمين بحاجة إلى إصلاح النية، فإذا صلحت أُعطي العبد الأجر الكبير، والثواب العظيم، ولو لم يعمل إنما نوى نية صادقة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: ((**إذا مرض العبد أو سافر كُتِب له مثلُ ما كان يعمل مقيمًا صحيحا**))[5]، وقال ﷺ: ((**ما من امرئ تكون له صلاة بليل فيغلبه عليها نوم إلا كُتبَ له أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة**)) [6].

وقال ﷺ: ((**من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلى وحضر، لا**

---

(1) انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز، 349/1 و229/4.
(2) انظر: النية وأثرها في الأحكام الشرعية للدكتور صالح بن غانم السدلان، 151/1.
(3) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ: البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسوله ﷺ، 9/1، برقم 1. ومسلم، كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: ((إنما الأعمال بالنية))، 1515/3، برقم 1907.
(4) سورة النساء، الآية: 114.
(5) البخاري،كتاب الجهاد والسير،بابٌ:يكتب للمسافر ما كان يعمل في الإقامة،200/4،برقم 2996.
(6) أبو داود، كتاب الصلاة، باب من نوى القيام فنام، 24/2، برقم 1314. والنسائي، كتاب قيام الليل، وتطوع النهار، باب من كان له صلاة بليل فغلبه عليها نوم، 275/3، برقم 1784. وصححه الألباني في إرواء الغليل، 204/2، وصحيح الجامع، 160/5 برقم 5567.

ينقص ذلك من أجره شيئًا)) [1].

وقال ﷺ: ((**من سأل الله الشهادة بصدقٍ بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**)) [2].

وهذا يدل على فضل الله ﷻ، وإحسانه إلى عباده؛ ولهذا قال النبي ﷺ في غزوة تبوك: ((**لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سِرتم مسيرًا ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه**))، قالوا: يا رسول الله كيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ فقال: ((**حَبَسهُمُ العذر**)) [3].

وبالنية الصالحة يضاعف الله الأعمال اليسيرة؛ ولهذا قال النبي ﷺ لرجل جاء إليه مقنع بالحديد، فقال يا رسول الله: أقاتل أو أسلم؟ فقال ﷺ: ((**أسلم ثم قاتل**))، فأسلم ثم قاتل فَقُتِل، فقال رسول الله ﷺ: ((**عمل قليلاً وأجر كثيرًا**)) [4].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فدخل في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ يعلمه الإسلام وهو في مسيره، فدخل خُفّ بعيره في جحر يربوع فوقصه بعيره فمات، فقال رسول الله ﷺ: ((**عمل قليلاً وأجر كثيرًا**)) قالها حماد ثلاثًا[5].

وبالنية الصالحة يُبارك الله في الأعمال المباحة، فيثاب عليها العبد؛ ولهذا قال النبي ﷺ: ((**إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة**)) [6]، وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((**إنك لن تُنفق نفقةً**

---

(1) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فيمن خرج يريد الصلاة فسبق بها، 154/1، برقم 564. والنسائي، كتاب الإمامة، باب حد إدراك الجماعة، 111/2، برقم 855. وقال ابن حجر في فتح الباري: ((إسناده قوي))، 137/6.

(2) مسلم، كتاب الإمارة،باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، 1517/3، برقم 1909.

(3) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو، 280/3، برقم 2839، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب الرخصة في القعود من العذر، 12/3، برقم 2058، واللفظ له.

(4) متفق عليه من حديث البراء رضي الله عنه: البخاري، كتاب الجهاد والسير، بابٌ: عمل صالح قبل الجهاد، 271/3، برقم 2808، واللفظ له. ومسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، 1509/3، برقم 1900.

(5) مسند الإمام أحمد، 4/ 357.

(6) متفق عليه من حديث أبي مسعود رضي الله عنه: البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال

تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعلُ في في امرأتك))[1].

وقال النبي ﷺ: ((**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويَصِلُ فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلانٍ، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا، فهو بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء**))[2].

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: ((**إن الله ﷻ كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك،فمن همّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة...**))[3].

المطلب الرابع: ثمار الإخلاص وفوائده

الإخلاص له ثمرات حميدة وفوائد جليلة عظيمة، منها ما يأتي:

أولاً: خير الدنيا والآخرة من فضائل الإخلاص وثمراته.

ثانياً: الإخلاص هو السبب الأعظم في قبول الأعمال مع متابعة النبي ﷺ.

ثالثاً: الإخلاص يُثمر محبة الله للعبد، ثم محبة الملائكة، ووضع القبول في الأرض.

رابعاً: الإخلاص أساس العمل، وروحه.

خامساً: يُثمر الأجر الكبير والثواب العظيم بالعمل اليسير،والدعاء القليل.

الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، 24/1، برقم 55. ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، والزوج، والأولاد، 625/2، برقم 1002.

(1)متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية، 24/1، برقم 56. ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، 1250/3، برقم 1628.

(2)الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، 562/4، برقم 2325، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب النية، برقم 4228، وأحمد، 130/4، وصححه الألباني، في صحيح الترمذي، 270/2.

(3)متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الرقاق، باب من همّ بحسنة أو سيئة، 239/7، برقم 6491، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت له وإذا همّ بسيئة لم تكتب، 117/1، برقم 131.

سادساً: يُكتب لصاحب الإخلاص كل عمل يقصد به وجه الله، ولو كان مباحًا.
سابعاً: يُكتب لصاحب الإخلاص ما نوى من العمل ولو لم يعمله.
ثامناً: إذا نام أو نسي كُتب له عمله الذي كان يعمله.
تاسعاً: إذا مرض العبد أو سافر كُتب له بإخلاصه ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا.
عاشراً: ينصر الله الأمة بالإخلاص.
الحادي عشر: الإخلاص يُثمر النجاة من عذاب الآخرة.
الثاني عشر: تفريج كروب الدنيا والآخرة من ثمرات الإخلاص.
الثالث عشر: رفع المنزلة في الآخرة يحصل بالإخلاص.
الرابع عشر: الإنقاذ من الضلال.
الخامس عشر: الإخلاص سبب لزيادة الهدى.
السادس عشر: الصِّيت الطيب عند الناس من ثمار الإخلاص.
السابع عشر: طمأنينة القلب والشعور بالسعادة.
الثامن عشر: تزيين الإيمان في النفس.
التاسع عشر: التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص.
العشرون: حسن الخاتمة.
الحادي والعشرون: استجابة الدعاء.
الثاني والعشرون: النعيم في القبر والتبشير بالسرور.
الثالث والعشرون: دخول الجنة والنجاة من النار.
وهذه الثمرات والفوائد أدلتها كثيرة من الكتاب والسنة[1].

فأسأل الله لي ولإخواني المسلمين الإخلاص في القول والعمل.

المبحث الثاني: ظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة

المطلب الأول: خطر إرادة الدنيا بعمل الآخرة

من الخطر العظيم أن يعمل الإنسان عملاً صالحًا يريد به عرضًا من الدنيا، وهذا شِرْكٌ يُنافي كمال التوحيد الواجب، ويُحبط العمل، وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا

---

(1) يدل على ذلك ما تقدم في المطلبين السابقين، وانظر: كتاب الإخلاص لحسين العوايشة، ص64.

يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا.

والفرق بين الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا: هو أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً، يجتمعان في أن الإنسان إذا أراد بعمله التزين عند الناس؛ ليروه ويعظّموه، ويمدحوه، فهذا رياء، وهو أيضًا إرادة للدنيا؛ لأنه تصنّع عند الناس، وطلب الإكرام منهم والمدح والثناء.

أما العمل للدنيا فهو أن يعمل الإنسان عملاً صالحًا لا يقصد به الرياء للناس، وإنما يقصد به عرضًا من الدنيا: كمن يحجّ عن غيره؛ ليأخذ مالاً، أو يجاهد للمغنم، أو غير ذلك، فالمرائي عمل لأجل المدح والثناء من الناس، والعامل للدنيا يعمل العمل الصالح يريد به عرض الدنيا، وكلاهما خاسر، نعوذ بالله من مُوجبات غضبه، وأليم عقابه[1].

وقد جاءت النصوص تدل على خسران صاحب هذا العمل في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**[2].

وقال ﷻ: **﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾** [3].

وقال تعالى: **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾**[4].

وقال ﷻ: **﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾** [5].

---

(1) انظر: فتح المجيد، ص442، وتيسير العزيز الحميد، ص534.
(2) سورة هود، الآية: 16.
(3)سورة الإسراء، الآية: 17.
(4)سورة الشورى، الآية: 20.
(5)سورة البقرة، الآية: 200.

وقال النبي ﷺ: ((**من تعلم علمًا ما يُبتغى به وجه الله ﷻ لا يتعلمُهُ إلا ليُصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة**)) يعني ريحها[1].

وعن جابر رضي الله عنه يرفعه: ((**لا تعلَّموا العلم لتُباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتخيّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار**)) [2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((**لا تعلَّموا العلم لثلاث: لتُماروا به السفهاء، وتُجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عند الله؛ فإنه يدوم ويبقى، وينفد ما سواه**)) [3].

ولهذا تَكَفَّل الله بالسعادة لمن عمل لله، فعن أنس يرفعه: ((**من كانت الآخرة همّهُ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدِّرَ له**)) [4].

المطلب الثاني: أنواع العمل للدنيا

العمل للدنيا أنواع متعددة، وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى أنه جاء عن السلف في ذلك أربعة أنواع:

النوع الأول: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله تعالى: من صدقةٍ، وصلاةٍ، وإحسانٍ إلى الناس، وردِّ ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصًا لله تعالى؛ لكنه لا

---

(1)أبو داود،كتاب العلم،باب:في طلب العلم لغير الله،323/3،برقم 3664،وابن ماجه،في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم، 93/1، برقم 252،وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه،48/1.

(2)ابن ماجه 93/1، في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، 93/1، برقم 254، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، 48/1، وصحيح الترغيب للألباني، 46/1، وفي الموضعين أحاديث أخرى.

(3)الدرامي، 70/1 موقوفًا، وابن ماجه عن أبي هريرة، في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، 96/1، برقم 260، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، 48/1، وصحيح الترغيب والترهيب، 48/1.

(4)الترمذي، كتاب صفة القيامة، بابٌ: حدثنا قتيبة، 642/4، برقم 2465، وابن ماجه بنحوه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، كتاب الزهد، 1375/2، برقم 4105، وصححه الألباني في صحيح الجامع، 351/5، والأحاديث الصحيحة، 950.

يريد ثوابه في الآخرة، وإنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله، وتنميته، أو حفظه أهله وعياله، أو إدامة النعم عليه وعليهم، ولا همّة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة. وهو ما ذكر عن مجاهد رحمه الله تعالى.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً، مثل أن يحج عن غيره لمال يأخذه، ولا يقصد بذلك وجه الله ولا الدار الآخرة، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو يجاهد لأجل المغنم، أو يتعلّم العلم ليحصل على الشهادة وعلى الجاه، ولا يقصد بذلك وجه الله مطلقًا، أو يتعلّم القرآن، ويواظب على الصلاة؛ لأجل وظيفة المسجد، أو غيره من الوظائف الدينية، ولا يريد بذلك ثوابًا مطلقًا.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يُكفِّره كفرًا يخرجه عن الإسلام، كمن يأتي بناقض من نواقض الإسلام. ذُكِرَ ذلك عن أنس رضي الله عنه وغيره[1].

فليحذر المسلم مما يحبط عمله، ويعرّضه لسخط الله وغضبه، وليحذر جميع المسلمين من هذه الأنواع الفاسدة، نعوذ بالله منها.

المطلب الثالث: خطر الرياء وآثاره

الرياء خطره عظيم جدًّا على الفرد والمجتمع والأمة؛ لأنه يُحبط العمل والعياذ بالله ويظهر خطره في الأمور الآتية:

أولاً: الرياء أخطر على المسلمين من المسيح الدجال: قال النبي ﷺ: ((**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟: الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل**)) [2].

---

(1) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص444، وتسير العزيز الحميد، ص536، والقول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي، ص126.

(2) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: الرياء والسمعة، 1406/2، برقم 4204، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، 410/2.

ثانياً: الرياء أشدّ فتكًا من الذئب في الغنم،قال النبي ﷺ:((**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسدَ من حرص المرء على المال والشرف لدينه**)) (1).

وهذا مثل ضربه رسول الله ﷺ بيّن فيه أن الدين يفسد بالحرص على المال، وذلك بأن يشغله عن طاعة الله، وبالحرص على الشرف في الدنيا بالدين، وذلك إذا قصد الرياء والسمعة.

ثالثاً: خطورة الرياء على الأعمال الصالحة خطر عظيم؛ لأنه يذهب بركتها، ويُبطلها والعياذ بالله: ﴿**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (2).

هذه هي آثار الرياء تمحق العمل الصالح محقًا في وقت لا يملك صاحبه قوة ولا عونًا، ولا يستطيع لذلك ردًّا.

قال تعالى: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (3).

فهذا العمل الصالح أصله كالبستان العظيم كثير الثمار، فهل هناك أحد يحب أن تكون له هذه الثمار والبستان العظيم، ثم يرسل عليها الرياء فيمحقها محقًا، وهو في أشدِّ الحاجة إليها!!

ولهذا قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: ((**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عَمِلَ عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**)) (4).

وفي الحديث: ((**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عَمَلٍ عَمِلَهُ لله أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير الله؛ فإن الله أغنى الشركاء عن**

---

(1)الترمذي، كتاب الزهد، بابٌ: حدثنا سويد، برقم 2376، 588/4، وأحمد، 456/3، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 280/2.
(2) سورة البقرة، الآية: 264.
(3) سورة البقرة، الآية: 266.
(4)مسلم، كتاب الزهد، باب: من أشرك في عمله غير الله، 2289/4، برقم 2985.

الشرك)) [1].

رابعاً: يسبب عذاب الآخرة؛ ولهذا أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة: قارئ القرآن،والمجاهد،والمتصدّق بماله،الذين فعلوا ذلك ليُقال: فلانٌ قارئ، فلانٌ شجاعٌ، فلانٌ كريم متصدّق.ولم تكن أعمالهم خالصة لله تعالى[2].

خامساً: الرياء يُورث الذلّ والصّغار والهوان والفضيحة، قال النبي ﷺ: ((**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائي يُرائي الله به**)) [3].

سادساً: الرياء يحرم ثواب الآخرة، قال النبي ﷺ: ((**بشر هذه الأمة بالسناء**[4] **والدين، والرفعة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**)) [5].

سابعاً: الرياء سبب في هزيمة الأمة، قال النبي ﷺ: ((**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم**)) [6]، وهذا يبيّن أن الإخلاص لله سبب في نصر الأمة على أعدائها، وأن الرياء سبب في هزيمة الأمة!

ثامناً: الرياء يزيد الضلال، قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا**

---

(1) الترمذي، كتاب تفسير القرآن،بابٌ:ومن سورة الكهف،314/5،برقم 3154،من حديث أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري ﷺ،وابن ماجه،كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، 1406/2، برقم 4203،وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،18/1،وفي صحيح الترمذي، 74/3.

(2) انظر: الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، 1514/3، برقم 1905.

(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، 242/7، برقم 6499. ومسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، 2289/4، برقم 2986.

(4) معناه: ارتفاع المنزلة؛ لأن السناء هو الرفعة. انظر: المصباح المنير، 293/1.

(5) مسند أحمد، 134/5، والحاكم، 418/4، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، 15/1.

(6) رواه النسائي بلفظه، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، 45/6، برقم 3178، وأصله في صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، 296/3، برقم 2896، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، 6/1.

يَكْذِبُونَ ﴾ [1].

المطلب الرابع: أنواع الرياء ودقائقه

أبواب الرياء كثيرة نعوذ بالله من ذلك وهذه الأنواع على النحو الآتي:

أولاً: أن يكون مراد العبد غير الله،ويريد ويحب أن يعرف الناس أنه يفعل ذلك،ولا يقصد الإخلاص مطلقًا،نعوذ بالله من ذلك،فهذا نوع من النفاق.

ثانياً: أن يكون قصد العبد ومراده لله تعالى، فإذا اطّلع عليه الناس نشط في العبادة وزيّنها، وهذا شرك السرائر، قال النبي ﷺ: ((**يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر**))، قالوا: يا رسول الله: وما شرك السرائر؟ قال: ((**يقوم الرجل فيصلّي فيُزيِّن صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شِرْك السرائر**))[2].

ثالثاً: أن يدخل العبد في العبادة لله، ويخرج منها لله، فَعُرِفَ بذلك ومُدِح، فسكن قلبه إلى ذلك المدح، ومنّى النفس بأن يحمدوه ويمجِّدوه، وينال ما يريده من الدنيا، وهذا السرور والرغبة في الازدياد منه، والحصول على مطلوبه يدل على رياء خفي.

رابعاً: وهناك رياء بدني: كمن يظهر الصّفار والنّحول، ليُرِيَ الناس بذلك أنه صاحب عبادة قد غلب عليه خوف الآخرة.

وقد يكون الرياء بخفض الصوت، وذبول الشفتين؛ ليدل الناس على أنه صائم.

خامساً: رياء من جهة اللّباس أو الزي: كمن يلبس ثيابًا مرقعة؛ ليقول الناس إنه زاهد في الدنيا، أو من يلبس لباسًا معيَّنًا يرتديه ويلبسه طائفة من الناس يَعدُّهم الناس علماء، فيلبس هذا اللباس ليقال عالم.

سادساً: الرياء بالقول: وهو على الغالب رياء أهل الدين بالوعظ والتذكير، وحفظ الأخبار والآثار؛ لأجل المحاورة، والمجادلة، والمناظرة، وإظهار غزارة العلم.

---

(1) سورة البقرة، الآيتان: 9-10.
(2) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، 67/2، برقم 937، وأخرجه البيهقي في السنن، 291/2، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 7/1.

سابعاً: الرياء بالعمل: كمراءاة المصلّي بطول الصلاة والركوع والسجود، وإظهار الخشوع، والمراءاة في الصوم والحجّ والصدقة.

ثامناً: الرياء بالأصحاب والزائرين: كالذي يكلّف أن يستزير عالمًا؛ ليقال إن فلانًا قد زار فلانًا، ودعوة الناس لزيارته كي يُقال: إن أهل الدين يتردّدون عليه.

تاسعاً: الرياء بذمّ النفس بين الناس: ويريد بذلك أن يُرِيَ الناس أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء.

عاشراً: ومن دقائق الرياء وخفاياه: أن يخفي العامل طاعته بحيث لا يريد أن يطّلع عليها أحدٌ، ولا يُسرّ بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدءوه بالسلام، وأن يُقابلوه بالبشاشة والتوقير، وأن يُثنوا عليه، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه، وأن يُسامحوه في البيع والشراء، فإن لم يجد ذلك وجد ألمًا في نفسه، كأنه يتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها.

الحادي عشر: ومن دقائق الرياء أن يجعل الإخلاص وسيلة لما يريد من المطالب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((حُكِيَ أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يومًا تفجَّرت الحكمة من قلبه على لسانه. قال: فأخلصت أربعين يومًا، فلم يتفجَّر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين، فقال لي: إنك أخلصت للحكمة، لم تُخلص لله))[1]، وذلك أن الإنسان قد يكون مقصوده نيل الحلم والحكمة، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم له، أو غير ذلك من المطالب. وهذا لم يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه؛ وإنما حصل هذا العمل لنيل ذلك المطلوب.

المطلب الخامس: أقسام الرياء وأثره على العمل

الرياء أعاذنا الله منه أقسام ودركات، ينبغي لكل مسلم أن يعرف هذه الأقسام؛ ليهرب منها وهي على النحو الآتي:

أولاً: أن يكون العمل رياء محضًا، ولا يُراد به إلا مراءاة المخلوقين، كحال المنافقين: ﴿**وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ**

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، 66/6، ومنهاج القاصدين، ص214-221، والإخلاص للعوايشة، ص24، والإخلاص والشرك الأصغر للدكتور عبد العزيز بن عبداللطيف، ص9، والرياء لسليم الهلالي، ص17.

يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [1]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة، وهذا العمل لا شك في بطلانه، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة، والعياذ بالله.

ثانياً: أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء من أصله - أي من أوّله إلى آخره - فالنصوص الصحيحة تدل على بُطلانه وحُبوطه أيضًا.

ثالثاً: أن يكون أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء أثناء العبادة، فهذه العبادة لا تخلو من حالين:

1- أن لا يرتبط أوّل العبادة بآخرها، فأولها صحيح بكل حال، وآخرها باطل. مثل ذلك: إنسان عنده عشرون ريالاً يريد أن يتصدّق بها، فتصدق بعشرة خالصة لله، ثم طرأ عليه الرياء في العشرة الباقية، فالصدقة الأولى صحيحة مقبولة، والثانية صدقة باطلة لاختلاط الرياء فيها بالإخلاص.

2- أن يرتبط أوّل العبادة بآخرها، فلا يخلو الإنسان حينئذ من أمرين:

الأمر الأول: أن يكون هذا الرياء خاطرًا، ثم دفعه الإنسان ولم يسكن إليه، وأعرض عنه وكرهه، فإنه لا يضرّه بغير خلاف؛ لقول النبي ﷺ: ((**إن الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلّموا أو يعملوا**)) [2].

الأمر الثاني: أن يسترسل معه الرياء ويطمئن إليه، ولا يُدافعه ويُحبّه، فتبطل جميع العبادة على الصحيح؛ لأن أولها مرتبط بآخرها، مثال ذلك من ابتدأ الصلاة مخلصًا بها لله تعالى، ثم طرأ عليه الرياء في الركعة الثانية واسترسل معه إلى نهاية صلاته، ولم يُدافعه، فتبطل الصلاة كلها لارتباط أولها بآخرها[3].

رابعاً: أن يكون الرياء بعد الانتهاء من العبادة[4].

---

(1) سورة النساء، الآية: 142.

(2) مسلم، كتاب الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، 116/1، برقم 127.

(3) انظر: هذه الأقسام بالتفصيل في جامع العلوم والحكم لابن رجب، 79/1-84، وفتح المجيد، ص438، وفتاوى ابن عثيمين، 29/2.

(4) انظر: فتاوى ابن عثيمين، 30/2.

وأما إذا عمل المسلم العمل لله خالصًا، ثم ألقى الله الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك لم يضرَّه ذلك، فقد سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يعمل العمل لله من الخير، ثم يحمدهُ الناس عليه، فقال: ((**تلك عاجل بُشرَى المؤمن**)) [1].

المطلب السادس: أسباب الرياء ودوافعه

أصل الرياء حبّ الجاه والمنزلة، ومن غلب على قلبه حُبّ هذا صار مقصور الـهَمِّ على مراعاة الخلق، مشغوفًا بالتردّد إليهم، والمراءاة لهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله وتصرّفاته ملتفتًا إلى كل ما يعظّم منزلته عند الناس، وهذا أصل الداء والبلاء؛ فإن من رغب في ذلك احتاج إلى الرياء في العبادات، واقتحام المحظورات.

وهذا باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله، العارفون به، المحبون له.

وإذا فُصِّل هذا السبب والمرض الفتاك رجع إلى ثلاثة أصول:

أولاً: حب لدّة الحمد والثناء والمدح.

ثانياً: الفرار من الذمّ.

ثالثاً: الطمع فيما في أيدي الناس[2].

ويشهد لهذا ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً فأيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال ﷺ: ((**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**))[3].

فقوله ﷺ :((**يقاتل شجاعة**)) أي ليُذكر،ويُشكر، ويُمدح، ويُثنى عليه.

وقوله ﷺ: ((**يقاتل حمية**)) أي يأنف أن يُغلب ويُقهر أو يُذمّ.

وقوله ﷺ: ((**يقاتل رياءً**)) أي ليُرى مكانه، وهذا هو لدّة الجاه والمنزلة في القلوب.

---

(1) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، 2034/4، برقم 2642.

(2) انظر: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، ص221-222.

(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، 272/3، برقم 2810، ومسلم، كتاب الصلاة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، 1512/3، برقم 1904.

وقد يرغب الإنسان في المدح ولكنه يحذر من الذمّ كالجبان بين الشجعان، فإنه يثبت ولا يفرّ؛ لئلا يذمّ، وقد يُفتي الإنسان بغير علم حذرًا من الذم بالجهل، فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرّك إلى الرياء وتدعو إليه فاحذرها!

المطلب السابع: طرق تحصيل الإخلاص وعلاج الرياء

قد عُرِفَ أن الرياء مُحبط للعمل، وسبب لغضب الله ومقته، وأنه من المهلكات، وأشدّ خطرًا على المسلم من المسيح الدجال.

ومَن هذه حاله فهو جدير بالتشمير عن ساق الجدّ في إزالته وعلاجه، وقطع عروقه وأصوله. ومن هذا العلاج الذي يُزيل الرياء ويُحصِّل الإخلاص بإذن الله تعالى ما يأتي:

أولاً: معرفة أنواع العمل للدنيا، وأنواع الرياء، وأقسامه، ودوافعه، وأسبابه ثم قطعها وقلع عروقها، وتقدّمت هذه الدوافع والأسباب.

ثانياً: معرفة عظمة الله تعالى، بمعرفة: أسمائه، وصفاته، وأفعاله معرفةً صحيحةً مبنية على فهم الكتاب والسنة، على مذهب أهل السنة والجماعة؛ فإن العبد إذا عرف أن الله وحده هو الذي ينفع ويضرّ، ويُعزّ ويّذلّ، ويخفض ويرفع، ويّعطي ويمنع، ويُحيي ويُميت، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، إذا عرف ذلك، وعلم بأن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فسيُثمرُ ذلك إخلاصًا وصدقًا مع الله، فلابد من معرفة أنواع التوحيد كلّها معرفةً صحيحة سليمة.

ثالثاً: معرفة ما أعدّه الله في الدار الآخرة من نعيم وعذاب، وأهوال الموت، وعذاب القبر؛ فإن العبد إذا عرف ذلك وكان عاقلاً هرب من الرياء إلى الإخلاص.

رابعاً: الخوف من خطر العمل للدنيا والرياء المحبط للعمل؛ فإن من خاف أمرًا بقي حَذِرًا منه فينجو؛ومن خاف أدلج،ومن أدلج بلغ المنزلة.

فينبغي للمرء، بل يجب عليه، إذا هاجت رغبته إلى آفة حبّ الحمد والمدح أن يُذكّرَ نفسه بآفات الرياء، والتعرّض لمقت الله، ومن عرف فقر الناس وضعفهم استراح كما قال بعض السلف: ((جاهد نفسك في دفع أسباب الرياء عنك،واحرص أن يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان، فلا تفرِّق في عبادتك بين وجودهم

وعدمهم، وعلمهم بها أو غفلتهم عنها، واقْنَعْ بعلم الله وحده))[1].

وبالله وحده، ثم بالخوف من حُبوط العمل نجا أهل العلم والإيمان من الرياء وحبوط العمل، فعن محمد بن لبيد ﷺ يرفعه إلى النبي ﷺ: ((**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**))، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: ((**الرياء، يقول الله ﷻ لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**))[2].

ولهذا الخطر العظيم خاف الصحابة والتابعون وأهل العلم والإيمان من هذا البلاء الخطير، ومن ذلك الأمثلة الآتية:

1- قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾[3]، قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله: أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: ((**لا يا بنت أبي بكر (أو يا بنت الصدّيق) ولكنه الرجل يصوم، ويتصدّق، ويصلّي وهو يخاف ألا يُتقبَّل منه**))[4].

2- قال ابن أبي مُليكة: ((أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلُّهم يخاف النفاق على نفسه، وما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل))[5].

3- وقال إبراهيم التيميّ: ((ما عرضتُ قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مُكذِّبًا))[6].

4- ويُذكر عن الحسن أنه قال: ((ما خافه إلا مؤمن، ولا أمِنه إلا منافق))[7].

---

(1) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر، ص15.
(2) أحمد في المسند، 428/5، وصححه الألباني في صحيح الجامع، 45/2.
(3) سورة المؤمنون، الآية: 60.
(4) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: التوقي في العمل، 1404/2، برقم 4198، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، بابٌ: ومن سورة ((المؤمنون))، 327/5، برقم 3175، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 162، وفي صحيح ابن ماجه، 409/2.
(5) البخاري معلقًا مجزومًا به،قال ابن حجر:وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه. انظر: فتح الباري، 110/1.
(6) البخاري مع الفتح معلقًا ومجزومًا به. قال ابن حجر: وصله المصنف في التاريخ. انظر: فتح الباري، 110/1.
(7) البخاري مع الفتح، وقال ابن حجر: وصله جعفر الفريابي في كتاب صفة المنافقين، وصححه. انظر: الفتح، 111/1.

5- وقال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: ((نشدتك بالله هل سمّاني لك رسول الله ﷺ منهم - يعني من المنافقين - قال: لا. ولا أُزَكّي بعدك أحدًا))[1].

6- ويُذكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: ((اللهمّ إني أعوذ بك من خشوع النفاق))، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: ((أن ترى البدن خاشعًا والقلب ليس بخاشع))[2].

7- ويُذكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: ((لئن أستيقن أن الله تقبَّل لي صلاة واحدة أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [3].

8- وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: ((أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، يُسأل أحدهم عن المسألة، ما منهم رجل إلا ودَّ أن أخاه كفاه)) [4].

خامساً: الفرار من ذم الله؛ فإن من أسباب الرياء الفرار من ذم الناس، ولكن العاقل يعلم أن الفرار من ذم الله أولى؛ لأن ذمه شين، كما قال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن مدحي زينٌ، وذمّي شينٌ. فقال ﷺ ((**ذاك الله**))[5].

ولا شكّ أن العبد إذا خاف الناس وأرضاهم بسخط الله سخط الله عليه، وغضب وأسخط الناس عليه. فهل أنت تخشى غضب الناس؟ فالله أحق أن تخشاه إن كنت صادقًا.

سادساً: معرفة ما يفرّ منه الشيطان؛ لأن الشيطان منبع الرياء، وأصل البلاء، والشيطان يفرّ من أمور كثيرة، منها: الأذان، وقراءة القرآن، وسجود التلاوة، والاستعاذة بالله منه، والتسمية عند الخروج من البيت والدخول في المسجد مع الذكر المشروع في ذلك، والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات،

---

(1) ابن كثير بنحوه، في البداية والنهاية، 19/5، وانظر: صفات المنافقين لابن القيم، ص36.

(2) ذكره ابن القيم في صفات المنافقين، ص36.

(3) ذكره ابن كثير في تفسيره، 41/2، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والآية: 27 من سورة المائدة.

(4) الدارمي في سننه، 53/1، وابن المبارك في الزهد، 140/1، برقم 49.

(5) أحمد في المسند، 488/3، 394/6، من حديث الأقرع بن حابس رضي الله عنه، وإسناده حسن، ورواه الترمذي وحسنه، برقم 3263.

وجميع الأذكار المشروعة[1].

سابعاً: الإكثار من أعمال الخير والعبادات غير المشاهدة، وإخفاؤها: كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خاليًا من خشية الله، وصلاة النوافل، والدعاء للإخوة في الله بظهر الغيب، والله ﷻ يحب العبد التقيّ الخفيّ، قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إن الله يحبّ العبد التقي الغنيّ الخفيّ**))[2].

ثامناً: عدم الاكتراث بذمّ الناس ومدحهم؛ لأن ذلك لا يضرّ ولا ينفع، بل يجب أن يكون الخوف من ذمّ الله، والفرح بفضل الله ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[3].

فيا عبد الله أقبل على حب المدح والثناء فازهد فيهما زهد عُشَّاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذلك سَهُل عليك الإخلاص[4].

ويسهِّلُ الزهدَ في حب المدح والثناء: العلمُ يقينًا أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين، ويضرّ ذمّه ويشين إلا الله وحده، فازهد في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذمِّ من لا يشينك ذمّهُ، وارغب في مدح مَنْ كلُّ الزين في مدحه، وكلُّ الشَّين في ذمّه، ولن يُقدَر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمن فقد الصبر واليقين كان كمن أراد السفر في البحر بغير مركب[5].

وانظر إلى من ذمَّك فإن يك صادقًا قاصدًا النصح لك فاقبل هديته ونصحه؛ فإنه قد أهدى إليك عيوبك، وإن كان كاذبًا فقد جنى على نفسه وانتفعتَ بقوله؛ لأنه عرَّفك ما لم تكن تعرف، وذكَّرك من خطاياك ما نسيتَ، وإن كان ذلك افتراءً عليك، فإنك إن خلوتَ من هذا العيب لم تخلُ من غيره، فاذكر نعمة الله عليك إذ لم يُطْلِعْ هذا المفتري على عيوبك، وهذا الافتراء كفّارات لذنوبك إن صبرتَ واحتسبتَ، وعليك أن تعلم أن هذا الجاهل جنى على نفسه، وتعرّض لمقت الله تعالى، فكن خيرًا منه: فاعفُ واصفحْ، واستغفر

---

(1) انظر التفصيل في ذلك: كتاب مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة لسليم الهلالي، وهو مهم جدًا، والإخلاص لحسين العوايشة، ص57-63.
(2) مسلم، كتاب الزهد، 2277/4، برقم 2965.
(3) سورة يونس، الآية: 58.
(4) الفوائد لابن القيم، ص67.
(5) انظر: الفوائد لابن القيم، ص268.

له ﴿**ألا تُحِبُّونَ أن يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1].

تاسعاً: تذكّر الموت وقِصَر الأمل ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[2]، ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[3].

عاشراً: الخوف من سوء الخاتمة، فعلى العبد أن يخاف أن تكون أعمال الرياء هي خاتمة عمله، ونهاية أجله، فيخسر خسارة فادحة عظيمة؛ لأن الإنسان يُبعث يوم القيامة على ما مات عليه، والناس يُبعثون على نياتهم، وخير الأعمال خواتمها.

الحادي عشر: مصاحبة أهل الإخلاص والتقوى؛ فإن الجليس المخلص لا يعدمك الخير، وتجد منه قدوة لك صالحة، وأما المرائي والمشرك فيحرقك في نار جهنم إن أخذت بعمله.

الثاني عشر: الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، وقد علّمنا رسول الله ﷺ ذلك فقال: ((**يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل**))، فقال بعض الصحابة: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل
يا رسول الله؟ قال: ((**قولوا: اللهمّ إنا نعوذ بك أن نُشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لِما لا نعلمه**))[4].

الثالث عشر: حبّ العبد ذكر الله له وتقديم حبّ ذكره له على حبّ مدح الخلق ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾[5]،وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: ((**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرّب إلي ذراعًا تقربتُ منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**)) [6]، والله

---

(1) سورةالنور، الآية: 22.
(2) سورة آل عمران، الآية: 185.
(3) سورة لقمان، الآية: 34.
(4) أخرجه أحمد، 403/4، وإسناده جيد، وغيره، وانظر: صحيح الجامع، 233/3، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني، 19/1.
(5) سورة البقرة، الآية: 152.
(6)متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ: البخاري واللفظ له، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:

المستعان[1].

الرابع عشر: عدم الطمع فيما في أيدي الناس؛ فإن الإخلاص لا يجتمع في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما في أيدي الناس إلا كما يجتمع الماء والنار،والضب والحوت،فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس مما في أيدي الناس،ويسهِّل ذبح الطمع العلم يقينًا أنه ليس من شيء يُطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره،ولا يُؤتي العبد منها شيئًا سواه[2].

الخامس عشر: معرفة ثمرات الإخلاص وفوائده وعواقبه الحميدة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك أن الإخلاص سبب لنصر الأمة، والنجاة من عذاب الله، ورفع المنزلة والدرجة في الدنيا والآخرة، والسلامة من الضلال في الدنيا، والفوز بحب الله للعبد، وحب أهل السماء والأرض، والصِّيت الطيِّب، وتفريج كروب الدنيا والآخرة، والطمأنينة والشعور بالسعادة والتوفيق، وتحمّل المتاعب والمصاعب، وتزيين الإيمان في القلوب، واستجابة الدعاء، والنعيم في القبر والتبشير بالسرور، والله الموفق سبحانه[3].

فالمسلم الذي يريد رضى الله، والفوز بنجاته ومحبة الله له، عليه أن يعمل جاهدًا في تحصيل الإخلاص والفرار من الرياء، أسأل الله أن يعصمني وإياك وجميع دعاة المسلمين وأئمتهم وعامتهم من هذا البلاء الخطير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾، 216/8، برقم 7405، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله، 2061/4، برقم 2675.

(1) انظر ما تقدم في: منهاج القاصدين، ص221-223، وكتاب الإخلاص لحسين العوايشة، ص41-64، والرياء ذمه وأثره السيئ في الأمة لسليم الهلالي، ص61-72، والإخلاص والشرك الأصغر للدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف، ص13.

(2) انظر: الفوائد لابن القيم، ص267-268.

(3) انظر: كتاب الإخلاص للعوايشة، ص64-66.

الرسالة التاسعة: نور الإسلام وظلمات الكفر

التمهيد:

لا شك أن الله تعالى أرسل محمدًا ﷺ إلى الناس جميعًا، وسماه نورًا؛ لأنه أنار به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الكفر، قال ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾**[1]، وبيّن الله سبحانه أنه يهدي بكتابه من اتبع رضوانه طرق السلام، ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، قال ﷻ: **﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾**[2]، وبيّن ﷻ أن من شرح صدره للإسلام،ومعرفته،والإقرار بوحدانية الله تعالى،والخضوع لطاعته،فهو على نور من ربه،وعلى بصيرة مما هو عليه، ويقين بتنوير الحق في قلبه،فهو لذلك الأمر مُتّبع،وعمّا نهاه عنه مُنته،قال سبحانه: **﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾**[3]، وقال ﷻ: **﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾**[4].

وسأبين ذلك بالتفصيل والإيجاز في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: نور الإسلام

المطلب الأول: مفهوم الإسلام

الإسلام لغة: الانقياد والإذعان، أما في الشرع، فلإطلاقه حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذٍ يُراد به الدين كله: أصوله، وفروعه: من اعتقاداته، وأقواله، وأفعاله، فتبيّن بذلك أن الإسلام عند إطلاقه مفردًا: هو

---

(1) سورة الأحزاب، الآيتان: 45 - 46.
(2) سورة المائدة، الآيتان: 15 - 16.
(3) سورة الزمر، الآية: 22.
(4) سورة الأنعام، الآية: 125.

الاعتراف باللسان، والاعتقاد بالقلب، والاستسلام لله في جميع ما قضى وقدَّر، كما ذُكِرَ عن إبراهيم ﷺ في قوله[1]: **﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾**[2]، وكقوله ﷻ: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾**[4]، وقوله ﷻ: **﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾**[5].

فظهر أن الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

الحالة الثانية: أن يطلق الإسلام مقترنًا بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الأعمال، والأقوال الظاهرة، وبه يحقن الدم، سواء حصل معه الاعتقاد، أو لم يحصل معه[6]؛ كقوله تعالى: **﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾**[7].

المطلب الثاني: مراتب دين الإسلام

لا شكّ أن أصول الدين التي يجب على كل مسلم معرفتها والعمل بها ثلاثة: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ.

فالإسلام هو الأصل الثاني من أصول الدين، وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وكل مرتبة من هذه المراتب لها أركان على النحو الآتي:

أولاً: مرتبة الإسلام، وأركانه خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم

---

(1) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، مادة ((سلم))، ص423، ومعارج القبول، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، 595/2.
(2) سورة البقرة، الآية: 131.
(3) سورة آل عمران، الآية: 19.
(4) سورة المائدة، الآية: 3.
(5) سورة آل عمران، الآية: 85.
(6) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، مادة ((سلم))، ص423، وجامع العلوم والحكم لابن رجب، 104/1، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، 596/2.
(7) سورة الحجرات: الآية: 14.

رمضان، وحجّ بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً؛ لقول النبي ﷺ في جوابه لجبريل عليه السلام: ((**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**))[1]؛ ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: ((**بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**))[2].

ثانيًا: مرتبة الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، وأركانه ستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جواب النبي ﷺ لجبريل: ((**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**))[3].

ثالثًا: مرتبة الإحسان، وهو ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جواب النبي ﷺ لجبريل حينما سأله عن الإحسان فقال: ((**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**))[4].

ولا شكّ أن معنى الإحسان في اللغة: إجادة العمل وإتقانه، وإخلاصه، وفي الشرع: هو ما فسّره النبي ﷺ بقوله: ((**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)).

والمقصود أنه ﷺ فسّر الإحسان بتحسين الظاهر والباطن، وأن يستحضر قرب الله عز وجل، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب

---

(1) مسلم،كتاب الإيمان،باب الإيمان،والإسلام،والإحسان،37/1، برقم 8،من حديث عمر رضي الله عنه.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ ((بني الإسلام على خمس))، 9/1، برقم 8، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، 45/1، برقم 16، وانظر: ثلاثة الأصول، للشيخ محمد بن عبد الوهاب المطبوع مع حاشية ابن القاسم، ص25، و47، فقد ذكر لكل ركن من هذه الأركان دليلاً من الكتاب، ودليلاً من السنة.

(3) تقدم تخريجه.

(4) تقدم تخريجه في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة جواب النبي ﷺ لجبريل.

الخشية، والخوف، والهيبة، والتعظيم، ويوجب النصح في العبادة بتحسينها، وبذل الجهد في إتمامها، وإكمالها[1].

ولأهمية الإحسان فقد جاء ذكره في القرآن في مواضع:تارة مقرونًا بالإيمان، وتارة مقرونًا بالإسلام،وتارة مقرونًا بالتقوى،وتارة مقرونًا بالعمل.

فالمقرون بالإيمان كقول الله ﷻ: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

والمقرون بالإسلام كقوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾[3]، وقوله: ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾[4].

والمقرون بالتقوى كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الله مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾[5].

وقد يذكر مفردًا كقوله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[6]، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله ﷻ في الجنة[7]،وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان؛لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة،كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته،فكان

---

(1) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، 126/1،ومعارج القبول،لحافظ الحكمي، 611/2، وثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب المطبوع مع حاشية ابن القاسم، ص62،وص65، فقد ذكر لجميع أركان الإيمان، وركن الإحسان دليلاً من الكتاب، ودليلاً من السنة لكل ركن.
(2) سورة المائدة، الآية: 93.
(3) سورة البقرة، الآية: 112.
(4) سورة لقمان، الآية: 22.
(5) سورة النحل، الآية: 128.
(6) سورة يونس، الآية: 26.
(7) صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ،163/1،برقم 180.

جزاءُ ذلك النظر إلى الله عِيانًا في الآخرة[1].

المطلب الثالث: ثمرات الإسلام ومحاسنه

الإسلام له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ونتائج كريمة، منها ما يأتي:

أولاً: الإسلام الصحيح يثمر كل خير في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أعظم أسباب الحياة الطيّبة والسعادة في الدنيا والآخرة قال الله ﷻ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2].

ثالثاً: الإسلام يخرج الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام والإيمان.

رابعاً: الإسلام يغفر الله به جميع الذنوب والسيئات؛ لقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾[3]، وفي حديث عمرو بن العاص ﷺ في قصة إسلامه، قال: ((فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك، فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: ((**مالك يا عمرو ؟**)) قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: ((**تشترط بماذا؟**))، قلت: أن يُغفَر لي، قال: ((**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**))[4].

خامساً: إذا أحسن المسلم الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في كفره؛ لقول النبي ﷺ لرجل سأله: ((**إذا أحسنتَ في الإسلام لم تُؤاخذ بما عملت في الجاهلية، وإذا أسأتَ في الإسلام أُخذتَ بالأوّل والآخر**))[5].

سادساً: الإسلام يجمع الله به للعبد حسناته في الكفر والإسلام؛ لحديث حكيم بن حزام ﷺ أنه قال: قلت: يا رسول الله، أرأيتَ أشياء

---

(1) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، 126/1.
(2) سورة النحل، الآية: 97.
(3) سورة الأنفال، الآية: 38.
(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسلام يهدم ما قبله، 112/1، برقم 121.
(5) أخرجه أحمد في المسند،379/1،وصححه أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند،309/5،برقم 3596.

كنتُ أتحنّثُ بها في الجاهلية، من: صدقةٍ، وعتاقٍ، وصلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي ﷺ: ((**أسلمتَ على ما سلفَ لك من خير**))[1].

سابعاً: الإسلام يُدخل الله به الجنة، ففي حديث أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن رسالته، وعن الصلوات الخمس، والزّكاة، والصّوم، والحجّ، وهذه أركان الإسلام، فقال الرجل: والذي بعثك بالحقّ لا أزيد عليهنّ، ولا أنقص منهنّ، فقال النبي ﷺ: ((**لئن صدق ليدخلنَّ الجنة**))[2].

ثامناً: سبب في النجاة من النار، فقد ثبت في حديث أنس ﷺ أنه قال: ((كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: ((**أسلم**))، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطِعْ أبا القاسم ﷺ، فأسلمَ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: ((**الحمد لله الذي أنقذه من النار**))[3].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**إنّه لا يدخل الجنة إلاّ نفسٌ مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**))[4].

تاسعاً: الفلاح والفوز العظيم من ثمرات الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: ((**قد أفلح مَنْ أسلمَ، ورُزِقَ كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه**))[5].

عاشراً: الإسلام يضاعف الله به الحسنات، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتبُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة تكتب له بمثلها حتى يلقى الله**))[6].

---

(1) البخاري، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، 146/2، برقم 1436، ورقم 2220، و2538، و5992.
(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، 41/1، برقم 12، وانظر: حديث رقم 13، في الكتاب نفسه.
(3) البخاري، في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، 118/2، برقم 1356.
(4) متفق عليه: البخاري، كتاب الجهاد، بابٌ: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، برقم 3062، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر، 89/5، برقم 4203، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، 105/1، برقم 111.
(5) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، 730/2، برقم 1054.
(6) صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت،وإذا همّ بسيئة لم تكتب،118/1، برقم 129.

الحادي عشر: يكون العمل القليل كثيرًا بالإسلام الصحيح؛ ولهذا قال النبي ﷺ لرجل جاء إليه مقنّع بالحديد، فقال: يا رسول الله، أُقاتلُ أو أسلمُ؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**أسلمْ ثم قاتلْ**))، فأسلم ثم قاتل فَقُتِلَ، فقال رسول الله ﷺ: ((**عَمِل قليلاً وأجر كثيرًا**))[1].

الثاني عشر: الخير كله في الإسلام، ولا خير في العرب، ولا في العجم إلا بالإسلام، وقد ثبت في الحديث: ((**أيما أهل بيتٍ من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام**))[2].

الثالث عشر: الإسلام يثمر الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، فعن أنس رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:((**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنةً يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها**))[3].

الرابع عشر: الإسلام يشرح الله به صدر صاحبه، قال الله ﷻ: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾[4].

الخامس عشر:الإسلام يثمر النور لصاحبه في الدنيا والآخرة،قال الله ﷻ: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ**﴾[5].

السادس عشر: الإسلام يجعل لصاحبه المكانة العالية عند الله ﷻ ، فقد ثبت عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: ((**لَزَوال الدنيا أهونُ على الله من قتل رجلٍ مسلم**))[6].

---

(1) متفق عليه من حديث البراء رضي الله عنه ، البخاري كتاب الجهاد والسير، بابٌ: عمل صالح قبل الجهاد، 371/3، برقم 2808، واللفظ له، ومسلم كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، 1509/3، برقم 1900.

(2) أحمد في المسند، 477/3، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 34/1، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 51.

(3) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، 2162/4، برقم 2808.

(4) سورة الأنعام، الآية: 125.

(5) سورة الزمر، الآية: 22.

(6) الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، 16/4، برقم 1395، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 56/2.

السابع عشر: الإسلام الكامل يثمر لصاحبه حلاوة الإيمان، فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:((**ثلاث مَنْ كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان:مَنْ كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما،وأن يحبَّ المرء لا يحبّه إلا لله،وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار**))[1].

وعن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((**ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًا،وبالإسلام دينًا،وبمحمد رسولاً**))[2] ﷺ.

الثامن عشر: الإسلام صراط الله المستقيم، ومن سلكه كان من الفائزين، فعن النوّاس بن سمعان ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: ((**ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مُفتحة، وعلى الأبواب ستور مُرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعوجّوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه، فإنك إن فتحته تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ﷻ ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم**))[3]، زاد الترمذي: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[4].

التاسع عشر:من رضي بالإسلام دينًا أرضاه الله في الدنيا والآخرة، فقد جاء عن النبي ﷺ: ((**من قال حين يُمسي وحين يُصبح: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ثلاث مرات إلاّ كان حقًا على الله أن يرضيه**))[5].

---

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، 13/1، برقم 21، ومسلم، كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، 66/1، برقم 43.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن، 62/1، برقم 34.

(3) أحمد في المسند، 182/4، 183، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، 73/1، والترمذي، في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده، 144/5، برقم 2859، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، 67/1.

(4) سورة يونس، الآية: 25.

(5) أحمد في المسند، 367/4، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم 4، وابن السني في

العشرون: الإسلام هو الدين الذي كمَّله الله ورضيه، فختم به الأديان، قال الله سبحانه: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾[1].

الحادي والعشرون: الإسلام يأمر بكل خير وصلاح، وينهى عن كل شر وضرر، فما من مصلحة دقيقة ولا جليلة إلا أرشد إليها، ولا خير إلا دلَّ عليه، ولا شرٍّ إلا حذّر منه: فهو يأمر بتوحيد الله، والإيمان به، ويحثّ على العلم والمعرفة، ويأمر بالعدل والصّدق في الأقوال والأفعال، وبالبرّ والصِّلة والإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب وجميع الخلق، وينهى عن الكذب، والظلم، والقسوة، والعقوقٍ، والبخل، وسوء الخلق، ويأمر بالوفاء، وينهى عن الغدر، والغشّ، ويأمر بالنّصح، والاجتماع، والتآلف، والتّحابب والإنفاق، وينهى عن التّعادي والتّباغض والافتراق، والمعاملات السيئة، وأكل المال بالباطل، ويأمر بأداء الحقوق، وينهى عن ضدها، ويأمر بكل معروف، وطيِّب، ونافع، ومستحسن شرعًا، وعقلاً، وفطرةً، وينهى عن كل فاحشة، ومنكر، وخبيث شرعًا، وعقلاً، وفطرةً، ويأمر بالتعاون على البر والتقوى، وينهى عن التعاون على الإثم والعدوان، والتعلّق بالمخلوقين والعمل لأجلهم، ويأمر بعبادة الله وحده، ويحفظ الدين، والنفس، والعِرْض، والعقل، والمال، وهذا الدين صالح لكل زمان، ومكان، ولكل أمّةٍ، ونبيُّ هذا الدين محمد ﷺ هو أعلى الخلق في كل صفة كمال إنساني، ولذلك صار سيِّدَ الخلق ﷺ[2].

الثاني والعشرون: اختصّ الإسلام بخصائص عظيمة كريمة، منها:

1- الإسلام من عند الله، قال الله ﷻ يمدح نبيه ﷺ: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْـهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[3].

2- شامل لجميع نظم الحياة، وسلوك الإنسان شمولاً تامًا.

3- عام لكلِّ مُكلَّف من الجن والإنس في كل زمان ومكان، قال

عمل اليوم والليلة، برقم 68، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، 518/1، وأبو داود، برقم 5072، والترمذي، برقم 3389، وحسنه ابن باز في تحفة الأخيار، ص39.

(1) سورة المائدة، الآية: 3.

(2) انظر: وجوب التعاون بين المسلمين، للسعدي، ص22.

(3) سورة النجم، الآيتان: 3- 4.

الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[1].

4- والإسلام من حيثُ الثواب والعقاب ذو جزاء أخروي، بالإضافة إلى جزائه الدنيوي.

5- الإسلام يحرص على إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال الإنساني، وهذه مثالية الإسلام، ولكنه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام.

6- الإسلام وسط: في عقائده، وعباداته، وأخلاقه، وأنظمته، قال الله ﷻ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[2]، وهذه خصائص جميلة[3].

المطلب الرابع: نواقض الإسلام

نواقض الإسلام كثيرة، وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتدّ أن المسلم قد يرتدّ عن دينه بأمور وأنواع كثيرة من النواقض التي تُحلّ دمه وماله، ويكون بها خارجًا من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعًا عشرة نواقض[4]:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء** ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾[6]، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجنّ أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعًا.

الثالث: من لم يكفِّر المشركين،أو شكّ في كفرهم،أو صحّح مذهبهم كَفَر.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 158.
(2) سورة البقرة، الآية: 143.
(3) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، للمؤلف، ص 117.
(4) انظر: هذه النواقض في مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص385، ومجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، ص27، ص28.
(5) سورة النساء، الآية: 116.
(6) سورة المائدة، الآية: 72.

الرابع: من اعتقد أنّ هدي غير النبي ﷺ أكملُ من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ـ كالذين يفضّلون حكم الطواغيت على حكمه ـ فهو كافر.

ويدخل في هذا الناقض: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنّها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببًا في تخلّف المسلمين، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخّل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل فيه أيضًا من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن، لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضًا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات، أو الحدود، أو غيرهما وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعًا، وكلّ من استباح ما حرم الله مما هو معلوم تحريمه من الدين بالضرورة: كالزنا، والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله، فهو كافر بإجماع المسلمين. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[1].

والخلاصة أن الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل، وإليك الصواب في ذلك إن شاء الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[4].

قال طاووس وعطاء: كُفر دون كُفر، وظُلم دون ظُلم، وفسق

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للعلامة ابن باز، 137/1.
(2) سورة المائدة، الآية: 44.
(3) سورة المائدة، الآية: 45.
(4) سورة المائدة، الآية: 47.

دون فسق[1]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((هي به كُفر، وليس كُفرًا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله))[2].

وقال ﷺ: ((من جحد ما أنزل الله فقد كفر. ومن أقرّ به ولم يحكم: فهو ظالم فاسق))[3].

والصواب أن من حكم بغير ما أنزل الله قد يكون مرتدًا، وقد يكون مسلمًا عاصيًا مرتكبًا لكبيرة من كبائر الذنوب؛ فلهذا نجد أن أهل العلم قد قسموا الكلمات الآتية إلى قسمين، وهي كلمة: كافر، وفاسق، وظالم، ومنافق، ومشرك. فكُفر دون كُفر، وظُلم دون ظُلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك.

فالأكبر يُخرج من الملّة، لمنافاته أصل الدين بالكلّية، **والأصغر** ينقص الإيمان، ويُنافي كماله، ولا يُخرج صاحبه من الملّة؛ ولهذا فصَّل العلماءُ القول في حكم من حكم بغير ما أنزل الله تعالى:

قال سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله تعالى: ((من حكم بغير ما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أنواع:

1 - من قال أنا أحكم بهذا لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية، فهو كافر كفرًا أكبر.
2 - ومن قال أنا أحكم بهذا لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا جائز وبالشريعة جائز، فهو كافر كفرًا أكبر.
3 - ومن قال أنا أحكم بهذا، والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل، لكن الحكم بغير ما أنزل الله جائز، فهو كافر كفرًا أكبر.
4 - ومن قال أنا أحكم بهذا، وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يجوز،ويقول:الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل،ولا يجوز الحكم بغيرها، ولكنه متساهل، أو يفعل هذا لأمرٍ صادر من حُكَّامه، فهو كافر كفرًا أصغر لا يخرج من الملّة، ويُعتبر من أكبر الكبائر))[4].

---

(1) تفسير ابن كثير، 58/2، وانظر: تفسير الطبري، 355/10-358.
(2) تفسير ابن جرير، 356/10.
(3) المرجع السابق، 356/10.
(4) حدثنا بهذا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وهو مسجل في شريط في مكتبتي الخاصة، وانظر: فتاوى سماحته رحمه الله، 137/1، وانظر التفصيل، ومتى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرًا أكبر: كتاب ((نواقض الإيمان القولية والعملية))، للدكتور

ولا مُنافاة بين تسمية العمل فسقًا، أو عامله فاسقًا، وبين تسميته مسلمًا وجريان أحكام المسلمين عليه؛ لأنه ليس كل فسق يكون كفرًا، ولا كل ما يسمى كفرًا، وظلمًا، يكون مخرجًا من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته؛ وذلك لأنَّ كلاً من الكفر، والشرك، والظلم، والفسوق، والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:

القسم الأول: أكبر يُخرج من الملّة لمنافاته أصل الدين.

القسم الثاني: أصغر يُنقص الإيمان ويُنافي كماله، ولا يُخرج صاحبه منه، فكُفر دون كُفر، وشرك دون شرك، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق. والفاسق بالمعاصي التي لا تُوجب الكفر لا يخلد في النار، بل أمره مردود إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله، وإن شاء عاقبه بقدر الذنب الذي مات مصرًا عليه، ولا يُخلده في النار، بل يُخرجه برحمته، ثم بشفاعة الشافعين، إن كان مات على الإيمان[1].

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعًا؛لقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾[2].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثوابه، أو عقابه، كفر. والدليل قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾[3].

السابع: السحر، ومنه: الصرف[4]، والعطف[5]، فمن فعله، أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾[6].

عبد العزيز آل عبد اللطيف، ص249-343.

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، 423/2.

(2) سورة محمد، الآية: 9.

(3) سورة التوبة، الآيتان: 65- 66.

(4) الصرف: عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان وصرفه عما يهواه، كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها.

(5) العطف: عمل سحري يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه، فيحبه بطرق شيطانية.

(6) سورة البقرة، الآية: 102.

الثامن: مظاهرة[1] المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى:﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾[3]، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجادّ، والخائف، إلا المُكره، وكلها أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[4].

المبحث الثاني: ظلمات الكفر

المطلب الأول: مفهوم الكفر

أولاً: الكفر: بالفتح: الستر والتغطية، يُقال: كفر الزارع البذر في الأرض: إذا غطّاه بالتراب. وبالضم: ضِدُّ الإيمان، وكفر نعمة الله، وبها كُفُورًا وكفرانًا: جحدها، وسترها، وكافره حقه: جحده، والمكفَّرُ كَمُعَظَّمٍ: المجحُودُ النِّعمةِ مع إحسانِهِ. وكَافرٌ: جاحدٌ لأنْعُمِ الله تعالى[5].

فالكفر: هو الستر، وجحود الحق، وإنكاره، والكافر: ضدّ المسلم، والمرتدّ: هو الذي كفر بعد إسلامه؛ بقول، أو فعل، أو اعتقاد، أو شكّ، وحدُّ الكفر الجامع لجميع أجناسه، وأنواعه، وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان: اعتقاد ما جاء به الرسول ﷺ، والتزامه، والعمل به جملة

---

(1) المظاهرة: المناصرة والتعاون معهم على المسلمين.
(2) سورة المائدة، الآية: 51.
(3) سورة السجدة، الآية: 22.
(4) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام: أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، ص27، 28، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص385، 387، ومجموعة فتاوى ابن باز، 135/1.
(5) القاموس المحيط، فصل الكاف، باب الراء، والمعجم الوسيط، ص791.

وتفصيلاً[1]، والكفر هو: أوّل ما ذُكِرَ من المعاصي في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾[2]، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر[3]، والكفر كفران:

الكفر الأول: كُفر يُخرج من الملّة، وهو ((الكفر الأكبر)).

الكفر الثاني: كفر لا يُخرج من الملّة،وهو((الكفر الأصغر)) أو كُفر دون كفر[4].

ثانيًا: الإلحاد: إلحاد ولحود، ولحد القبر كمنع، وألحده، عمل له لحدًا، والميت دفنه، وإليه مال كالْتحد. وألْحدَ مالَ، وعدلَ، ومارَى، وجادل[5]، ويلاحظ أن المعاجم الحديثة استعملت كلمة إلحاد، وفسرتها بأنها الكفر. وفَهِمُ المفسرين لمادة ((لحد)) في القرآن الكريم، يمكن تلخيصه في أنه الميل عن دين الله إلى درجة الكفر، وفسّروا الإلحاد في سورة الحجّ، بأنه أيّ معصيةٍ في الحرم، ولكن المعصية في الحرم إذا قيست بغيرها في مكان آخر كانت شديدة جدًا[6].

قال فضيلة الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله: ((الإلحاد هو الميل عن الحق والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويلات، ولذا سُمّي لحد القبر لحدًا، لميله عن وسطه إلى أحد جوانبه، فالمنحرف عن صراط الله، والمعاكس لحكمه بالتأويل الفاسد، وإبداء التشكيك، يُسمَّى مُلحدًا... وأول الناس إلحادًا المشركون الذين اشتقّوا لآلهتهم من أسماء الله، كاللات، والعُزّى، ومن الإلّ الذي هو الإله ... ثم كلّ من ألحد في أسمائه، وصفاته، وصرفها عن ظاهرها...فهو ملحد))[7].

---

(1) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب،للسعدي رحمه الله،ص191.
(2) سورة البقرة، الآية: 6.
(3) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ص5.
(4) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام: أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، ص6.
(5) القاموس المحيط، فصل اللام، باب الدال، والمعجم الوسيط، ص817.
(6) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، ص21.
(7) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة لعبد الرحمن الدوسري، ص40.

المطلب الثاني: أنواع الكفر

أولاً: الكفر الأكبر المُخرج من الملّة:

وهو خمسة أنواع[1]:

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ**﴾[2].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التّصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[3].

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظنّ، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[4].

﴾[4]

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ**﴾[5].

النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ**﴾[6].

ثانيًا: كفر أصغر لا يُخرج من الملّة:

وهو كفر النعمة: والدليل قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ**

---

(1) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، 335/1 – 338.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 68.
(3) سورة البقرة، الآية: 34.
(4) سورة الكهف، الآيات: 35 - 38.
(5) سورة الأحقاف، الآية: 3.
(6) سورة المنافقون، الآية: 3.

اللهُ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْـجُوعِ وَالْـخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[1]، والله المستعان[2].

ومما يدل من السُّنة على الكفر الذي لا يُخرج من الملّة، قوله ﷺ: ((**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**))[3]، وقوله ﷺ: ((**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**))[4]، وقوله ﷺ: ((**من أتى حائضًا، أو امرأة في دبرها... فقد كفر بما أُنزل على محمد**))[5]، ونظائر ذلك كثيرة.

وهذا النوع لا يُبطل الإسلام ولكن يُنقصه ويُضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي التي يعرف صاحبها أنها معاصي، كالزنا، ولكن لا يستحلّها، فهذا تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة بإيمانه وعمله الصالح وإن شاء غفر له[6].

ثالثًا: الفروق بين الكفر الأكبر والأصغر:

1 -الكفر الأكبر يُخرج من الملّة، والأصغر لا يُخرج من الملّة.
2 -الكفر الأكبر يُحبط جميع الأعمال، والأصغر لا يُحبطها لكنه يُنقصها.
3 -الكفر الأكبر يُخلّد في النار، والأصغر لا يُخلّد، وهذا إذا دخلها فإن الله قد يعفو عنه.
4 -الكفر الأكبر يُبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يُبيح الدم والمال.
5 -الكفر الأكبر يُوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، ولا

---

(1) سورة النحل، الآية: 112.
(2) مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ ابن تيمية رحمهما الله، ص6.
(3) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: البخاري، كتاب الأدب، باب ما يُنهى عنه من السباب واللعن، 110/7، رقم 6044، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))، 81/1، برقم 64.
(4) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، 126/7، برقم 6104، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر، 79/1، 60.
(5) مسند الإمام أحمد، 408/2، وصححه الألباني في آداب الزفاف، ص31.
(6) انظر: فتاوى سماحة العلامة ابن باز، 20/4، و45.

يجوز للمؤمنين محبته وموالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصـغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالَى بقدر ما معه من الإيمان، ويُبغض ويُعادَى بقدر ما فيه من العصيان[1].

المطلب الثالث: خطورة التكفير

الذي ينبغي أن نؤصّله هنا: أن الحكم بالكفر على إنسان ما حكم خطير، لِـمَا يترتب عليه من آثار، هي غاية في الخطر، منها:

أولاً: أنه لا يحلّ لزوجته البقاء معه، ويجب أن يفرّق بينها وبينه؛ لأن المسلمة لا يصحُّ أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقّن.

ثانياً: أن أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه؛ لأنه لا يُؤتمن عليهم، ويُخشى أن يؤثّر عليهم بكفره، وبخاصة أن عودهم طريّ؛ وهم أمانة في عنق المجتمع الإسلامي كلّه.

ثالثاً: إنه فقد حق الولاية والنصرة من المجتمع الإسلامي بعد أن مرق منه وخرج عليه بالكفر الصريح، والرّدَّة البواح.

رابعاً: أنه يجب أن يُحاكم أمام القضاء الإسلامي؛ ليُنفَّذ فيه حكم المرتدّ، بعد أن يُستتاب، وتُزال من ذهنه الشبهات، وتُقام عليه الحجة.

خامساً: أنه إذا مات على ردّته لا تُجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يُغسّل، ولا يُصلّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورث، كما أنه لا يرث إذا مات مورِّث له قبله.

سادساً: أنه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله، وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم، وهذه الأحكام الخطيرة تُوجب على من يتصدى للحكم بتكفير أحدٍ من المسلمين، أن يتريَّث مراتٍ ومراتٍ قبل أن يقول ما يقول[2].

سابعاً: أنه لا يُدعى له بالرحمة، ولا يُستغفر له؛ لقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَـهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْـجَحِيمِ ﴾**[3]، قال

---

(1) انظر: كتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص15.
(2) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، 49/6، وقد قرأتُ هذه المسائل على معالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان، في 1417/6/20، فأقرّها جزاه الله خيرًا.
(3) سورة التوبة، الآية: 113.

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ((الكفر حقّ الله ورسوله، فلا كافر إلا من كفَّره الله ورسوله))[1].

المطلب الرابع: أصول المكفِّرات

أولاً: الكفّار نوعان:

النوع الأول: الكفّار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، ولا انتسبوا للإيمان بمحمد ﷺ من: أميين، ومشركين، وأهل كتاب، من: يهود ونصارى، ومن: مجوس، وعبدة أوثان، ودهريين، وفلاسفة... وغيرهم من أصناف الكفار، فهؤلاء الجنس، دلّ الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، على كفرهم، وشقائهم، وخلودهم في النار، وتحريم الجنة عليهم، ولا فرق بين عالمهم وجاهلهم، وأُمِّيهم، وكتابيِّهم، وعوامِّهم، وخواصِّهم، وهذا أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

النوع الثاني: الذين ينتسبون لدين الإسلام، ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ، ثم يصدر منهم ما يناقض هذا الأصل، ويزعمون بقاءهم على دين الإسلام، وأنهم من أهله، **فهؤلاء لتكفيرهم أسباب** متعددة ترجع كلُّها إلى تكذيب الله ورسوله، وعدم التزام دينه ولوازم ذلك[2].

ثانيًا: جميع المكفِّرات تدخل تحت نواقض أربعة: القول، أو الفعل، أو الاعتقاد، أو الشك والتوقف. قال سماحة العلامة إمام علماء هذا العصر، عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله ورفع درجاته: ((**العقيدة الإسلامية لها قوادح، وهذه القوادح قسمان:** قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها، ويكون صاحبه كافرًا نعوذ بالله، وقسم ينقص هذه العقيدة ويضعفها:

القسم الأول: القوادح المكفِّرة:

نواقض الإسلام هي الموجبة للرِّدَّة، هذه تسمى نواقض، والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقادًا، ويكون شَكًّا.

---

(1) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، ص198.
(2) انظر: إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأسر الأسباب، للسعدي، ص191 – 193.

فقد يرتدُّ الإنسان بقولٍ يقوله، أو بعملٍ يعمله، أو باعتقادٍ يعتقده، أو بشكٍّ يطرؤ عليه، وهذه الأمور الأربعة كلُّها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذكَرَها أهل العلم في كتبهم، وسمَّوا بابها: ((**باب حكم المرتد**))، فكلُّ مذهب من مذاهب العلماء، وكلُّ فقيهٍ من الفقهاء ألَّفَ كُتُبًا ـ في الغالب ـ عندما يذكر الحدود ـ يذكر بابَ حكم المرتدّ، وهو الذي يكفر بعد الإسلام، وهذا مرتدّ، يعني أنه رَجَع عن دين الله وارتدَّ عنه، قال فيه النبي ﷺ: ((**من بدَّل دينَهُ فاقتلوه**)) خرَّجه البخاري في ((الصحيح))[1].

وفي ((الصحيحين))[2] أن النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري رضي الله عنه إلى اليمن، ثم أتْبَعَهُ معاذ بن جبل، فلما قَدِمَ عليه قال: انزل، وألقى له وسادة، وإذا رجلٌ عنده مُوثَق، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديًّا فأسلم، ثم راجع دينه ـ دين السَّوء ـ فتهوَّد، قال: لا أجلس حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله، فقال: اجلس، نعم، قال: لا أجلس حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات، فأمر به فَقُتِل.

فدلَّ ذلك على أن المرتدّ عن الإسلام يُقتل، إذا لم يتب، يُستتاب فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصرَّ على كفره وضلاله يُقْتَل، ويُعجَّل به إلى النار لقوله ﷺ: ((**من بدَّل دينه فاقتلوه**))[3].

1 - الرّدّة بالقول:

النواقض التي تنقض الإسلام كثيرة، منها قولٌ، مثل: سبّ الله: هذا قولٌ ينقض الدين، وسب الرسول ﷺ، يعني: اللعن، والسّبّ لله ولرسوله، أو العيب، مثل أن يقول: إنَّ الله ظالم، إنَّ الله بخيل، إنَّ الله فقير، إنَّ الله ـ جل وعلا ـ لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، كُلُّ هذه الأقوال ردَّةٌ عن الإسلام.

من انتقص الله، أو سبَّه، أو عابه بشيء فهو كافر مرتدٌّ عن الإسلام ـ نعوذ بالله ـ هذه ردّةٌ قولية، إذا سبَّ الله، أو استهزأ به، أو تنقَّصه، أو وصفه بأمرٍ لا يليق، كما تقول اليهود: إن الله بخيل، إن الله فقير ونحن أغنياء،وهكذا لو قال:إن الله لا يعلم بعض الأمور،أو

---

(1) البخاري، كتاب الجهاد، باب: لا يعذَّب بعذاب الله، 27/4، برقم 3017.

(2) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: البخاري، كتاب استتابة المرتدين، 64/8، برقم 6923، ومسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة، 1456/3، برقم 1733.

(3) رواه البخاري، برقم 3017، وتقدم تخريجه.

لا يقدر على بعض الأمور،أو نفى صفات الله ولم يؤمن بها،فهذا يكون مرتدًا بأقواله السيئة.

أو قال مثلاً: إنَّ الله لم يوجب علينا الصلاة، هذه ردّة عن الإسلام، من قال إن الله لم يوجب الصلاة فقد ارتدَّ عن الإسلام بإجماع المسلمين، إلا إذا كان جاهلاً بعيدًا عن المسلمين لا يعرف، فيُعلَّم، فإنْ أصرَّ كَفَر.

وأما إذا كان بين المسلمين، ويعرف أمور الدِّين، فإن قال: ليست الصلاة بواجبة؛ فهذه ردَّة، يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل.

أو قال:الزكاة غير واجبة على الناس،أو قال:صوم رمضان غير واجب على الناس،أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس،من قال هذه المقالات كَفَر إجماعًا، ويُستتاب،فإن تاب وإلا قُتل ـ نعوذ بالله- وهذه الأمور ردَّةٌ قولية.

2 - الرّدّة بالفعل:

والردة الفعلية: مثل: ترك الصلاة، فكونه لا يصلي، وإن قال: إنها واجبة ـ لكن لا يصلي ـ هذه ردَّة على الأصحِّ من أقوال العلماء؛ لقول النبي ﷺ: ((**العَهْدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تَرَكَها فقد كفر**)) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بإسناد صحيح[1]، وقوله ﷺ: ((**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**)) أخرجه مسلم في ((صحيحه))[2].

وقال شَقِيقُ بن عبد الله العُقَيلي التابعي المتّفق على جلالته ـ رحمه الله -: ((كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ غير الصلاة)) رواه الترمذي[3]، وإسناده صحيح.

وهذه ردّةٌ فعلية، وهي ترك الصلاة عمدًا.

ومن ذلك: لو استهان بالمصحف الشريف، وقعد عليه مستهينًا

---

(1) المسند، 346/5، وسنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، 14/5، برقم 2621، وسنن النسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، 231/1، 232، برقم 463، وسنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، 342/1، برقم 1079، من حديث بريدة ﷺ ، وانظر: صحيح الترمذي، 329/3.

(2) كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، 88/1، برقم 82.

(3) السنن، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة، 14/5، برقم 2622.

به، أو لطَّخه بالنجاسة عمدًا، أو وطأه بقدمه يستهين به، فإنه يرتدّ بذلك عن الإسلام.

ومن الرِّدَّة الفعلية: كونه يطوف بالقبور يتقرَّب لأهلها بذلك، أو يصلِّي لهم، أو للجنّ، وهذه رِدَّةٌ فعلية.

أما دعاؤه إيَّاهم والاستعانة بهم والنذر لهم: فردَّة قولية.

أما من طاف بالقبور يقصد بذلك عبادة الله، فهو بدعةٌ قادحةٌ في الدِّين، لا يكون رِدَّة، إنما يكون بدعة قادحة في الدين، إذا لم يقصد التقرّب إليه بذلك، وإنما فعل ذلك تقرّبًا إلى الله سبحانه جهلاً منه.

ومن الكفر الفعلي: كونه يذبح لغير الله ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقربًا إليهم يعبُدُهم بها، أو للجِنِّ يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك، وهذا ما أُهِلَّ به لغير الله، فيكون ميتةً، ويكون كفرًا أكبر ـ نسأل الله العافية ـ.

هذه كلُّها من أنواع الردة عن الإسلام والنواقض الفعلية.

3 ـ الرّدّة بالاعتقاد:

ومن أنواع الرّدّة العقدية: التي يعتقدُها بقلبه وإن لم يتكلم، ولم يفعل ـ بل بقلبه يعتقد ـ إذا اعتقد بقلبه أنَّ الله جل وعلا فقيرٌ، أو أنه بخيل، أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلم، ولو لم يفعل شيئًا، هذا كفر بمجرد هذه العقيدة بإجماع المسلمين.

أو اعتقد بقلبه أنه لا يُوجد بعثٌ ولا نشور، وأن كلَّ ما جاء هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جَنَّة أو نار، ولا حياة أخرى، إذا اعتقد ذلك بقلبه، ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفرٌ ورِدَّةٌ عن الإسلام ـ نعوذ بالله ـ، وتكون أعمالُهُ باطلة، ويكون مصيره إلى النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه ـ ولو لم يتكلم ـ أنَّ محمدًا ﷺ ليس بصادق، أو أنَّه ليس بخاتم الأنبياء، وأنَّ بعده أنبياء، أو اعتقد أنَّ مُسيلمة الكذَّاب نبيٌّ صادق، فإنه يكون كافرًا بهذه العقيدة.

أو اعتقد ـ بقلبه ـ أنَّ نوحًا، أو موسى، أو عيسى، أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبون، أو أحدًا منهم، فهذا رِدّةٌ عن الإسلام.

أو اعتقد أنه لا بأس أنْ يُدعى مع الله غيره، كالأنبياء أو غيرهم

من الناس، أو الشمس والكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مُرتدًّا عن الإسلام؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ** ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾[2]، وقال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[3]، وقال: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾[4].

وقال: ﴿**فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[5].

وقال سبحانه:﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[6]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فمن زَعَم أو اعتقد أنه يجوزُ أن يُعْبَدَ مع الله غيرُهُ من مَلَكٍ، أو نبيٍّ، أو شجرٍ، أو جنٍّ، أو غير ذلك فهو كافر وإذا نطق وقال بلسانه ذلك صار كافرًا بالقول والعقيدة جميعًا، وإن فعل ذلك ودعا غير الله، واستغاث بغير الله، صار كافرًا بالقول والعمل والعقيدة جميعًا، نسأل الله العافية.

ومما يدخل في هذا ما يفعله عُبَّاد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب المَدَدِ منهم، فيقول بعضهم: يا سيدي المَدَدَ المَدَدَ، يا سيدي الغوثَ الغوثَ، أنا بجوارك، اشفِ مريضي، ورُدَّ غائبي وأصلح قلبي.

يخاطبون الأموات الذين يُسمّونهم الأولياء، ويسألونهم هذا السؤال، نَسُوا الله وأشركوا معه غيره ـ تعالى الله عن ذلك ـ.

فهذا كفرٌ قوليٌّ، وعقديٌّ، وفعليّ.

وبعضُهم ينادي من مكانٍ بعيد وفي أمصارٍ متباعدة: يا رسول الله انصرني... ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا رسول الله

---

(1) سورة الحج، الآية: 62.
(2) سورة البقرة، الآية: 163.
(3) سورة الفاتحة، الآية: 5.
(4) سورة الإسراء، جزء من الآية: 23.
(5) سورة غافر، جزء من الآية: 14.
(6) سورة الزمر، الآية: 65.

اشفِ مريضي، يا رسول الله المدد المدد، انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه، انصُرنا على أعدائنا.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذا من الشرك القولي العملي، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز، وأنه لا بأس به، صار شركًا قوليًا، وفعليًا، وعقديًا، نسأل الله العافية.

4 - الرّدّة بالشك:

عَرَضْنَا للرِّدَّة التي تكون بالقول، والرّدّة في العمل، والرّدة في العقيدة، أما الرّدّة بالشّكّ، فمثل الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حقٌّ أم لا؟... أنا شاكٌّ، هذا كافرٌ كُفْرَ شكٍّ، أو قال: أنا لا أعلم هل البعث حقٌّ أم لا؟ أو قال: أنا لا أدري هل الجنة والنار حقٌّ أم لا؟... أنا لا أدري، أنا شاكٌّ؟.

فمثلُ هذا يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل كافرًا لشكّه فيما هو معلومٌ من الدِّين بالضرورة، وبالنَّصِّ، والإجماع.

فالذي يشكّ في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حقٌّ، أو هل الرسول حقٌّ، وهل هو صادق أم كاذب؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم النبيين، أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العنسي ـ الذي ادّعى النبوة في اليمن ـ كاذبٌ أم لا؟ هذه الشكوك كلُّها ردَّةٌ عن الإسلام يُستتاب صاحبها، ويُبيَّن له الحقّ، فإن تاب وإلا قُتِل.

ومثل لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ والزكاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ وصيام رمضان هل هو واجبٌ أم لا؟ أو شك في الحج مع الاستطاعة هل هو واجبٌ في العُمُرِ مرَّةً أم لا؟ فهذه الشكوك كلها كفر أكبر، يُستتاب صاحبها، فإن تاب وآمن وإلا قُتِلَ لقول النبي ﷺ: ((**من بدّل دينه فاقتلوه**)) رواه البخاري في ((الصحيح))[1].

فلا بُدَّ من الإيمان بأنَّ هذه الأمور - أعني الصلاة والزكاة والصيام والحج - كلها حقّ، وواجبة على المسلمين بشروطها الشرعية[2].

---

(1) ورقمه (3017)، وتقدم تخريجه.

(2) انظر: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز

أما الوسوسة العارضة والخطرات، فإنها لا تضرّ إذا دفعها المؤمن، ولم يسكن إليها، ولم تستقرّ في قلبه؛ لقوله ﷺ: ((**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به**))[1].

وعليه أن يعمل الآتي:

1 يستعيذ بالله من الشيطان.
2 ينتهي عما يدور في نفسه[2].
3 يقول آمنت بالله ورسله [3].

القسم الثاني: قوادح دون الكفر:

تضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبها معرضًا للنار وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافرًا، مثل: أكل الربا، وارتكاب المحرَّمات: كالزنا، والبدع، إذا آمن بأن ذلك حرام، ولم يستحلَّه، أما إذا اعتقد أن ذلك حلالٌ صار كافرًا، وغير ذلك مثل الاحتفال بالمولد، وهو ما أحدثه الناس في القرن الرابع وما بعده من الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فيكون ذلك إضعافًا للعقيدة، إلا إذا كان هناك في المولد استغاثة بالرسول ﷺ، فإن هذه البدعة تكون من النوع الأول المُخرِج عن الإسلام.

ومن النوع الثاني كذلك التطيُّر كما يفعل أهل الجاهلية، وقد ردَّ الله عليهم: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾[4]. فالطيرة شرك دون كفر ...وكذلك الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج،قال النبي ﷺ: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**))[5]، انتهى ملخصًا[1].

بن عبد الله ابن باز رحمه الله، ص27-42، بتصرف يسير جدًا.

(1) مسلم،كتاب الإيمان،باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، 116/1.

(2) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ: البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، 110/4، برقم 3276، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، 120/1، برقم 134.

(3) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما قوله من وجدها، 119/1، برقم 134.

(4) سورة النمل، الآية: 47.

(5) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود،

المطلب الخامس: آثار الكفر وأضراره

الكفر له آثار خطيرة، وأضرار جسيمة، منها ما يأتي:

أولاً: شرّ الدنيا والآخرة من أضرار الكفر وآثاره.

ثانياً: الكفر يُسبِّب لصاحبه الضّلال، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيدًا**﴾[2].

ثالثاً: الكفر الأكبر لا يغفره الله لمن مات عليه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا**﴾[3].

رابعاً: الكفر أعظم أسباب الخزي والعار، قال الله ﷻ: ﴿**وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ**﴾[4].

خامساً: يوجب الله لصاحبه النار قال ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾[5].

سادساً: يُحبط جميع الأعمال، قال الله ﷻ: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[7]، وقال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[8]، وقال ﷻ: ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ**

222/3، برقم 2697. ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ومحدثات الأمور، 1344/3، برقم 718.

(1) القوادح في العقيدة للعلامة ابن باز وهي محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في شهر صفر عام 1403هـ، وهي مسجلة عندي بمكتبتي الخاصة،ثم طبعت والحمد لله تعالى في عام 1416هـ، بعنوان: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها،اعتنى بنشرها وعرضها على مؤلفها:خالد بن عبد الرحمن الشايع جزاه الله خيرًا.

(2) سورة النساء، الآية: 167.

(3) سورة النساء، الآيتان: 168 - 169.

(4) سورة التوبة، الآية: 2.

(5) سورة فاطر، الآية: 36.

(6) سورة الفرقان، الآية: 23.

(7) سورة المائدة، الآية: 5.

(8) سورة النور، الآية: 39.

مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾[1].

سابعاً: يوجب الخلود في النار، قال الله ﷻ: **﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾**[2].

ثامناً: يسبب الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، قال الله سبحانه: **﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾**[3].

تاسعاً: أعظم أسباب غضب الله وأليم عقابه، قال الله ﷻ: **﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾**[4].

عاشراً: الكفر يجعل صاحبه أضيق الناس صدرًا، قال الله ﷻ: **﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾**[5].

الحادي عشر: الكفر يطبع على القلب، قال الله تعالى: **﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾**[6].

الثاني عشر: الكفر الأكبر يُبيح الدم والمال عن طريق الجهاد، أو عن طريق ولاة أمر المسلمين.

الثالث عشر: الكفر الأكبر يُوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، ولا يجوز للمؤمنين محبته، ومُوالاته، ولو كان أقرب قريب.

الرابع عشر: الكفر الأصغر يُنقص الإيمان ويُضعفه،ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعا لى وعقابه إذا لم يتب،وهو جنس المعاصي[7].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 18.
(2) سورة البقرة، الآية: 167.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 64.
(4) سورة النحل، الآية: 106.
(5) سورة الأنعام، الآية: 125.
(6) سورة النساء، الآية: 155.
(7) انظر: فتاوى سماحة العلامة ابن باز، 20/4، 45.

الرسالة العاشرة: نُورُ الإيمان وظلمات النِّفَاق

التمهيد:

لاشك أن الله ﷻ نصير المؤمنين، يتولاهم بعونه وتوفيقه، ويخرجهم من ظلمات الكفر، والنفاق، والضلال، والجهل، إلى نور العلم، والإيمان، والهداية،قال ﷻ:﴿**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[1]. وبيّن الله ﷻ أن الذين كفروا نصراؤهم الذين يتولونهم ((الطاغوت))، وهم الأنداد، والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، وكلُّ منِ عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ، وهذه الطواغيت تُخرج من عَبَدَها من نور الإيمان إلى ظلمات الجهل، والكفر، والنفاق، والغفلة، قال الله ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[2].

وسأبين ذلك في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: نور الإيمان

المطلب الأول: مفهوم الإيمان

أولاً: مفهوم الإيمان: لغةً واصطلاحاً:

الإيمان لغةً: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا**﴾[3] أي بمصدّق لنا.

وحقيقة الإيمان: أنه مُركّب من قولٍ وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح. فهذه أربعة أمور جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه، وإيقانه، واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمها.

الثالث: عمل القلب: وهو النيّة، والإخلاص، والمحبّة، والانقياد،

---

(1) سورة البقرة، جزء من الآية: 257.
(2) سورة البقرة، جزء من الآية: 257.
(3) سورة يوسف، الآية: 17.

والإقبال على الله ﷻ، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدَّى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدَّى إلا بها، مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطا إلى المساجد، وإلى الحج، والجهاد في سبيل الله ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان[1].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ((الإيمان... التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب، واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله؛ ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: الإيمان: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله))[2].

ثانياً: الفرق بين الإيمان والإسلام:

في الشرع: أن الإيمان على حالتين:

الحالة الأولى: أن يُطلق الإيمان على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذٍ يراد به الدين كله، كقوله ﷻ: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ**﴾[3]، وهذا المعنى هو الذي قصده السلف بقولهم رحمهم الله: ((إن الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مُسمَّى الإيمان)).

والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقروناً بالإسلام، وحينئذٍ يُفَسَّر **الإيمان** بالاعتقادات الباطنة: كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه،

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص373، ومعارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، 587/2-591، وأصول وضوابط في التكفير، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص 34، وكتاب الإيمان لابن منده، 300/1، 341.

(2) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص9، وانظر: كتاب الإيمان لابن منده، 341/1، وفتاوى ابن تيمية، 505/7.

(3) سورة البقرة، الآية: 257.

ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، كقوله ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ**﴾[1].

ويُفسَّر الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة: كالنطق بالشهادتين والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك من الأعمال[2]، كقوله ﷻ: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[3] الآية، فالإيمان والإسلام إذا افترقا اجتمعا، وإن اجتمعا افترقا، وذلك كالفقير والمسكين، إذا أفرد أحدهما تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كان لكل واحدٍ مسمى يخصه[4].

المطلب الثاني: طرق تحصيل الإيمان وزيادته

الإيمان كمال العبد، وبه ترتفع درجاته في الدنيا والآخرة، وهو السبب والطريق لكل خيرٍ عاجلٍ وآجلٍ، ولا يحصل ولا يقوى، ولا يتمّ إلا بمعرفة ما منه يستمدّ؛ فإنه يحصل ويقوى ويزيد بأمور كثيرة، منها:

أولاً:معرفة أسماء الله الحسنى،الواردة في الكتاب والسنة،والحرص على فهم معانيها،والتعبُّد لله بها،قال الله ﷻ:﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[5]، وقال النبي ﷺ : ((**إن لله تسعاً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**))[6]، أي من حفظها، وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبَّد لله بها، دخل الجنة، فَعُلِمَ أن ذلك أ عظم ينبوع الإيمان، ومادّة لحصوله، وقوته، وثباته؛ **ومعرفة أ سماء الله ﷻ:**

---

(1) سورة النساء، الآية:57.
(2) انظر فتاوى ابن تيمية، 7/13-15، و551-555، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، 2/597-608.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 35.
(4) انظر فتاوى ابن تيمية، 7/551، 575-623، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، 1/104.
(5) سورة الأعراف، الآية: 180.
(6) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ: البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز في الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، 3/242، برقم 2736، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، 4/2063، واللفظ له.

هي أصل الإيمان، وتتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومُستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، بلا تمثيلٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تحريفٍ[1].

ثانياً: تدبّر القرآن على وجه العموم، فإن المتدبِّر لا يزال يستفيد من علوم القرآن، ومعارفه ما يزداد به إيماناً، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وأحكامه، وأنه يُصدِّق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً، ليس فيه تناقض ولا اختلاف، إذا فعل ذلك تيقَّن أنه من عند الله، وهذا من أعظم مقويّات الإيمان[2].

ثالثاً: معرفة أحاديث النبي ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان، وأعماله، كل ذلك من مُحصِّلات الإيمان ومقويّاته، فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ازداد إيمانه ويقينه.

رابعاً: معرفة النبي ﷺ ومعرفة ما هو عليه من الأخلاق العالية، والأوصاف الكاملة؛ فإن من عرفه حق المعرفة لم يرْتَبْ في صدقه، وصدق ما جاء به من الكتاب والدين الحق.

خامساً: التفكر في الكون: في خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات؛ فإن ذلك داعٍ قويٌّ للإيمان؛ لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدالة على قدرة خالقها، وعظمته، وما فيها من الحسن والانتظام، والإحكام الذي يُحيِّر العقول، وكذلك النظر إلى فقر المخلوقات كلِّها، واضطرارها إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغني عنه طرفة عين، وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع، وكثرة الدعاء، والافتقار إلى الله، والتضرّع إليه في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضرّه في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه، وكمال الثقة بوعده، وشدّة الطّمع في برّه وإحسانه، وبهذا يتحقق الإيمان ويقوى.

---

(1) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للعلامة السعدي، ص40.
(2) انظر:مدارج السالكين،لابن القيم،28/2،والتوضيح والتبيان لشجرة الإيمان، للسعدي،ص41.

وكذلك التفكر في كثرة نعم الله العامّة والخاصّة التي لا يخلو منها مخلوق طرفة عين.

سادساً: الإكثار من ذكر الله كل وقت، ومن الدعاء الذي هو العبادة؛ فإن الذكر يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويُغذّيها، ويقوّيها، وكلّما ازداد العبد ذكراً لله قوي إيمانه، ويكون الذكر على كلّ حال: باللسان، والقلب، والعمل، والحال؛ فنصيب العبد من الإيمان على قدر نصيبه من هذا الذكر.

سابعاً: معرفة محاسن الإسلام؛ فإن الدين الإسلامي كله محاسن: عقائده أصحّ العقائد، وأصدقها، وأنفعها، وأخلاقه أجمل الأخلاق، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها، وبهذا النظر يزيّن الله الإيمان في قلب العبد، ويحبّبه إليه، فيجد حلاوة الإيمان، فيتجمّل الباطن بأصول الإيمان، وحقائقه، ويتجمّل الظاهر بأعمال الإيمان.

ثامناً: الاجتهاد في الإحسان في عبادة الله ﷻ، والإحسانِ إلى خلقه؛ فيجتهد الإنسان في عبادة الله كأنه يشاهده، فإن لم يقوَ على ذلك استحضر أن الله يشاهده ويراه، فيجتهد في إكمال العمل وإتقانه، وكذلك الإحسان إلى الخلق: بالقول، والفعل، والمال، والجاه، وأنواع المنافع، فإذا أحسن عبادة الخالق، وأحسن إلى خلقه، وواظب على ذلك قوي إيمانه، ويقينه، ويصل ذلك إلى حقّ اليقين، الذي هو أعلى مراتب اليقين، فيذوق حلاوة الطاعات، ويجد ثمرة المعاملات، وهذا هو الإيمان الكامل.

تاسعاً: الاتّصاف بصفات المؤمنين؛ من الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها، وأداء الزكاة،والإعراض عن اللغو الذي هو كلُّ كلامٍ لا خير فيه،وكل فعلٍ لا خير فيه،بل يقول المسلم الخير، ويفعله،ويترك الشرّ: قولاً، وفعلاً، لاشكّ أن ذلك كله يزيد الإيمان، ويقوّيه، وكذلك العِفَّة عن الفواحش، ورعاية الأمانات والعهود، وحفظها من علامات الإيمان.

عاشراً: الدعوة إلى الله وإلى دينه، والتّواصي بالحقّ والتواصّي بالصّبر، والدعوة إلى أصل الدين، والتزام شرائعه بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذلك يُكَمِّل العبد نفسه، ويكمِّل غيره.

الحادي عشر:الابتعاد عن شُعَبِ الكفر والنفاق،والفسوق والعصيان؛

فإنه لابدّ في الإيمان من فعل جميع الأسباب المقويّة المنميّة له،ولابدّ مع ذلك من دفع الموانع والعوائق،وهي الإقلاع عن المعاصي،والتوبة مما يقع منها،وحفظ الجوارح كلها عن المحرمات،ومقاومة فتن الشبهات القادحة في علوم الإيمان المضعفة له،والشهوات المضعفة لإرادات الإيمان.

الثاني عشر: التقـــرُّب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وتقديم كل ما يحبّه الله على ما سواه عند غَلَبة الهوى.

الثالث عشر: الخلوة بالله وقت نزوله؛ لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدّب بآداب العبودية بين يديه، ثم خَتْمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

الرابع عشر: مجالسة العلماء الصادقين المخلصين؛ وانتقاء أطايب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطايب الثمر[1].

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان وفوائده

الإيمان له فوائد وثمرات لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، فكم له من ذلك في القلب، والبدن، والراحة، والحياة الطيّبة، في الدنيا والآخرة، ومُجملها أن خيرات الدنيا والآخرة، ودفع الشرور كلّها من ثمرات الإيمان، ومن هذه الثمرات والفوائد ما يأتي:

أولاً: الاغتباط بولاية الله ﷻ، قال الله ﷻ: **﴿ألا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾**، ثم وصفهم بقوله: **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾**[2]، وقوله ﷻ: **﴿الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾**[3] أي: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر.

---

(1) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، 17/3، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص40-62.
(2) سورة يونس، الآيتان: 62-63.
(3) سورة البقرة, الآية: 257.

ثانياً: الفوز برضا الله، قال الله ﷻ: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[1]، فنالوا رضوان الله ورحمته، والفوز بهذه المساكن الطيبة، بإيمانهم الذي كمَّلوا به أنفسهم، وكمَّلوا غيرهم بقيامهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحصلوا على أعظم الفوز والفلاح.

ثالثاً: الإيمان الكامل يمنع من دخول النار، والإيمان الضعيف يمنع من الخلود فيها، فإنّ من آمن إيماناً أدّى به جميع الواجبات، وترك جميع المحرَّمات؛ فإنه لا يدخل النار، كما أنه لا يُخلّد في النار من كان في قلبه شيء من الإيمان.

رابعاً: إن الله يدافع عن الذين آمنوا جميع المكاره، وينجيهم من الشدائد، قال الله ﷻ: **﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾**[2] أي: يدافع عنهم كل مكروه، وشرّ شياطين الإنس والجنّ، ويدافع عنهم الأعداء، ويدافع عنهم المكاره قبل نزولها، ويرفعها أو يخفّفها بعد نزولها، قال الله ﷻ: **﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾**[3].

وقال ﷻ: **﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[4].

وقال ﷻ: **﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ**

---

(1) سورة التوبة، الآيتان: 71-72.
(2) سورة الحج، الآية: 38.
(3) سورة الأنبياء، الآيتان: 87-88.
(4) سورة يونس، الآية: 103.

الْـمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَـهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[1].

وقال ﷻ: **﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّه مَخْرَجًا ﴾**[2]، أي من كل ما ضاق على الناس **﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾**[3]، فالمؤمن المتقي يُيسِّر الله له أموره،ويُيسِّره لليُسرَى، ويجنِّبه العُسْرَى،ويُسهِّل عليه الصعاب، ويجعل له من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وشواهد هذا كثيرة من الكتاب والسنة.

خامساً: الإيمان يثمر الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِـحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾**[4]، وذلك أنه من خصائص الإيمان أنه يثمر طمأنينة القلب، وراحته، وقناعته بما رزقه الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيّبة، فإن أصل الحياة الطيّبة: راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوّشه مما يتشوّش منه الفاقد للإيمان الصحيح[5]، والحياة الطيّبة تشمل: الرِّزق الحلال الطيِّب، والقناعة، والسعادة، ولذَّة العبادة في الدنيا، والعمل بالطاعة والانشراح بها[6].

قال الإمام ابن كثير: ((والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله))[7]، قال النبي ﷺ: ((**قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه**))[8]، وقال ﷺ: ((**إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة**

---

(1) سورة الصافات، الآيات: 171-173.
(2) سورة الطلاق، الآية: 2.
(3) سورة الطلاق، الآية: 4.
(4) سورة النحل، الآية: 97.
(5) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص68.
(6) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 2/ 566.
(7) المرجع السابق، 2/ 566.
(8) مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة, 730/2، برقم 1054.

يُجزى بها))[1].

سادساً: إن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتكمل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها؛ من الإيمان والإخلاص، قال الله ﷻ: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ** ﴾[2]، أي لا يُجحد سعيه، ولا يضيع عمله، بل يُضاعف بحسب قوة إيمانه، وقال ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** ﴾[3]، والسعي للآخرة، هو العمل بكل ما يقرب إليها من الأعمال التي شرعها الله على لسان نبيه محمد ﷺ.

سابعاً: صاحب الإيمان يهديه الله إلى الصراط المستقيم، ويهديه في الصراط المستقيم إلى علم الحقّ، والعمل به، وإلى تلقّي المحابّ والمسارّ بالشكر، وتلقّي المكاره والمصائب بالرّضا والصّبر، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ** ﴾[4]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((يُحتمل أن تكون الباء هنا سببية، فتقديره: أي بحسب إيمانهم في الدنيا، يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم، حتى يجوزوه، ويخلصوا إلى الجنة، ويُحتمل أن تكون للاستعانة))، كما قال مجاهد: ((**يهديهم ربهم بإيمانهم**)) قال: ((يكون لهم نوراً يمشون به))[5]، وقيل: يُمثّل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، إذا قام من قبره يُعارض صاحبه، ويُبشّره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيجعل له نوراً من بين يديه، حتى يُدخله الجنة[6].

ثامناً: الإيمان يثمر محبّة الله للعبد،ويجعل محبّته في قلوب المؤمنين، ومن أحبّه الله، وأحبّه المؤمنون حصلت له السعادة، والفلاح، والفوائد الكثيرة من محبّة المؤمنين: من الثناء الحسن، والدعاء له

---

(1) مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، 2162/4، برقم 2808.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 94.
(3) سورة الإسراء، الآية: 19.
(4) سورة يونس، الآية: 9، وانظر: سورة الحج، الآية: 54، وانظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص70.
(5) تفسير القرآن العظيم، 390/2.
(6) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، 27/15، وأسنده إلى قتادة.

حيّاً وميتاً، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾[1].

تاسعاً: حصول الإمامة في الدين، وهذا من أجمل ثمرات الإيمان، أن يجعل الله للمؤمنين الذين كملوا إيمانهم بالعلم والعمل لسان صدقٍ، ويجعلهم أئمةً يهدون بأمره، ويُقتدى بهم، قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾[2]، فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين؛ لأن رأس الإيمان وكماله: الصبر واليقين.

عاشراً: حصول رفع الدرجات، قال الله ﷻ: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾[3]، فهم أعلى الخلق درجة عند الله، وعند عباده في الدنيا والآخرة، وإنما نالوا هذه الرفعة بإيمانهم الصحيح، وعلمهم ويقينهم.

الحادي عشر:حصول البشارة بكرامة الله والأمن التام من جميع الوجوه، كما قال ﷻ:﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]،فأطلقها ليعمَّ الخير العاجل والآجل، والآجل، وقيّدها في مثل قوله ﷻ:﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾[5]،فلهم البشارة المُطلقة والمُقيّدة،ولهم الأمن المطلق في الدنيا والآخرة في مثل قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾[6]، ولهم الأمن المقيد في مثل قوله تعالى:﴿**فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[7]، فنفى عنهم الخوف لما لما يستقبلونه، والحزن مما مضى، وبذلك يتمُّ لهم الأمن، فالمؤمن له

---

(1) سورة مريم، الآية: 96.
(2) سورة السجدة، الآية: 24.
(3) سورة المجادلة، الآية: 11.
(4) سورة البقرة، الآية: 223، وسورة التوبة، الآية: 112، وسورة يونس، الآية: 87، وسورة الأحزاب، الآية: 47، وسورة الصف، الآية: 13.
(5) سورة البقرة الآية: 25.
(6) سورة الأنعام، الآية: 82.
(7) سورة الأنعام، الآية: 48.

الأمن التام في الدنيا والآخرة، وله البشارة بكلّ خير[1].

الثاني عشر: يحصل بالإيمان الثواب المضاعف، وكمال النور الذي يمشي به العبد في حياته، ويمشي به يوم القيامة، ففي الدنيا: يسير بنور علمه وإيمانه، وإذا طفئت الأنوار يوم القيامة مشى بنوره على الصراط حتى يجوز به إلى دار الكرامة والنعيم، وكذلك رتّب الله المغفرة على الإيمان، ومن غفر سيئاته سلم من العقاب، ونال أعظم الثواب، قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**[2].

الثالث عشر: حصول الفلاح والهدى للمؤمنين بسبب إيمانهم، قال الله ﷻ بعد ذكره إيمان المؤمنين بما أنزل على محمد ﷺ، وما أنزل على من قبله، والإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة **﴿أُولَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْـمُفْلِحُونَ ﴾**[3]، فهذا هو الهدى التامّ، والفلاح الكامل، فلا سبيل إلى الهدى والفلاح إلا بالإيمان التامّ.

الرابع عشر: الانتفاع بالمواعظ من ثمرات الإيمان، قال الله ﷻ: **﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْـمُؤْمِنِينَ ﴾**[4]، وهذا؛ لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق، واتباعه، علماً وعملاً، ومعه الآلة العظيمة، والاستعداد لتلقّي المواعظ النافعة، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق، ولا من العمل به.

الخامس عشر:الإيمان يحمل صاحبه على الشكر في حالة السرَّاء، والصبر في حالة الضرَّاء،وكسب الخير في كلّ أوقاته،قال الله ﷻ: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾**[5]، وقال ﷻ:

---

(1) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص77-88.
(2) سورة الحديد, الآية: 28، وانظر: سورة الأنفال، الآية:29.
(3) سورة البقرة، الآية: 5.
(4) سورة الذاريات، الآية: 55.
(5) سورة الحديد، الآيتان: 22-23.

﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾[1]، ولو لم يكن من ثمرات الإيمان إلا أنه يُسلّي صاحبه عن المصائب والمكاره التي كلُّ أحدٍ عرضة لها في كل وقت، ومصاحبة الإيمان واليقين أعظم مسلٍّ عنها؛ قال النبي ﷺ: ((**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر، فكان خيراً له**))[2]، والشكر والصبر هما جماع كلّ خير، فالمؤمن مغتنم للخيرات في كل أوقاته، رابح في كل حالاته، ويجتمع له عند النّعم والسرّاء، نعمتان: نعمة حصول المحبوب، ونعمة التوفيق للشّكر الذي هو أعلى من ذلك، وبذلك تتمّ عليه النعمة، ويجتمع له عند حصول الضرّاء ثلاث نِعَمٍ: نعمة تكفير السيئات، ونعمة حصول مرتبة الصبر التي هي أعلى من ذلك، ونعمة سهولة الضراء عليه؛ لأنه متى عرف حصول الأجر، والثواب، والتمرّن على الصبر هانت عليه المصيبة[3].

السادس عشر: الإيمان الصحيح يدفع الريبة والشك، ويقاوم ويقطع جميع الشكوك التي تعرض لكثير من الناس فتضرّهم في دينهم، وليس لعلل الشكوك التي تُلقيها شياطين الإنس والجنّ، والنّفوس الأمّارة بالسّوء دواء إلا تحقيق الإيمان، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾[4].

وعلاج هذه الوساوس بأربعة أمور:
1 -الانتهاء عن هذه الوساوس الشيطانية.
2 - الاستعاذة من شرّ من ألقاها، وهو الشيطان.
3 - الاعتصام بعصمة الإيمان فيقول: ((آمنت بالله)).
4 - الانتهاء عن التفكير فيها[5].

السابع عشر: الإيمان بالله ﷻ ملجأ المؤمنين في كل ما يلمُّ بهم: من سرور،وحزن،وخوفٍ، وأمنٍ،وطاعة،ومعصية،وغير ذلك من

---

(1) سورة التغابن، الآية: 11.
(2) مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، 2295/4، برقم 2999.
(3) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص71، و88.
(4) سورة الحجرات، الآية: 15.
(5) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص83.

الأمور التي لابدّ لكل أحد منها،فعند المحابّ والسّرور يلجؤون إلى الإيمان، فيحمدون الله،ويُثنون عليه،ويستعملون النعم فيما يحبّ،وعند المكاره والأحزان يلجؤون إلى الإيمان من جهات عديدة: يتسلّون بإيمانهم وحلاوته،ويتسلّون بما يترتّب على ذلك من الثواب، ويقابلون الأحزان والقلق براحة القلب،والرجوع إلى الحياة الطيبة المقاومة للأحزان، ويلجؤون إلى الإيمان عند الخوف، فيطمئنّون إليه ويزيدهم إيماناً،وثباتاً، وقوة،وشجاعة،ويضمحلُّ الخوف الذي أصابهم،كما قال الله تعالى عن الصحابة ﷺ:﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

الثامن عشر:الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في المُوبقات المُهلكة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ...**))[2],ومن وقع منه ذلك؛فلضعف إيمانه،وذهاب نوره، وزوال الحياء من الله،وهذا معروف مُشاهد،والإيمان الصحيح الصادق، يصحبه الحياء من الله، والحبّ له، والرّجاء القويّ لثوابه، والخوف من عقابه، ورغبته في اكتساب النور، وهذه الأمور تأمر صاحبها بكل خير، وتزجره عن كل شرّ.

التاسع عشر: خير الخليقة قسمان: هم أهل الإيمان، فعن أبي موسى ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ريحها طيّب، وطعمها طيّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها، وطعمها حلوٌ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيّب وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح، وطعمها مر**))[3], فالناس أربعة أقسام:

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 173- 174.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، 146/3، برقم 2475، ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، 76/1، برقم 57.

(3) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، 549/1، برقم

القسم الأول: خير في نفسه، متعدٍ خيره إلى غيره، وهو خير الأقسام، فهذا المؤمن الذي قرأ القرآن،

وتعلّم علوم الدين، فهو نافع لنفسه، نافع لغيره، مبارك أينما كان.

القسم الثاني: طيّب في نفسه، صاحب خير، وهو المؤمن الذي ليس عنده من العلم ما يعود به على غيره، فهذان القسمان هما خير الخليقة، والخير الذي فيهم عائد إلى ما معهم من الإيمان القاصر، والمتعدي نفعه إلى الغير بحسب أحوال المؤمنين.

القسم الثالث: من هو عادم للخير، ولكنه لا يتعدَّى ضرره إلى غيره.

القسم الرابع:من هو صاحب شر على نفسه وعلى غيره،فهذا شرّ الأقسام.

فعاد الخير كله إلى الإيمان وتوابعه، وعاد الشر إلى فقد الإيمان والاتّصاف بضدِّه[1].

العشرون: الإيمان يثمر الاستخلاف في الأرض، قال الله ﷻ: **﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[2].

الحادي والعشرون: الإيمان ينصر الله به العبد، قال الله ﷻ: **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[3].

الثاني والعشرون: الإيمان يثمر للعبد العزّة، قال الله ﷻ: **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**[4].

.797

(1) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، ص63-90.
(2) سورة النور، الآية: 55.
(3) سورة الروم، الآية: 47.
(4) سورة المنافقين، الآية: 8.

الثالث والعشرون: الإيمان يثمر عدم تسليط الأعداء على المؤمنين، قال الله ﷻ: **﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾**[1].

الرابع والعشرون: الأمن التامّ والاهتداء، قال الله ﷻ: **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾**[2].

الخامس والعشرون: حفظ سعي المؤمنين؛ قال الله ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾**[3].

السادس والعشرون: زيادة الإيمان للمؤمنين؛ قال الله ﷻ: **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾**[4].

السابع والعشرون:نجاة المؤمنين،قال الله ﷻ في قصة يونس:**﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾**[5].

الثامن والعشرون: الأجر العظيم لأهل الإيمان، قال الله ﷻ: **﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾**[6].

التاسع والعشرون: معيّة الله لأهل الإيمان، وهي المعية الخاصة: معية التوفيق والإلهام والتسديد، قال الله ﷻ: **﴿وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾**[7].

الثلاثون: أهل الإيمان في أمن منَ الخوف والحزن، قال الله ﷻ: **﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾**[8].

الحادي والثلاثون: الأجر الكبير: قال الله ﷻ: **﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**

---

(1) سورة النساء، الآية: 141.
(2) سورة الأنعام، الآية: 82.
(3) سورة الكهف، الآية: 30.
(4) سورة التوبة، الآية: 124.
(5) سورة الأنبياء، الآية: 88.
(6) سورة النساء، الآية: 146.
(7) سورة الأنفال، الآية: 19.
(8) سورة الأنعام، الآية: 48.

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1].

الثاني والثلاثون: الأجر غير الممنون، قال الله ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾**[2].

الثالث والثلاثون: القرآن إنما هو هُدىً ورحمةٌ للمؤمنين[3]، وشفاءٌ ورحمة[4]، وهو لهم هدى وشفاء[5].

الرابع والثلاثون: أهل الإيمان: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[6].

المطلب الرابع: شُعَب الإيمان

الإيمان له شُعَبٌ كثيرة، وهذا يدلّ على أن الإيمان إذا أُفرد شمل الدين كله، وقد بيّن النبي ﷺ شُعب الإيمان إجمالاً وتفصيلاً.

أمّا الإجمال، فقد ورد في حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**))، وفي رواية: ((**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستّون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**))[7].

وقد ذكر الإمام أبو بكر البيهقي سبعاً وسبعين شعبة من شعب الإيمان[8]، وهذه الشعب باختصار على النحو الآتي:

1 - الإيمان بالله ﷻ.
2 - الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 9.
(2) سورة فصلت، الآية: 8.
(3) انظر: سورة يونس، الآية: 57.
(4) انظر سورة الإسراء، الآية: 82.
(5) انظر سورة فصلت، الآية: 24.
(6) سورة الأنفال، الآية: 4.
(7) متفق عليه، واللفظ لمسلم: البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، 10/1، برقم 9، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، 63/1، برقم35.
(8) ذكر ذلك في سبعة مجلدات، وشرحها شرحاً نفيساً بالأحاديث بسنده.

3 - الإيمان بالملائكة.
4 - الإيمان بالقرآن الكريم، وجميع الكتب المنزلة.
5 - الإيمان بالقدر خيره وشره من الله ﷻ.
6 - الإيمان باليوم الآخر.
7 - الإيمان بالبعث بعد الموت.
8 - الإيمان بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف.
9 - الإيمان بأن دار المؤمنين الجنة، ودار الكافرين النار.
10 -الإيمان بوجوب محبة الله ﷻ.
11 -الإيمان بوجوب الخوف من الله ﷻ[1].
12 -الإيمان بوجوب الرجاء من الله ﷻ.
13 -الإيمان بوجوب التوكل على الله ﷻ.
14 -الإيمان بوجوب محبّة النبي ﷺ.
15 -الإيمان بوجوب تعظيم النبي ﷺ، وتبجيله، وتوقيره بدون غلوّ.
16 -حبّ المرء لدينه حتى يكون القذف في النار أحبّ إليه من الكفر.
17 -طلب العلم: وهو معرفة الله، ودينه، ونبيّه ﷺ بالأدلّة.
18 -نشر العلم، وتعليمه للناس.
19 -تعظيم القرآن الكريم: بتعلّمه، وتعليمه، وحفظ حدوده، وأحكامه، وعلم حلاله، وحرامه، وتبجيل أهله، وحفظه[2].
20 -الطهارة والمحافظة على الوضوء.
21 -المحافظة على الصلوات الخمس.
22 -أداء الزكاة.
23 -الصيام: الفرض والنفل.
24 -الاعتكاف.
25 -الحج[3].
26 -الجهاد في سبيل الله ﷻ.
27 -المرابطة في سبيل الله ﷻ.
28 -الثبات للعدو وترك الفرار من الزّحف.
29 -أداء الخُمس من المغنم إلى الإمام، أو نائبه على الغانمين.
30 -العتق بوجه التقرّب إلى الله ﷻ.

---

(1) هذه الشعب في المجلد الأول من شعب الإيمان للبيهقي، 1/103-463.
(2) هذه الشعب من رقم 12-19، في المجلد الثاني من شعب الإيمان للبيهقي، 2/3-548.
(3) هذه الشعب من رقم 20-25، في المجلد الثالث من شعب الإيمان للبيهقي، 3/3-494.

31 -الكفّارات الواجبة بالجنايات، وهي في الكتاب والسنة أربع: كفّارة القتل، وكفّارة الظهار، وكفّارة اليمين، وكفّارة المسيس في صوم رمضان.
32 -الإيفاء بالعقود.
33 -تعديد نعم الله ﷻ، وما يجب من شكرها.
34 -حفظ اللسان عمّا لا يُحتاج إليه.
35 -حفظ الأمانات، ووجوب أدائها إلى أهلها.
36 -تحريم قتل النفس، والجنايات عليها.
37 -تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفّف.
38 -قبض اليد عن الأموال المحرّمة، ويدخل فيها: تحريم السرقة، وقطع الطريق، وأكل الرّشاء، وأكل ما لا يستحقّه شرعاً[1].
39 -وجوب التورّع في المطاعم والمشارب، واجتناب ما لا يحلّ منها.
40 -ترك الملابس والزّيّ والأواني المحرّمة والمكروهة.
41 -تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة.
42 -الاقتصاد في النفقة، وتحريم أكل المال بالباطل.
43 -ترك الغلّ والحسد.
44 -تحريم أعراض الناس، وما يلزم من ترك الوقوع فيها.
45 -إخلاص العمل لله ﷻ، وترك الرّياء.
46 -السرور بالحسنة، والاغتمام بالسيئة.
47 -معالجة كلّ ذنبٍ بالتّوبة النصوح.
48 -القرابين وجملتها: الهدي، والأضحية، والعقيقة[2].
49 -طاعة أولي الأمر.
50 -التمسك بما عليه الجماعة.
51 -الحكم بين الناس بالعدل.
52 -الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
53 -التعاون على البر والتقوى.
54 -الحياء.
55 -برّ الوالدين.
56 -صلة الأرحام.

---

(1) هذه الشعب من رقم 26-38، في المجلد الرابع من شعب الإيمان للبيهقي، 3/4-398.
(2) هذه الشعب من رقم 39-48، في المجلد الخامس من شعب الإيمان للبيهقي، 3/5-485.

57 -حسن الخلق.
58 -الإحسان إلى المماليك.
59 -حقّ السّادة على المماليك.
60 -القيام بحقوق الأولاد والأهلين.
61 -مقاربة أهل الدين، وموادتهم، وإفشاء السلام، والمصافحة لهم.
62 -ردّ السلام.
63 -عيادة المريض[1].
64 -الصلاة على من مات من أهل القبلة.
65 -تشميت العاطس.
66 -مباعدة الكفار والمفسدين، والغلظة عليهم.
67 -إكرام الجار.
68 -إكرام الضيف.
69 -الستر على أصحاب الذّنوب.
70 -الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذَّة وشهوةٍ.
71 -الزّهد، وقصر الأمل.
72 -الغيرة، وترك المذاء.
73 -الإعراض عن الغلوّ.
74 -الجود والسّخاء.
75 -رحمة الصغير، وتوقير الكبير.
76 -إصلاح ذات البين.
77 -أن يحبّ المرء لأخيه المسلم ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق، المشار إليه في الحديث[2].

المطلب الخامس: صفات المؤمنين

المؤمنون لهم صفات كريمة وأعمال عظيمة، وصفهم الله بها، وأثنى عليهم، ومن هذه الصفات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

---

(1) هذه الشعب من رقم 49- 63، في المجلد السادس من شعب الإيمان للبيهقي، 3/6-547.

(2) هذه الشعب من رقم 64-77، في المجلد السابع من شعب الإيمان للبيهقي، 3/7-540.

أولاً: قال الله ﷻ: **﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**[1].

وقد ظهر في هذه الآيات صفات عظيمة من صفات المؤمنين وهي:

1 -طاعة الله ورسوله ﷺ.
2 - خوف الله ورهبته وخشيته ﷻ.
3 - زيادة الإيمان عند سماع القرآن، لتدبرهم له.
4 - التوكل والاعتماد على الله ﷻ مع العمل بالأسباب.
5 - إقام الصلاة: من فرائض ونوافل بأعمالها الظاهرة والباطنة.
6 - الإنفاق الواجب: كالزكوات، والكفّارات، والنفقة على من تجب نفقته، والصّدقة في طريق الخير.

ثانياً: قول الله تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[2].

ففي هذه الآية صفات عظيمة اتصف بها المؤمنون وهي:

1 -موالاة المؤمنين، ومحبّتهم في الله تعالى، ونصرتهم.
2 - الأمر بالمعروف، وهو اسم جامعٌ لكلّ ما عُرف حسنه: من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة.
3 - النهي عن المنكر، وهو كلّ ما خالف المعروف، وناقضه: من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.
4 - إقام الصلاة بأعمالها الظاهرة والباطنة، من فرضٍ ونفل.
5 - إعطاء الزكاة لأهلها بأصنافهم الثمانية.
6 - طاعة الله ورسوله ﷺ، وملازمة ذلك في جميع الأحوال.

ثالثاً: قال الله ﷻ: **﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ***

---

(1) سورة الأنفال، الآيات: 1-3.
(2) سورة التوبة، الآية: 71.

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

فظهر في هاتين الآيتين صفات عظيمة من صفات أهل الإيمان، وهي على النحو الآتي:

1 -القتال في سبيل الله، وبذل الجهد والطاقة في ذلك.
2 - التوبة من جميع الذنوب وملازمتها في جميع الأوقات.
3 - العبودية لله ﷻ بالقيام بجميع الواجبات، والمستحبّات، والابتعاد عن جميع المحرّمات والمكروهات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين.
4 - الحمد لله في السّراء والضرّاء، والثناء عليه بنعمه، والاعتراف بالنعم الظاهرة والباطنة.
5 - السياحة في السفر بطلب العلم، والحجّ والعمرة، والجهاد، وصلة الأقارب ونحو ذلك، كصيام النفل المشروع.
6 - الإكثار من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود.
7 - الأمر بالمعروف، ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبّات.
8 - النهي عن المنكر: ويدخل فيه كل ما نهى عنه الله ورسوله ﷺ.
9 - تعلم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لذلك فعلاً وتركاً.

رابعاً: قال الله ﷻ: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾**[2]. وهذه الصفات في هذه الآيات على النحو الآتي:

1 -الخشوع في الصلاة، وحضور القلب بين يدي الله ﷻ فيها.
2 - الإعراض عن اللغو الذي لا خير فيه؛ فإن من أعرض عن ذلك

---

(1) سورة التوبة، الآيتان: 111-112.
(2) سورة المؤمنون، الآيات: 1-11.

كان إعراضه عن المحرّم من بابِ أولى.
3 - تأدية زكاة الأموال وتزكية النفوس من أدناس الأخلاق، وذلك بتركها.
4 - حفظ الفروج عن الزنا، وتجنّب ما يكون وسيلة إلى ذلك: كالنظر، والخلوة، واللمس.
5 - حفظ الأمانات سواء كانت من حقوق الله أو حقوق العباد،والآية عامة.
6 - حفظ العهود والمواثيق بين العبد وبين الله وبين الإنسان وبين العباد.
7 - المحافظة على الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها ومستحبّاتها.

وغير ذلك من صفات المؤمنين في كتاب الله ﷻ ، وأسأل الله ﷻ أن يوفقني وجميع المسلمين للاتّصاف بهذه الصفات الكريمة.

المبحث الثاني: ظلمات النفاق

المطلب الأول: مفهوم النفاق

أولاً: مفهوم النفاق لغةً وشرعاً:

النفاق:لغةً:النفق سرب في الأرض، مشتق إلى موضع آخر،وفي التهذيب: له مخلص إلى مكان آخر، والنفقة والنافقاء، جحر الضبّ واليربوع، وقيل: النفقة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أُتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج، ونفِق اليربوع ونَفق ((بالفتح)) وانتفق، ونفق: خرج منه. ونفق اليربوع تنفيقاً، ونافق، أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنِّفاق بالكسر، فعل النافق، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر[1].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لتتبعنَّ سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍ لاتَّبعتموهم**))، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((**فمَنْ؟**)) [2].

---

(1) النفاق وآثاره ومفاهيمه، تأليف الشيخ عبد الرحمن الدوسري، ص105-106 .
(2) مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، 2054/4، برقم 2669 .

والنفاق: شرعاً: كما قال ابن كثير رحمه الله: ((النفاق: هو إظهار الخير، وإسرار الشرّ، وهو أنواع: اعتقاديٌّ، وهو الذي يخلّد صاحبه في النار، وعمليٌّ وهو أكبر من الذنوب، قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسرّه علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه))[1].

والنفاق نوعان: أكبر يُخرج من الملّة، وأصغر لا يُخرج من الملّة[2].

ثانياً: مفهوم الزنديق:

الزنديق: الزنديق بالكسر من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة، وبالرّبوبية، أو من يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((الزنديق في عُرْف الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ، وهو أن يُظهر الإسلام، ويُبطن غيره، سواء أبطن ديناً من الأديان، كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطّلاً جاحداً للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة.

ومن الناس من يقول:الزنديق هو الجاحد المعطّل،وهذا يُسمَّى في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة،ونقلة مقالات الناس،ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه هو الأوّل؛لأن مقصودهم هو التمييز بين الكافر،وغير الكافر،والمرتدّ وغير المرتدّ،ومن أظهر ذلك أو أسرّه.

وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفّار، والمرتدّين، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والردة؛ فإن الله أخبر بزيادة الكفر، كما أخبر بزيادة الإيمان بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**﴾[4]، وتارك الصلاة وغيرها من الأركان، أو مرتكبي الكبائر، كما

---

(1) تفسير ابن كثير، 48/1 عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 8]، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري، 268/1-272 .
(2) انظر: قضية التكفير، للمؤلف، ص68، 132-134 .
(3) القاموس المحيط، فصل الزاي، باب القاف، ص1151 .
(4) سورة التوبة، الآية: 37.

أخبر بزيادة عذاب بعض الكفّار على بعض في الآخرة بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ**﴾[1].

فهذا أصل ينبغي معرفته؛ فإنه مهمٌّ في هذا الباب؛ فإن كثيراً ممن تكلّم في ((مسائل الإيمان والكفر)) لتكفير أهل الأهواء لم يلحظوا هذا الباب، ولم يُميِّزوا بين الحكم الظاهر والباطن، مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة، والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ومن تدبَّر هذا علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع قد يكون: مؤمناً مخطئاً، جاهلاً ضالاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

وقد يكون منافقاً زنديقاً يظهر خلاف ما يبطن))[2].

المطلب الثاني: أنواع النفاق

النفاق: نفاقان: نفاق دون نفاق، أو نفاق مُخْرِجٌ من الملّة، ونفاق لا يُخرج من الملّة[3].

أولاً: النفاق الأكبر:

وهو أن يُظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ويُبطن ما يُناقض ذلك كلّه أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذمِّ أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار[4].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعض صور النفاق الأكبر فقال: ((فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أُبيٍّ وغيره، بأن يُظهر: تكذيب الرسول ﷺ، أو جحود بعض ما جاء به، أو بُغضه، أو عدم اعتقاد وجوب طاعته، أو المسرّة بانخفاض دينه، أو المساءَة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله، وهذا القدر

---

(1) سورة النحل، الآية: 88.
(2) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 471/7.
(3) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، 347/1-359.
(4) جامع العلوم والحكم للإمام ابن رجب رحمه الله تعالى، 480/2، وانظر: صفات المنافقين لابن القيم، ص4.

كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ، ومازال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده ﷺ...))[1].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: ((... **فأما النفاق الاعتقاديّ فهو ستة أنواع**: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدّرك الأسفل من النار))[2].

فيتحصل مما ذكره هذان الإمامان أنواعٌ أو صفاتٌ للنفاق الأكبر، وهي على النحو الآتي:

1 - تكذيب الرسول ﷺ.
2 - تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
3 - بغض الرسول ﷺ.
4 - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
5 - المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
6 - الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.
7 - عدم اعتقاد وجوب تصديقه ﷺ فيما أخبر به.
8 - عدم اعتقاد وجوب طاعته ﷺ فيما أمر به.

وغير ذلك مما دلّ القرآن الكريم أو السنة المطهَّرة على أنه من النفاق الأكبر المخرج من ملّة الإسلام[3].

ثانياً: النفاق الأصغر:

وهو النفاق العملي: وهو أن يظـهر الإنسـان علانيةً صالحةً، ويُبطن ما يُخالف ذلك وأصول هذا النفاق ترجع إلى حديث عبد الله بن عمر، وعائشة ﷺ، وهي خمسة أنواع:

1 -أن يحدّث بحديث لمن يصُدّقه به، وهو كاذبٌ له.
2 - إذا وعد أخلف، وهو على نوعين:

النوع الأول: أن يعِدَ ومن نيّته أن لا يفي بوعده، وهذا أشرُّ

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، 434/28 .
(2) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، ص7 .
(3) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، للدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي ،160/2.

الخلف، ولو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى، ومن نيّته أن لا يفعل كان كذباً وخُلْفاً. قاله: الأوزاعي.

النوع الثاني: أن يعِدَ ومن نيته أن يفي، ثم يبدو له، فيخلف من غير عذر له في الخلف.

3 -إذا خاصم فجر، ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً، والباطل حقاً، وهذا مما يدعو إلى الكذب.

4 -إذا عاهد غدر ولم يفِ بالعهد، والغدر حرام في كل عهدٍ بين المسلمين وغيرهم، ولو كان المعاهَد كافراً.

5 -الخيانة في الأمانة،فإذا اؤتمن المسلم أمانة،فالواجب عليه أن يؤدّيها.

وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كُلّه يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، واختلاف القلب واللسان، واختلاف الدخول والخروج؛ ولهذا قالت طائفة من السلف: خشوع النفاق: أن ترى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع[1].

وهذا النفاق لا يُخرج من الملّة، فهو ((نفاق دون نفاق))؛ لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**))[2]؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان**))[3].

ثالثاً: الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

1 -النفاق الأكبر يُخرج من الملّة، والأصغر لا يُخرج من الملّة[4].

2 - النفاق الأكبر يُحبط جميع الأعمال.

---

(1) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، 2/480-495، فقد أعطى الموضوع حقه، وذكر فوائد جمة فلتراجع. وانظر: مجموعة التوحيد، ص7.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، 1/17، برقم 34، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، 1/78، برقم 58.

(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، 1/16، برقم 33، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، 1/78، برقم 59.

(4) انظر؛ كتاب التوحيد، للدكتور، صالح الفوزان، ص18.

3 - النفاق الأكبر اختلاف السرّ والعلانية في الاعتقاد، والأصغر اختلاف السرّ والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد[1].
4 - النفاق الأكبر يُخلّد صاحبه في النار إذا مات عليه،والأصغر لا يُخلده.
5 - النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، أما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.
6 - النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه[2]، وإذا تاب فقد اختلف في توبته في الظاهر عند الحاكم؛ لكون ذلك لا يُعلَم، إذْ هم دائماً يُظهرون الإسلام[3].

المطلب الثالث: صفات المنافقين

المنافقون لهم صفات كثيرة، بيّنها الله ﷻ في كتابه الكريم، وبيّنها النبي ﷺ، ولاشك أن ذكر الله ﷻ لصفات المنافقين فيه فوائد عظيمة، منها:

1 - نعمة الله ﷻ على المؤمنين بإخبارهم عن أحوال المنافقين وصفاتهم حتى يبتعدوا عنها.
2 - تهديد المؤمنين من سلوك مسالك المنافقين والتحذير من الاتصاف بصفاتهم.
3 - حض المؤمنين على الصدق مع الله، وتصفية سرائرهم، وإسلام وجوههم لله.

وصفات المنافقين كثيرة، منها على سبيل المثال ما يأتي:

أولاً: قال الله ﷻ: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾**[4]، فظهر في هذه الآيات أن من صفات المنافقين هذه الخصال القبيحة الآتية:

1 - **يقولون آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ.**
2 - **يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا.**

---

(1) انظر: كتاب التوحيد، للفوزان، ص18.
(2) انظر: كتاب التوحيد، للفوزان، ص18.
(3) انظر: فتاوى ابن تيمية، 28/ 334.
(4) سورة البقرة، الآيات: 8-20 .

3 - **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**
4 - **وَإِذَا قِيلَ لَـهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ.**
5 - **وَإِذَا قِيلَ لَـهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ.**
6 - **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ** إلى كبرائهم ورؤسائهم **قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ.**
7 - يشترون **الضَّلاَلَةَ بِالْـهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ.**

ثانياً: قال الله ﷻ: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْـخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْـحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْـمِهَادُ﴾**[1]، فظهر من صفات المنافقين في هذه الآيات ما يأتي:

1 -حُسن القول المُعجب الذي يكون له وقع في القلوب.
2 - توسيط الله بجعله شاهداً على هذا القول، وموثقاً له، وهذا من أعظم الجناية على الله ﷻ.
3 - المهارة في الجدل، وقوة الإقناع؛ لقمع كل معارضة تقف أمامه.
4 - إذا اختفى عن الناس وذهب عنهم وانصرف، اجتهد في عمل المعاصي التي هي فساد في الأرض.
5 - إذا أُمر بتقوى الله تكبّر، وأخذته العزّة بالإثم، فجمع بين العمل بالجرائم والتكبر.

ثالثاً: قال الله ﷻ: **﴿بَشِّرِ الْـمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَـهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْـمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾**[2]، فمن صفات المنافقين في هاتين الآيتين ما يأتي:

1 -أنهم يوالون الكفار، ويحبّونهم وينصرونهم.
2 - يعتزّون بالكفّار، ويستنصرون بهم.

---

(1) سورة البقرة، الآيات: 204-206 .
(2) سورة النساء، الآيتان: 138-139 .

رابعاً: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾[1]، فظهر في هاتين الآيتين أن من صفات المنافقين ما يأتي:

1 - يخادعون الله، وهو خادعهم.
2 - إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.
3 - يراؤن الناس بأعمالهم.
4 - لا يذكرون الله إلا قليلاً.
5 - متردِّدون بين فريقٍ من المؤمنين وفريقٍ من الكافرين.

خامساً: قال الله تعالى في شأن المنافقين: ﴿**قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾[2]، فظهر في هاتين الآيتين صفات قبيحة من صفات المنافقين، هي على النحو الآتي:

1 -وصفهم الله بالفسق فقال: ﴿**إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾.
2 - كفروا بالله وبرسوله.
3 - لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى.
4 - لا ينفقون إلا وهم كارهون.

وفي هذه الصفات غاية الذمّ للمنافقين ولمن فعل فعلهم، فينبغي لكل أحد أن يبتعد عن الفسق، ويُؤمن بالله ورسوله ﷺ، ويأتي الصلاة وهو نشيط البدن والقلب، ويُنفق وهو مُنشرح الصدر، ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبّه بالمنافقين.

سادساً: قال الله ﷻ: ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾[3]،

---

(1) سورة النساء، الآيتان: 142-143 .
(2) سورة التوبة، الآيتان: 53-54 .
(3) سورة التوبة، الآيات: 64-66 .

فالمنافقون يستهزئون بالله ورسوله، والمؤمنين، وقد فضحهم الله ﷻ وبيّن صفاتهم للمؤمنين.

سابعاً: قال الله ﷻ: **﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾**[1]، فظهر في هاتين الآيتين بعض صفات المنافقين الآتية:

1 -المنافقون بعضهم من بعض: يتولّى بعضهم بعضاً.
2 - يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.
3 - يقبضون أيديهم عن الصدقة وطرق الإحسان، فهم من أبخل الناس.
4 - نسوا الله فلا يذكرونه إلا قليلاً، فنسيهم من رحمته، فلا يوفّقهم لخير.
5 - إن المنافقين هم الفاسقون.

ثامناً: قال الله ﷻ: **﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾**[2]، فالمنافقون ظهر لهم صفات في هاتين الآيتين، منها ما يأتي:

1 - يلمزون المطوّعين في الصدقات: يلمزون المكثر في الصدقة فيقولون: قصد بنفقته الرياء، والسّمعة، ويلمزون المقلّ الفقير فيقولون: إن الله غنيٌّ عن صدقة هذا.
2 - السخرية بالمؤمنين.
3 - كفروا بالله ورسوله.

تاسعاً: قال الله ﷻ: **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ**

---

(1) سورة التوبة، الآيتان: 67-68 .
(2) سورة التوبة، الآيتان: 79-80 .

لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[1]، فالمنافقون إذا أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض جازمين على ترك العمل بها، وينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ثم انصرفوا مُتسلّلين، وانقلبوا مُعرضين، فجازاهم الله بعقوبةٍ من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل صرف الله قلوبهم، وصدّها عن الحق، وخذلها بأنهم قوم لا يفقهون فقهاً ينفعهم؛ فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا أُنزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها[2]، كما قال ﷻ: **﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾**[3].

وقال سبحانه: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾**[4].

عاشراً: قال النبي ﷺ: ((**تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً**))[5]، فظهر في هذا الحديث صفتان من صفات المنافقين، هما:

1 -تأخير الصلاة عن وقتها.

2 - ينقر الصلاة، ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً.

الحادي عشر: قال الرسول ﷺ: ((**إنَّ أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوها ولو حبواً...**))[6].

فظهر أن صفات المنافقين إجمالاً على النحو الآتي:

1 - يدّعون الإيمان، وهم كاذبون.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 127 .

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص313 .

(3) سورة محمد، الآية: 16 .

(4) سورة الجاثية، الآية: 23 .

(5) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر، 434/1, برقم 622 .

(6) متفق عليه، من حديث أبي هريرة ﷺ: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة العشاء في جماعة، 181/1، برقم 658، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، 451/1، برقم 651 .

2 - يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم.
3 - في قلوبهم مرض، فزادهم الله مرضاً.
4 - يدَّعون الإصلاح، وهم المفسدون.
5 - يرمون المؤمنين بالسَّفَه.
6 - يستهزئون بالمؤمنين، ويسخرون منهم.
7 - يشترون الضلالة بالهدى.
8 - قولهم حسن، وهم ألدُّ الخصام.
9 - يُشهدون الله على ما في قلوبهم، وهم كاذبون.
10 - ماهرون في الجدل بالباطل.
11 - إذا اختفوا عن الناس اجتهدوا في الباطل.
12 - إذا قيل لهم اتّقوا الله أخذتهم العزة بالإثم.
13 - يوالون الكفار، وينصرونهم، ويخدمونهم.
14 - يعتزّون بالكفار، ويستنصرون بهم.
15 - إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.
16 - يراؤن الناس بأعمالهم.
17 - لا يذكرون الله إلا قليلاً.
18 - متردِّدون بين الكفار والمؤمنين.
19 - يكفرون بالله ورسوله ﷺ.
20 - المنافقون هم الفاسقون.
21 - لا ينفقون إلا وهم كارهون.
22 - المنافقون يتولّى بعضهم بعضاً.
23 - يقبضون أيديهم فلا ينفقون في طرق الخير.
24 - يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.
25 - نسوا الله فنسيهم.
26 - يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات.
27 - يؤخّرون الصلاة عن وقتها.
28 - ينقرون الصلاة، ولا يذكرون الله فيها إلا قليلاً.
29 - أثقل الصلوات عليهم العشاء والفجر.
30 - يتأخّرون عن صلاة الجماعة.
31 - قلوبهم قاسية، وعقولهم قاصرة.
32 - لم يرضوا بالإسلام ديناً.
33 - يأخذون من الدين ما وافق رغباتهم.
34 - يقولون ما لا يفعلون.
35 - يُظهرون الشجاعة في السلم، وجبناء في الحرب.
36 - لا يتحاكمون إلى الله ورسوله ﷺ.

37 - يجدون الحرج والضيق في أنفسهم من حكم الله ورسوله ﷺ.
38 - يُخذِّلون المؤمنين عن الجهاد.
39 - ييأسون من رحمة الله، وينقطع أملهم في نصره.
40 - يقصدون بجهادهم الدنيا، وإذا يئسوا من ذلك تثاقلوا.
41 - يفجرون في المخاصمة.
42 - يحاربون الإسلام وأهله عن طريق الخفية والتسمِّي به.
43 - لا يهمّهم إلا مصالحهم الذاتية.
44 - يطعنون في العلماء المخلصين بالكذب وتغيير الحقائق.
45 - يُثيرون الشبهات حول الإسلام، ليصدّوا الناس عن الدخول فيه.
46 - يُبغضون أنصار الدين.
47 - يكذبون في الحديث.
48 - يخونون الله ورسوله والمؤمنين.
49 - يُخلفون الوعد.
50 - لكل واحد منهم وجهان: وجه للمؤمنين، ووجه لأعداء الدين.
51 - لا يعقلون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يُفيدهم، ولا ينظرون إلى آيات الله التي تدلّ على قدرته.
52 - تسبق يمين أحدهم كلامه لعلمه أن قلوب المؤمنين لا تطمئن إليه.
53 - قلوبهم عن الخير لاهية، وأجسادهم إليه ساعية.
54 - أخبث الناس قلوباً، وأحسنهم أجساماً.
55 - يُسِرُّون سرائر النفاق، فأظهرها الله على وجوههم وألسنتهم.
56 - ينقضون العهد من أجل الدنيا.
57 - يسخرون بالقرآن الكريم.

فهذه صفات المنافقين، فاحذرها أيها المسلم قبل أن تنزل بك القاضية.

وهذه الصفات من باب الأمثلة[1]، وصفات المنافقين كثيرة في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

المطلب الرابع: آثار النفاق وأضراره

النفاق له آثار خطيرة، وأضرار مُهلكة، منها ما يأتي:

---

(1) وانظر: صفات المنافقين لابن القيم، ص4، والمنافقون في القرآن الكريم للدكتور عبد العزيز الحميدي، ص441.

1 - النفاق الأكبر بسبّب الخوف والرّعب في القلوب، قال الله ﷻ: **﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾**[1].

2 - النفاق الأكبر يُوجب لعنة الله تعالى، قال الله ﷻ: **﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾**[2].

وقال سبحانه: **﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا ﴾**[3].

3 - النفاق الأكبر يُخرج صاحبه من الإسلام؛ لأنه إسرار الكفر، وإظهار الخير، بل هو أشدُّ من الكفر الظاهر، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾**[4].

4 - النفاق الأكبر لا يغفره الله إذا مات عليه صاحبه؛ لأنه أشدُّ من الكفر الظاهر الذي قال الله تعالى في أصحابه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾** [5].

5 - النفاق الأكبر يوجب لصاحبه النار، ويُحرِّم عليه الجنة، قال الله ﷻ: **﴿إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾** [6].

6 - النفاق الأكبر يُخلِّد صاحبه في النار، فلا يخرج منها أبداً؛ لقول الله ﷻ: **﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾**[7].

7 - النفاق الأكبر يُسبّب نسيان الله لصاحبه، قال الله تعالى: **﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ**

---

(1) سورة التوبة، الآية: 64.
(2) سورة التوبة: الآية: 68.
(3) سورة الأحزاب، الآيتان: 60-61.
(4) سورة النساء، الآية: 145.
(5) سورة النساء، الآيتان: 168-169.
(6) سورة النساء، الآية: 140.
(7) سورة التوبة، جزء من الآية: 68.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

8 - النفاق الأكبر يُحبط جميع الأعمال، قال الله ﷻ: **﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾**[2].

9 - النفاق الأكبر يُطفئ الله نور أصحابه يوم القيامة، قال الله ﷻ: **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾**[3].

10 - النفاق الأكبر يَحرمُ العبد دعاء المؤمنين والصلاة عليه عند موته، قال الله ﷻ: **﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾**[4].

﴾[4].

11 - النفاق الأكبر يُسبّب عذاب الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: **﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾**[5].

12 - النفاق الأكبر إذا أظهره صاحبه وأعلنه كان مرتدّاً عن الإسلام، فيكون حلال الدم والمال، وتُطبّق عليه أحكام المرتدّ، إلا أن قبول توبته عند الحاكم فيها خلاف في الظاهر؛ لأن المنافقين يُظهرون الإسلام دائماً[6].

أما إذا أخفى المنافق نفاقه وكفره؛ فإنه معصوم الدم والمال بما أظهر من الإيمان، والله يتولى السّرائر[7].

13 - النفاق الأكبر إذا أظهر صاحبه كفره يُوجب العداوة بين

---

(1) سورة التوبة، الآية: 67.
(2) سورة التوبة، الآيتان: 53- 54.
(3) سورة الحديد، الآية: 13.
(4) سورة التوبة، الآية: 84.
(5) سورة التوبة، الآية: 55.
(6) انظر: فتاوى ابن تيمية، 334/28 .
(7) انظر: المنافقون في القرآن، للدكتور عبد العزيز الحميدي، ص450.

صاحبه والمؤمنين، فلا يُوالونه ولو كان أقرب قريب، وأما إذا لم يُظهر كفره فيُعامل بالظاهر، والله يتولّى السّرائر.

14 - النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي، ينقص الإيمان ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر من عذاب الله تعالى.

15 - النفاق الأصغر صاحبه على خطر؛ لئلا يجرّه إلى النفاق الأكبر.

ونعوذ بالله من غضبه، ومن جميع أنواع النفاق صغيره وكبيره، ونسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الرسالة الحادية عشرة: نـور السنـة وظلـمـات البدعـة

التمهيد:

لا شك أن السنة هي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه، والسنة تقوم بأهلها،وإن قعدت بهم أعمالهم،﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ [1].قال ابن عباس رضي الله عنهما:((تبيّض وجوه أهل السنة والائتلاف،وتسودّ وجوه أهل البدعة والتفرّق))[2]،وصاحب السنة حيّ القلب،مستنير القلب،قد انقاد لأمر الله، واتّبع رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً.

أما صاحب البدعة فهو ميت القلب، مظلمه، والظلمة مستولية على أصحاب البدع: فقلوبهم مظلمة، وأحوالهم كلها مظلمة، فمن أراد الله به السعادة أخرجه من هذه الظلمات إلى نور السنة[3].

وسأبين ذلك في مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول: نور السنة

المطلب الأول: مفهومها

السنة لها أهل، ولهم عقيدة، واجتماع على الحق، فمن المناسب أن أذكر التعريف لهذه الكلمات الثلاث: ((عقيدة أهل السنة والجماعة)).

أولاً: مفهوم العقيدة لغةً واصطلاحاً:

العقيدة لغةً: كلمة ((عقيدة)) مأخوذة من العقد والربط، والشدّ بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراصّة، يقال: عقد الحبل يعقده: شدّه، ويقال: عقد العهدَ والبيع: شدّه، وعقد الإزارَ: شدّه بإحكام، والعقد: ضدّ الحل[4].

---

(1) سورة آل عمران، جزء من الآية: 106.
(2) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 39/2.
(3) انظر: المرجع السابق، 38/2 – 41.
(4) انظر:لسان العرب لابن منظور،باب الدال،فصل العين،296/3،والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الدال،فصل العين،ص383،ومعجم المقاييس في اللغة لابن فارس،كتاب العين، ص 679.

مفهوم العقيدة اصطلاحاً: العقيدة تطلق على الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرّق إليه شكٌّ، وهي ما يُؤمن به الإنسانُ، ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذه مذهباً وديناً يدين به؛ فإن كان هذا الإيمان الجازم، والحكم القاطع صحيحاً كانت العقيدة صحيحة كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة كاعتقاد فرق الضلالة[1].

ثانياً: مفهوم أهل السنة:

السنة في اللغة: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم قبيحة[2].

والسنة في اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: الهدي الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه: علماً واعتقاداً، وقولاً، وعملاً، وهي السنة التي يجب اتباعها ويُحمد أهلُها، ويُذمُّ من خَالَفها؛ ولهذا قيل: فلان من أهل السنة: أي من أهل الطريقة الصحيحة المستقيمة المحمودة[3].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ((والسنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه ﷺ هو وخلفاؤه الراشدون: من الاعتقادات، والأعمال، والأقوال، وهذه هي السُّنة الكاملة))[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه؛ بأنه طاعة لله ورسوله، سواء فعله رسول الله ﷺ، أو فُعِل في زمانه، أو لم يفعله ولم يفعل على زمانه، لعدم المقتضى حينئذٍ لفعله، أو وجود المانع منه))[5]، وبهذا المعنى تكون السنة: ((اتّباع آثار رسول الله ﷺ، باطناً وظاهراً، واتّباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار))[6].

---

(1) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للشيخ الدكتور ناصر العقل ص 9-10.
(2) لسان العرب، لابن منظور، باب النون، فصل السين، 225/13.
(3) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة، للدكتور ناصر العقل، ص13.
(4) جامع العلوم والحكم، 120/1.
(5) مجموع فتاوى ابن تيمية، 317/21.
(6) مجموع فتاوى ابن تيمية، 157/3.

ثالثاً: مفهوم الجماعة:

الجماعة في اللغة:مأخوذة من مادة جمع،وهي تدور حول الجمع والإجماع والاجتماع،وهو ضدّ التفرق،قال ابن فارس رحمه الله:((الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضامّ الشيء،يقال:جمعت الشيء جمعاً))[1].

والجماعة في اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: هم سلف الأمة: من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من الكتاب والسنة[2].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: ((الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك))، قال نُعيم بن حمّاد: ((يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة، قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ))[3].

المطلب الثاني: أسماء أهل السُّنَّةِ وصِفَاتِهم:

1- أهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهم المتمسكون بسنة النبي ﷺ وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهدى المُتَّبِعون لهُم، وهم الذين استقاموا على الاتِّباع وابتعدوا عن الابتداع في أي مكان وفي أي زمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة[4]، وسُمُّوا بذلك لانتسابهم لسنة النبي ﷺ، واجتماعهم على الأخذ بها: ظاهراً وباطناً، في القول، والعمل، والاعتقاد[5]. فعن عوف بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: ((**افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة،**

---

(1) معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، كتاب الجيم، باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق أوله جيم، ص 224.
(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص68، وشرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، تأليف العلامة محمد خليل هراس، ص61.
(3) ذكره الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان، 70/1، وعزاه إلى البيهقي.
(4) انظر:مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة،للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل،ص 13-14.
(5) انظر: فتح رب البرية بتخليص الحموية، للعلامة محمد بن عثيمين رحمه الله، ص 10، وشرح العقيدة الواسطية، للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ص 10.

فإحدى وسبعين فرقة في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفسُ محمدٍ بيده لَتَفْتَرِقَنَّ أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، واحدةٌ في الجنةِ، واثنتان وسبعون في النار))، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: ((**الجماعة**))[1]، وفي رواية الترمذي عن عبد الله بن عمرو: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ((**ما أنا عليه وأصحابي**))[2].

2- الفرقة الناجية: أي الناجية من النار؛ لأن النبي ﷺ استثناها عندما ذكر الفرق،وقال:((**كلها في النار إلا واحدة**)) أي ليست في النار[3].

3- الطائفة المنصورة: فعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمةً بأمر الله لا يضرُّهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**))[4]، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه نحوه[5]، وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**))[6]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما نحوه[7].

4- المعتصمون المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كان

---

(1) أخرجه ابن ماجه بلفظه، في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، 321/2، برقم 3992، وأبو داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، 197/4، برقم 4596، وابن أبي عاصم، في كتاب السنة، 32/1، برقم 63، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، 364/2.

(2) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، 26/5، برقم 2641.

(3) انظر: من أصول أهل السنة والجماعة، للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ص 11.

(4) متفق عليه: البخاري، كتاب المناقب، بابٌ: حدثنا محمد بن المثنى، 225/4، برقم 3641، ومسلم بلفظه، في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)) 1524/2، برقم 1037.

(5) متفق عليه: البخاري، كتاب المناقب، بابٌ: حدثنا محمد بن المثنى، 225/4، برقم 3640، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)) 1523/2، برقم 1921.

(6) صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)) 1523/2، برقم 1920.

(7) صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم))، 1523/2، برقم 1923.

عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؛ ولهذا قال فيهم النبي ﷺ: ((**ما أنا عليه وأصحابي**))[1]، أي هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

5- هم القدوة الصالحة الذين يهدون إلى الحق وبه يعملون، قال أيوب السختياني رحمه الله: ((إن من سعادة الحدَث[2]، والأعجمي أن يوفقهما الله لعالِمٍ من أهل السنة))[3]، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ((إن لله عباداً يُحيي بِهمُ البلادَ، وهم أصحاب السنة، ومن كان يعقل ما يَدخُلُ جَوفَهُ من حلّه كان من حزب الله))[4].

6- أهل السنة خيار الناس ينهون عن البدع وأهلها، قيل لأبي بكر بن عياش مَن السُّنّي؟ قال: ((الذي إذا ذُكِرَتِ الأهواء لم يتعصبْ إلى شيءٍ منها))[5]. وذكر ابن تيمية رحمه الله: أن أهل السنة هم خيار الأمة، ووسطها الذين على الصراط المستقيم: طريق الحق والاعتدال[6].

7- أهل السنة هم الغرباء إذا فسد الناس: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء**))[7]، وفي رواية عند الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قيل: ومن الغرباء؟ قال: ((**النُّزَّاع**[8] **من القبائل**))[9]، وفي رواية عند الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟

---

(1) سنن الترمذي، برقم 2641، وتقدم تخريجه.
(2) الحَدَث:الشاب.النهاية في غريب الحديث والأثر،باب الحاء مع الدال،مادة:((حدث))،351/1.
(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، 66/1، برقم 30.
(4) المرجع السابق، 72/1، برقم 51.
(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، 72/1، برقم 53.
(6) انظر: فتاوى ابن تيمية، 3/ 368- 369.
(7) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، 130/1، برقم 145.
(8) هو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته: أي بَعُدَ وغاب، والمعنى طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى. النهاية لابن الأثير، 41/5.
(9) المسند، 398/1.

قال: ((**أناس صالحون في أناس سوءٍ كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**))[1]، وفي رواية من طريق آخر: ((**الذين يصلحون إذا فسد الناس**))[2]، فأهل السنة الغرباء بين جموع أصحاب البدع والأهواء والفرق.

8- أهل السنة هم الذين يحملون العلم:

أهل السنة هم الذين يحملون العلم، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ ولهذا قال ابن سيرين رحمه الله: ((لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم، فَيُنْظَرُ إلى أهل السنة فيُؤخَذ حديثُهم، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يُؤخَذ حديثهم))[3].

9- أهل السنة هم الذين يحزنُ الناسُ لفراقهم:

قال أيوب السختياني رحمه الله: ((إني أُخْبَرُ بموت الرجل من أهل السنة فكأنما أفقد بعض أعضائي))[4]، وقال: ((إن الذين يتمنون موتَ أهل السُّنَّةِ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمّ نوره ولو كره الكافرون))[5].

المطلب الثالث: السنة نعمةٌ مطلقة

النعمة نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة:

أولاً: النعمة المطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي: نعمة الإسلام، والسنة؛ فإن سعادة الدنيا والآخرة، مبنية على أركان ثلاثة: الإسلام، والسنة، والعافية في الدنيا والآخرة. ونعمة الإسلام والسنة هي النعمة التي أمرنا الله ﷻ أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا صراط أهلها، ومن خصهم بها، وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ**

(1) المسند، 177/2، و222.
(2) مسند الإمام أحمد، 173/4.
(3) مسلم، في المقدمة، باب الإسناد من الدين، 15/1.
(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، 66/1، برقم 29.
(5) المرجع السابق، 68/1، برقم 35.

أُولَـئِكَ رَفِيقًا ﴾[1].

فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها المعنيون بقوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾**[2]، فكان الكمال في جانب الدين، والتمام في جانب النعمة، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ((إن للإيمان حدوداً، وفرائض، وسنناً، وشرائع، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان))[3].

ودين الله هو شرعه المتضمِّن لأمره ونهيه، ومحابّه، والمقصود أن النعمة المطلقة هي التي اختُصَّت بالمؤمنين، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهذه النعمة هي التي يُفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه، قال ﷻ: **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾**[4]، وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته: ((الإسلام والسنة، وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشدَّ فرحاً، حتى أن القلب ليرقص فرحاً إذا باشر روح السنة أحزن ما يكون الناس وهو ممتلىء أمناً أخوف ما يكون الناس))[5].

ثانياً: النعمة المقيدة: كنعمة الصحة، والغنى، وعافية الجسد، وبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذا، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر؛ وإذا قيل: لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق، والنعمة المقيدة تكون استدراجاً للكافر والفاجر، ومآلها إلى العذاب والشقاء لمن لم يُرزق النعمة المطلقة[6].

---

(1) سورة النساء، الآية: 69.
(2) سورة المائدة، الآية: 3.
(3) البخاري معلقاً، في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: ((بني الإسلام على خمس))، 9/1.
(4) سورة يونس، الآية: 58.
(5) مقتبس من كلام الإمام ابن القيم في كتابه: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 33/2 - 36، و38.
(6) مقتبس من كلام الإمام ابن القيم في كتابه: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، 36/2.

المطلب الرابع: منزلة السنة

السنة: حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين، وهي تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السنة هم المبيَّضة وجوههم إذا اسودَّت وجوه أهل البدعة، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ [1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((تبيضُّ وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسودُّ وجوه أهل البدعة والتفرُّق))[2].

والسنة هي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال الله جل وعلا: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[3]، والله الموفق[4].

المطلب الخامس: منزلة صاحب السنة وصاحب البدعة

أولاً: منزلة صاحب السنة:

صاحب السنة حيُّ القلب، مستنير القلب، وقد ذكر الله ﷻ الحياة والنور في كتابه في غير موضع، وجعلهما صفة أهل الإيمان؛ فإن القلب الحي المستنير: هو الذي عقل عن الله، وأذعن، وفهم عنه، وانقاد لتوحيده، ومتابعة ما بعث به رسول الله ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ يسأل الله تعالى أن يجعل له نوراً: في قلبه، وسمعه، وبصره، ولسانه، ومن فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه ومن أمامه، وأن يجعل له نوراً، وأن يجعل ذاته نوراً، وفي بشره، ولحمه، وعظمه، ولحمه، ودمه، فطلب ﷺ النور لذاته، ولأبعاضه، ولحواسه الظاهرة والباطنة، ولجهاته الست، والمؤمن مدخله نور، ومخرجه نور، وقوله نور، وعمله نور، وهذا النور بحسب قوته وضعفه يظهر لصاحبه يوم القيامة، فيسعى بين يديه، و[عن] يمينه، فمن الناس من يكون

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 106.
(2) ذكره ابن القيم، في اجتماع الجيوش، 39/2، وابن كثير في تفسيره، 369/1، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير، 93/7.
(3) سورة الأنعام، الآية: 122.
(4) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، 38/2.

نوره: كالشمس، وآخر كالنجم، وآخر كالنخلة الطويلة، وآخر كالرجل القائم، وآخر دون ذلك، حتى أن منهم من يُعطى نوراً على رأس إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى، كما كان نور إيمانه ومتابعته في الدنيا كذلك، فهو هذا بعينه يظهر هناك للحسّ، والعيان[1].

ثانياً: علامات أهل السنة كثيرة، يدركها العقلاء من البشر، ومن أهمّ تلك العلامات:

1 - الاعتصام بالكتاب والسنة، والعضّ على ذلك بالنواجذ.
2 - التحاكم إلى الكتاب والسنة في الأصول والفروع.
3 - حبهم لأهل السنة والمتمسّكين بها، وبُغضهم لأهل البدع.
4 - لا يستوحشون من قلّة السالكين؛ لأن الحق ضالة المؤمن، يأخذ به ولو خالفه الناس.
5 - الصدق في الأقوال والأفعال، بالتطبيق الصحيح لهدي الكتاب والسنة.
6 - التأسّي برسول الله ﷺ الذي كان خلقه القرآن[2].

ثالثًا: منزلة صاحب البدعة:

صاحب البدعة ميت القلب، مظلمه، وقد جعل الله الموت والظلمة صفة من خرج عن الإيمان، والقلب الميت المظلم الذي لم يعقل عن الله، ولا انقاد لما بُعث به رسول الله ﷺ؛ ولهذا وصف الله ﷻ هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها؛ ولهذا كانت الظلمة مستولية عليهم في جميع حياتهم، فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مظلمة، وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة، وإذا قسمت الأنوار يوم القيامة دون الجسر للعبور عليه بقوا في الظلمات، ومدخلهم في النار مظلم، وهذه الظلمة، التي خلق فيها الخلق أولاً، فمن أراد الله ﷻ به السعادة أخرجه منها إلى النور، ومن أراد به

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، 38/2 - 41 بتصرف.
(2) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، ص 147، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، للدكتور صالح بن سعد السحيمي، ص 264.

الشقاوة تركه فيها[1].

المبحث الثاني: ظلمات البدعة

المطلب الأول: مفهومها

البدعة: لغة: الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال[2]، ويقال: ((ابتدعتُ الشيء، قولاً أو فعلاً إذا ابتدأته عن غير مثال سابق))[3]، وأصل مادة ((بدع)) للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[4]، أي: مخترعهما من غير مثال سابق متقدم[5].

والبدعة في الاصطلاح الشرعي لها عدة تعريفات عند العلماء ويكمِّل بعضها بعضاً، منها:

1- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:((البدعة في الدين: هي ما لم يشرعْه الله ورسوله ﷺ: وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب، ولا استحباب))[6].

((**والبدعة نوعان:** نوع في الأقوال والاعتقادات، ونوع في الأفعال والعبادات، وهذا الثاني يتضمّن الأوّل، كما أن الأوّل يدعو إلى الثاني))[7]. ((وكان الذي بنى عليه أحمد وغيره مذاهبهم: أن الأعمال عبادات وعادات))، فالأصل في العبادات أنه لا يُشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات أنه لا يحظر منها إلا ما حظر الله))[8].

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، 39/2 -40 بتصرف.
(2) القاموس المحيط، باب العين، فصل الدال، ص 906، ولسان العرب، 6/8، وفتاوى ابن تيمية، 414/35.
(3) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس، ص 119.
(4) سورة البقرة، الآية: 117، وسورة الأنعام، الآية: 101.
(5) الاعتصام للشاطبي،49/1،وانظر:مفردات ألفاظ القرآن،للراغب الأصفهاني،مادة ((بدع)) ، ص 111.
(6) فتاوى ابن تيمية، 107/4 - 108.
(7) المرجع السابق، 306/22.
(8) المرجع السابق ، 196/4.

وقال أيضاً: ((والبدعة ما خالف الكتاب والسنة، أو إجماع سلف الأمة: من الاعتقادات، والعبادات: كأقوال الخوارج، والروافض، والقدرية، والجهمية، وكالذين يتعبّدون بالرقص والغناء في المساجد، والذين يتعبّدون بحلق اللحى، وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبّد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة، والله أعلم))[1].

2- قال الشاطبي رحمه الله تعالى: ((البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي[2] الشرعيَّة،يُقصدُ بالسلوك عليها المبالغة في التعبّد لله سبحانه)).

وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصُّها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال العاديّة في معنى البدعة، فيقول ((البدعة: طريقة في الدِّين مخترعةٌ، تضاهي الشّرعيّة، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية))[3].

ثم قرّر رحمه الله تعالى على تعريفه الثاني أن العادات من حيث هي عادية لا بدعة فيها، ومن حيث يتعبّد بها، أو تُوضع وضع التّعبُّد تدخلها البدعة، فحصل بذلك أنه جمع بين التعريفين، ومثّل للأمور العادية التي لابدّ فيها من التعبُّد: بالبيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، والإيجارات، والجنايات ... لأنها مقيّدة بأمور وشروط وضوابط شرعية لا خيرة للمكلَّف فيها[4].

3- وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى[5]: ((والمراد بالبدعة بالبدعة ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعةً لغةً، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدِّين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

---

(1) فتاوى ابن تيمية ، 346/18، وانظر: 414/35 من المرجع نفسه.
(2) تضاهي: يعني أنها تشبه الطريقة الشرعية من غير أن تكون الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها. انظر: الاعتصام للشاطبي، 53/1.
(3) الاعتصام ، 50/1 - 56.
(4) المرجع السابق، 568/2، 569، 570، 594.
(5) جامع العلوم والحكم، 127/2 -128 بتصرف يسير جداً.

أما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر ﷺ لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك قال: ((نعمة البدعة هذه))[1]... ومراده ﷺ أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها.

فمنها: أن النبي ﷺ كان يحث على قيام رمضان، ويرغِّب فيه، وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة ووحداناً، وهو ﷺ صلى بأصحابه في رمضان غير ليلة، ثم امتنع من ذلك مُعلِّلاً، بأنه خشي أن يُكتب عليهم فيعجزوا عن القيام به، وهذا قد أُمن بعده ﷺ[2].

ومنها: ((أنه ﷺ أمر باتّباع سنة خلفائه الراشدين، وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين))[3].

والبدعة بدعتان: بدعة مكفِّرة تُخرج عن الإسلام، وبدعة مُفَسِّقة لا تُخرج عن الإسلام[4].

المطلب الثاني: شروط قبول العمل

لا يقبل أي عمل مما يُتقرّب به إلى الله ﷻ إلا بشرطين:

الشرط الأول: إخلاص العمل لله وحده لا شريك له،لقول النبي ﷺ: ((**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى**))[5].

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ؛ لقول النبي ﷺ: ((**من عمل**

---

(1) انظر:صحيح البخاري،كتاب صلاة التراويح،باب فضل من قام رمضان،308/2،برقم 2010.
(2) انظر:صحيح البخاري،كتاب صلاة التراويح،باب فضل من قام رمضان،309/2،برقم 2012.
(3) جامع العلوم والحكم، 129/2.
(4) انظر: الاعتصام للشاطبي، 516/2.
(5) متفق عليه: البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، 9/1، برقم 1،ومسلم،كتاب الإمارة،باب قوله ﷺ:((إنما الأعمال بالنيات))،1515/2،برقم 1907.

عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ))[1].

فمن أخلص أعماله لله، متّبعاً في ذلك رسول الله ﷺ، فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ، أو أحدهما فعمله مردود داخل في قوله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً**﴾[2]، ومن جمع الأمرين فهو داخل في قوله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿ **بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[4]، فحديث عمر رضي الله عنه: ((**إنما الأعمال بالنيات**)) ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رضي الله عنها: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)) ميزان للأعمال الظاهرة، فهما حديثان عظيمان يدخل فيهما الدين كلّه: أصوله، وفروعه، ظاهره وباطنه، أقواله، وأفعاله[5].

وقد تكلّم الإمام النووي على حديث عائشة رضي الله عنها كلاماً نفيساً، قال فيه:((قوله ﷺ:((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**))، وفي الرواية الثانية:((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**))،قال أهل العربية:الردّ هنا بمعنى المردود،ومعناه:فهو باطل غير معتدٍّ به،وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام،وهو من جوامع كلمه ﷺ؛ فإنه صريح في ردِّ كل البدع،والمخترعات[6]،وفي الرواية الثانية زيادة وهي:أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سُبِقَ إليها،فإذا احتُجَّ عليه بالرواية الأولى يقول:أنا ما أحدثت شيئاً،فيُحتجّ عليه بالثانية التي فيها التصريح بردّ كل المحدثات،سواء أحدثها الفاعل،أو غيره سبق بإحداثها))[7].

---

(1) مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، 1344/3، برقم 1718، ولفظ البخاري، ومسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))، البخاري، برقم 2697، ومسلم، برقم 1718.
(2) سورة الفرقان، الآية: 23.
(3) سورة النساء، الآية: 125.
(4) سورة البقرة، الآية: 112.
(5) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، للسعدي، ص 10.
(6) المخترعات: أي في الدين.
(7) شرح النووي على صحيح مسلم، 257/14، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، 171/6.

المطلب الثالث: ذم البدعة في الدين

جاء في ذمّ البدعة نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وحذّر منها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن ذلك على سبيل الإيجاز ما يأتي:

أولاً: من القرآن:

1- قال الله ﷻ: **﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ ﴾**[1]، وقد ذكر الشاطبي رحمه الله آثاراً تدل على أن هذه الآية في الذين يجادلون في القرآن، وفي الخوارج ومن وافقهم[2].

2- وقال ﷻ: **﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾**[3]، فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط وهم أهل البدع[4]، فهذه الآية تشمل النهي عن جميع طرق أهل البدع[5].

3- وقال ﷻ: **﴿وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَـهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾**[6]، فالسبيل: القصد هو: طريق الحق، وما سواه سواه جائر عن الحق: أي عادل عنه، وهي طرق البدع والضلالات[7].

4- وقال ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾**[8]، وهؤلاء هم أصحاب الأهواء، والضلالات، والبدع من هذه

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.
(2) انظر: الاعتصام للشاطبي، 1/70-76.
(3) سورة الأنعام، الآية: 153.
(4) انظر: الاعتصام للشاطبي، 1/76.
(5) انظر: الاعتصام للشاطبي، 1/78.
(6) سورة النحل، الآية: 9.
(7) انظر: الاعتصام للشاطبي، 1/78.
(8) سورة الأنعام، الآية: 159.

الأمة[1].

5- وقال ﷻ: ﴿**وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[2].

6- وقال ﷻ: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[3].

7- وقال ﷻ: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا**﴾ [4].

8- وقال الله تعالى: ﴿**وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**﴾[5]، والله ﷻ أعلم[6].

ثانياً: من السنة النبوية:

جاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ في ذم البدع والتحذير منها، ومن ذلك ما يأتي:

1- حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**))[7].

2- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: ((**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**))[8].

3- وفي رواية النسائي: كان رسول الله ﷺ في خطبته: يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: ((**من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلله فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور مُحدَثاتُها، وكل مُحدَثة بدعة، وكل بدعة**

---

(1) انظر: الاعتصام للشاطبي، 179/1.
(2) سورة الروم، الآيتان: 31-32.
(3) سورة النور، الآية: 63.
(4) سورة الأنعام، الآية: 65.
(5) سورة هود، الآيتان: 118-119.
(6) انظر: الاعتصام للشاطبي، 70/1-91.
(7) متفق عليه: البخاري، برقم 2697، ومسلم، برقم 1718، وتقدم تخريجه.
(8) مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، 592/1، برقم 867.

ضلالة، وكل ضلالة في النار))[1].

4- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**))[2].

5- وعن جرير بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:((**من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده،من غير أن ينقص من أجورهم شيء،ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ**))[3].

6- وعن العِرْباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وَجِلَتْ منها القلوب، وذَرَفَتْ منها العيون، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع فأوصنا؟ قال: ((**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، فإنه من يعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**))[4].

7- وعن حذيفة ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((**نعم**))، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: ((**نعم، وفيه دَخَنٌ**))، قلت: وما دَخَنُهُ؟ قال: ((**قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتُنكر**))، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: ((**نعم، دُعاةٌ على أبواب جهنم، من**

---

(1) أصله في صحيح مسلم في الحديث السابق، وأخرجه النسائي بلفظه، في كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، 188/3، برقم 1578.

(2) مسلم، كتاب العلم،باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، 2060/4، برقم 2674.

(3) مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، 705/2، برقم 1017.

(4) أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، 201/4، برقم 4707، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، 44/5 برقم 2676، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، 15/1-16، برقم 42، 43، 44، وأحمد، 46/4-47.

أجابهم إليها قذفوه فيها))، فقلت: يا رسول الله، صِفْهم لنا، قال: ((**نعم: قومٌ من جِلدتنا، يتكلّمون بألسنتنا**))، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: ((**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**))، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: ((**فاعتزلْ تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**))[1]، قال الإمام النووي رحمه الله: قوله: ((**يهدون بغير هديي**)) الهدي الهيئة، والسيرة، والطريقة، قوله: ((**دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**))، قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعون إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج، والقرامطة، وأصحاب المحنة))[2].

8- وفي حديث زيد بن أرقم ﷺ عن النبي ﷺ: ((**أما بعد، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، [هو حبل الله المتين من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة] فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**))، فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه[3].

9- وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((**يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضلّونكم ولا يفتنونكم**))[4].

ثالثاً: من أقوال الصحابة ﷺ في البدع:

1- ذكر ابن سعد رحمه الله بإسناده أن أبا بكر ﷺ قال:((أيها الناس إنما أنا متّبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن

---

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، 119/8، برقم 7084، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة، 1475/3، برقم 1847.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، 479/12.

(3) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ، 1873/4، برقم 2408.

(4) مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، 12/1، برقم 6، 7، وابن وضاح في ما جاء في البدع، ص 67، برقم 65.

زغت فقوِّموني))[1].

2- وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ((إيّاكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلُّوا وأضلُّوا))[2].

3- وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: ((اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، كل بدعة ضلالة))[3].

رابعاً: من أقوال التابعين وأتباعهم بإحسان:

1- كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى رجل فقال: ((أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتّباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته))[4].

2- وقال الحسن البصري رحمه الله: ((لا يصحُّ القول إلا بعمل، ولا يصحُّ قول وعمل إلا بنية، ولا يصحُّ قول وعمل ونية إلا بالسنة))[5].

3- وقال الإمام الشافعي رحمه الله: ((حُكمي في أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ في الكلام))[6].

---

(1) الطبقات الكبرى، 136/3.
(2) أخرجه اللالكائي، في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 139/1، برقم 201، والدارمي في سُننه، 47/1، برقم 121، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، 1041/2، برقم 2001، ورقم 2003، ورقم 2005.
(3) أخرجه ابن وضاح في ما جاء في البدع، ص43، برقم 14، 12، والطبراني في المعجم الكبير، 154/9، برقم 8770، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: 181/1: ((ورجاله رجال الصحيح))، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 96/1، برقم 102، وانظر: آثارًا أخرى عن عبد الله بن مسعود ﷺ في ما جاء في البدع لابن وضاح، ص 45، ومجمع الزوائد، 181/1.
(4) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، 203/4، برقم 4612، وانظر: صحيح سنن أبي داود، للألباني، 873/3.
(5) أخرجه اللالكائي، في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 63/1، برقم 18.
(6) أخرجه أبو نعيم في الحلية، 116/9.

4- وقال الإمام مالك رحمه الله: ((من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[1]، فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً))[2].

5- وقال الإمام أحمد رحمه الله: ((أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين))[3].

خامساً: البدع مذمومة من وجوه:

1- قد عُلم بالتجارب أن العقول غير مستقلة بمصالحها دون الوحي، والابتداعُ مضادّ لهذا العمل.
2- الشريعة جاءت كاملة، لا تحمل الزيادة ولا النقصان.
3- المبتدع معاند للشرع ومشاقّ له.
4- المبتدع متّبع لهواه؛ لأن العقل إذا لم يكن متَّبعاً للشرع لم يبق له إلا اتّباع الهوى.
5- المبتدع قد نزَّل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع، وألزم المكلَّفين بالجري على سننها[4].

المطلب الرابع: أسباب البدع

البدع لها أسباب أدت إليها ومن هذه الأسباب[5] ما يأتي:

أولاً: الجهل، فهو آفة خطيرة، قال الله ﷻ: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ**

---

(1) سورة المائدة، الآية: 3.
(2) الاعتصام، للإمام الشاطبي، 65/1.
(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، 176/1.
(4) انظر: الاعتصام، للشاطبي، 61/1 -70.
(5) انظر كثيراً من هذه الأسباب: الاعتصام للشاطبي، 287/1- 365.
(6) سورة الإسراء، الآية: 36.

بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((**إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء، فيرفعُ العلم معهم، ويُبقي في الناس رُؤوساً جُهَّالاً يفتون بغير علم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون**))[2].

ثانياً: اتباع الهوى، من الأسباب الخطيرة التي توقع الناس في البدع، والأهواء، قال الله ﷻ: **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾**[3]، وقال سبحانه: **﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾**[4].

وقال الله ﷻ: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾**[5].

وقال ﷻ: **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ ﴾**[6].

وقال ﷻ: **﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾**[7].

ثالثاً: التعلق بالشبهات: فإن المبتدعة يتعلقون بالشبهات فيقعون في البدع، قال الله ﷻ: **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾**[8].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 33.
(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، 187/8، برقم 7307، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن آخر الزمان، 2058/4، برقم 2673.
(3) سورة ص، الآية: 26.
(4) سورة الكهف، الآية: 28.
(5) سورة الجاثية، الآية: 23.
(6) سورة القصص، الآية: 50.
(7) سورة النجم، الآية: 23.
(8) سورة آل عمران، الآية: 7.

رابعاً: الاعتماد على العقل المجرَّد، فإن من اعتمد على عقله وترك النص من القرآن والسنة أو من أحدهما ضلّ، والله ﷻ يقول: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾[2].

خامساً: التقليد والتعصب: فإن أكثر أهل البدع يقلّدون آباءهم ومشايخهم، ويتعصبون لمذاهبهم، قال الله ﷻ: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾[4]، وأهل البدع زُيِّنت لهم أعمالهم، قال الله ﷻ: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[5]، وقال الله ﷻ مُبيِّناً حال أهل البدع والأهواء: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾[6].

سادساً: مخالطة أهل الشر ومجالستهم، من الأسباب المؤدية إلى الوقوع في البدع وانتشارها بين الناس، وقد بين الله ﷻ أن المُجالِس لأهل السوء يندم، قال ﷻ: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا**﴾[7]، وقال ﷻ: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[8]، وقال ﷻ:

---

(1) سورة الحشر، الآية: 7.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 36.
(3) سورة البقرة، الآية: 170.
(4) سورة الزخرف، الآية: 22.
(5) سورة فاطر، الآية: 8.
(6) سورة الأحزاب، الآيات: 66-68.
(7) سورة الفرقان، الآيات: 27-29.
(8) سورة الأنعام، الآية: 68.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1]، وقال النبي ﷺ: ((**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة**))[2].

سابعاً: سكوت العلماء وكتم العلم، من أسباب انتشار البدع والفساد بين الناس، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾[5]، وقد أوجب الله على طائفة من الأمة الدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ﷻ: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[6]، وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**))[7]، وهذا الحديث يبيّن أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على كل أحدٍ

---

(1) سورة النساء، الآية: 140.

(2) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، 287/6، برقم 5534، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، 2026/4، برقم 2628.

(3) سورة البقرة، الآيتان: 159-160.

(4) سورة البقرة، الآية: 174.

(5) سورة آل عمران، الآية: 187.

(6) سورة آل عمران، الآية: 104.

(7) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، 69/1، برقم 49.

على حسب هذه الدرجات.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**ما من نبيّ بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنّته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبهم فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خرْدل**))[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من سُئِلَ عن علم يعلمُهُ فكتمه أُلجِمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار**))[2].

ثامناً: التشبه بالكفار وتقليدهم من أعظم ما يُحدث البدع بين المسلمين، ومما يدل على ذلك حديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثو عهدٍ بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح، قال: فمررنا بشجرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ وكان للكفار سدرة يعكفون حولها، ويعلّقون بها أسلحتهم، يدعونها ذات أنواط، فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال: ((**الله أكبر وقلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَـهُمْ آلِـهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[3]، لتركبنَّ سنن من كان قبلكم**))[4]، وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل على أن يطلبوا هذا الطلب القبيح، وهو الذي حمل أصحاب النبي محمد ﷺ على أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبَّركون بها من دون الله ﷻ ، وهكذا غالب الناس من المسلمين،

---

(1) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، 70/1، برقم 50.
(2) الترمذي، في كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، 29/5، برقم 2649، وأبو داود، في العلم، باب كراهية منع العلم، 321/3، برقم 3658، وابن ماجه، في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، 98/1، برقم 266، ومسند أحمد، 263/2، 305، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 336/2، وصحيح سنن ابن ماجه، 49/1.
(3) سورة الأعراف، الآية: 138.
(4) أخرجه بلفظه، أبو عاصم في كتاب السنة، 37/1، برقم 76، وحسن إسناده الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة، المطبوع مع كتاب السنة، 37/1، وأخرجه الترمذي بنحوه، في كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، 475/4، برقم 2180، وقال: ((هذا حديث حسن صحيح))، وانظر: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد، لجاسم بن فهيد الدوسري، ص64-65.

قلّدوا الكفار في عمل البدع والشركيات، كأعياد الموالید، وبدع الجنائز، والبناء على القبور، ولا شك أن اتباع السَّنَن باب من أبواب الأهواء، والبدع[1] ويزيد ذلك وضوحاً حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: ((**لَتتَّبعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم؛ شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتَّبعتموهم**)) قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((**فمن**))؟[2]، قال الإمام النووي رحمه الله: ((السَّنَن، بفتح السين والنون:وهو الطريق،والمراد بالشبر،والذراع،وجحر الضب:التمثيل بشدّة الموافقة في المعاصي والمخالفات،لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ،فقد وقع ما أخبر به ﷺ))[3].

فظهر أن الشبر، والذراع، والطريق، ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمّه[4]، وقد حذّر النبي ﷺ عن التشبّه بغير أهل الإسلام، فقال: ((**بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذلُّ والصغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم**))[5].

تاسعاً: الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، من الأسباب التي تؤدّي إلى البدع وانتشارها؛ فإن كثيراً من أهل البدع اعتمدوا على الأحاديث الواهية الضعيفة، والمكذوبة على رسول الله ﷺ، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها، وردّوا الأحاديث الصحيحة التي تخالف ما هم عليه من البدع، فوقعوا

---

(1) انظر: تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص147، ورسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر العقل، 170/2، وكتاب التوحيد، للدكتور العلامة صالح الفوزان، ص87.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))، 191/8، برقم 7320، ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، 2054/4، برقم 2669.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، 460/16.

(4) انظر: فتح الباري، لابن حجر، 301/13.

(5) أحمد في المسند، 50/2، 92، وصحح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه للمسند، برقم 5114، 5115، 5667، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

بذلك في المهالك والعطب، والخسارة، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

عاشراً: الغلو أعظم أسباب انتشار البدع، وظهورها، وهو سبب شرك البشر؛ لأن الناس بعد آدم عليه الصلاة والسلام كانوا على التوحيد عشرة قرون، وبعد ذلك تعلّق الناس بالصالحين، وغلوا فيهم حتى عبدوهم من دون الله ﷻ؛ فأرسل الله تعالى نوحاً ﷺ يدعو إلى التوحيد، ثم تتابع الرسل عليهم الصلاة والسلام[2]، والغلوّ يكون: في الأشخاص، كتقديس الأئمة، والأولياء، ورفعهم فوق منازلهم، ويصل ذلك في النهاية إلى عبادتهم، ويكون الغلوّ في الدين، وذلك بالزيادة على ما شرعه الله، أو التشدّد والتكفير بغير حق، والغلوّ في الحقيقة: هو مجاوزة الحد في الاعتقادات، والأعمال، وذلك بأن يزاد في حمد الشيء، أو يُزاد في ذمّه على ما يستحق[3]، وقد حذَّر الله عن الغلوّ فقال ﷻ لأهل الكتاب: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**﴾[4]، وحذّر النبي ﷺ من الغلوّ في الدين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إياكم والغلوّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدين**))[5]، فظهر أن الغلوّ في الدين من أعظم أسباب الشرك، والبدع، والأهواء[6]؛ ولخطر الغلوّ في الدين حذّر النبي ﷺ عن الإطراء فقال: ((**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده،**

---

(1) انظر: فتاوى ابن تيمية، 22/361-363، والاعتصام للشاطبي، 1/287-294، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص848، ورسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر العقل، 2/180.

(2) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، 1/106.

(3) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، 1/289.

(4) سورة النساء، الآية: 171.

(5) النسائي، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى، 5/268، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، 2/1008، وأحمد 1/347، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، 1/289.

(6) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، 1/289، والاعتصام للشاطبي، 1/329-331، ورسائل ودراسات في الأهواء والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر العقل، 1/171، 183، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص77-81، والحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ، لسعيد بن علي [المؤلف]، ص379.

فقولوا: عبد الله ورسوله))[1].

المطلب الخامس: أقسام البدع

البدع أقسام مختلفة باعتبارات مختلفة، وإليك التفصيل بإيجاز واختصار:

القسم الأول: البدعة الحقيقية والإضافية:

1- البدعة الحقيقية: وهي التي لم يدلّ عليها دليل شرعي لا من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا استدلالٍ مُعتبَر عند أهل العلم، لا في الجملة، ولا في التفصيل؛ ولذلك سمّيت بدعة؛ لأنها شيء مُخترع في الدين على غير مثال سابق[2]، ومن أمثلة ذلك: التقرّب إلى الله ﷻ بالرّهبانية: أي اعتزال الخلق في الجبال ونبذ الدنيا ولذّاتها تعبّداً لله ﷻ ، والذين فعلوا ذلك ابتدعوا عبادة من عند أنفسهم، وألزموا أنفسهم بها[3]، ومن أمثلة ذلك: تحريم ما أحلّ الله من الطيّبات تعبّداً لله ﷻ[4]، وغير ذلك من الأمثلة[5].

2- البدعة الإضافية: وهي التي لها جهتان أو شائبتان:

إحداهما: لها من الأدلة متعلَّق، فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

والأخرى: ليس لها متعلَّق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية: أي أنها بالنسبة لإحدى الجهتين سنة لاستنادها إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، ولأنها مستندة إلى شيء، والفرق بينهما من جهة المعنى أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات، أو الأحوال، أو التفاصيل لم يقم عليها، مع أنها محتاجة إليه؛ لأن الغالب وقوعها في التعبديات لا في العادات المحضة[6]، ومن أمثلة ذلك: الذكر

---

(1) البخاري،كتاب الأنبياء،باب قول الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ...﴾،171/4،برقم 3445.
(2) انظر: الاعتصام للشاطبي، 367/1.
(3) انظر: الاعتصام للشاطبي، 370/1، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 316/4، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص 782.
(4) انظر: الاعتصام للشاطبي، 417/1.
(5) انظر: المرجع السابق، 370/1-445.
(6) انظر: الاعتصام للشاطبي، 367/1، 445.

أدبار الصلوات، أو في أي وقت على هيئة الاجتماع بصوت واحد، أو يدعو الإمام والناس يؤمِّنون أدبار الصلوات، فالذكر مشروع، ولكن أداءه على هذه الكيفية غير مشروع، وبدعة مخالفة للسنة[1]، ومن ذلك تخصيص يوم النصف من شعبان بصيام، وليلته بقيام، وصلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من رجب، وهذه بدع منكرة، وهي بدعة إضافية؛ لأن عبادات الصلاة والصيام الأصل فيها المشروعية، لكن يأتي الابتداع في تخصيص الزمان، أو المكان، أو الكيفية؛ فإن ذلك لم يأت في كتاب ولا سنة، فهي مشروعة باعتبار ذاتها، بدعة باعتبار ما عَرَض لها[2].

القسم الثاني: البدعة الفعلية والتَّركية:

1- البدعة الفعلية: تدخل في تعريف البدعة: فهي طريقة في الدين مُخترَعة، تشبه الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه[3]، ومن أمثلة ذلك: الزيادة في شرع الله ما ليس منه، كمن يزيد في الصلاة ركعة، أو يدخل في الدين ما ليس منه، أو يفعل العبادة على كيفية يخالف فيها هدي النبي ﷺ[4]، أو يخصّص وقتاً للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع: كتخصيص يوم النصف من شعبان بصيام وليلته بقيام[5].

2- البدعة التَّركية: تدخل في عموم تعريف البدعة، من حيث إنها ((طريقة في الدين مخترعة))[6]، فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريماً للمتروك، أو غير تحريم؛ فإن الفعل ((مثلاً)) قد يكون حلالاً بالشرع فيحرمه الإنسان على نفسه، أو يقصد تركه قصداً، فهذا

---

(1) انظر: المرجع السابق ، 452/1، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص 96.
(2) انظر: أصول في البدع والسنن، للشيخ العدوي، ص30، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للسحيمي، ص96.
(3) انظر: الاعتصام للشاطبي، 50/1-56.
(4) انظر: المرجع السابق،367/1-445،وتنبيه أولي الأبصار، للدكتور صالح السحيمي، ص99، وحقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد الغامدي، 37/2، وأصول في البدع والسنن للعدوي، ص70، وعلم أصول البدع، لعلي بن حسن الأثري، ص107.
(5) انظر: كتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص82.
(6) انظر: الاعتصام للشاطبي، 57/1.

الترك إما أن يكون لأمر يُعتبر شرعاً، أو لا: فإن كان لأمر يعتبر فلا حرج فيه؛ لأنه ترك ما يجوز تركه، أو ما يُطلب بتركه، كالذي يمنع نفسه من الطعام الفلاني من أجل أنه يضرّه في جسمه، أو عقله، أو دينه، وما أشبه ذلك، فلا مانع هنا من الترك، وهذا راجع إلى الحمية من المضرّات، وأصله قوله ﷺ: ((**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**))[1]، وكذلك لو ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وهذا كترك المشتبه حذراً من الوقوع في الحرام، واستبراءً للدين والعرض.

وإن كان الترك لغير ذلك، **فإما أن يكون تديُّناً أو لا**؛ فإن لم يكن تديناً فالتارك عابث بتحريمه الفعل، أو بعزيمته على الترك، ولا يسمى هذا الترك بدعة؛ لأنه لا يدخل تحت لفظ الحدّ، إلا على الطريقة الثانية القائلة: إن البدعة تدخل في العادات، وأما على الطريقة الأولى، فلا يدخل، لكن هذا التارك يكون مخالفاً بتركه، أو باعتقاده التحريم فيما أحلَّ الله، وإثم المخالفة يختلف باختلاف درجات المتروك: من حيث: الوجوب، والندب.

أما إن كان الترك تديُّناً فهو الابتداع في الدين، سواءً كان المتروك مباحاً، أو مأموراً به،وسواءً كان في العبادات،أو المعاملات،أو العادات: بالقول، أو الفعل، أو الاعتقاد، إذا قصد بتركه التعبّد لله كان مبتدعاً بتركه[2]، ومن الأدلّة على أن الترك في مثل ذلك يكون بدعة: قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها، فكأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: ((**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له؛ لكني: أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد،**

---

(1) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، 280/2، برقم 1905، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنته، 1018/2، برقم 1400.

(2) انظر: الاعتصام، للشاطبي، 58/1.

وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[1].

والمراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء: الإعراض عنه إلى غيره، والمراد: من ترك طريقتي، وأخذ بطريقة غيري فليس مني[2].

واتّضح مما سبق أن البدعة على قسمين: بدعة فعلية، وبدعة تركية، كما ظهر أن السنة على قسمين: سنة فعلية وسنة تركية، فسنة النبي ﷺ كما تكون بالفعل تكون بالترك، فكما كلفنا الله باتباع النبي ﷺ في فعله الذي يتقرب به إلى الله - إذا لم يكن من باب الخصوصيات -، كذلك طالبنا باتباعه في تركه، فيكون الترك سنة، والفعل سنة، وكما لا نتقرّب إلى الله بترك ما فعل، لا نتقرّب إليه بفعل ما ترك، فالفاعل لما ترك، كالتارك لما فعل، ولا فرق بينهما[3].

القسم الثالث: البدعة القولية الاعتقادية، والبدعة العملية:

1- البدعة القولية الاعتقادية: كمقالات الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وسائر الفرق الضالّة، واعتقاداتهم، ويدخل في ذلك الفرق التي ظهرت كالقاديانية، والبهائية، وجميع فرق الباطنية المتقدمة: كالإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والرافضة وغيرهم.

2- البدعة العملية وهي أنواع:

النوع الأول: بدعة في أصل العبادة، كأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صياماً غير

---

(1) متفق عليه من حديث أنس بن مالك ﷺ: البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، 142/6، برقم 5063، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، 1020/2، برقم 1401.

(2) انظر: فتح الباري، لابن حجر، 105/9.

(3) انظر: الاعتصام للشاطبي، 57/1-60، و 479، 485، 498، والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، لجلال الدين السيوطي، ص205، وأصول في البدع، للشيخ محمد أحمد العدوي، ص70، وحقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد بن ناصر الغامدي، 37/2-58، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص97، وعلم أصول البدع للشيخ علي بن حسن الأثري، ص107، وتحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين، للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، ص83.

مشروع، أو أعياداً غير مشروعة، كأعياد المواليد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون من الزيادة على العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة، بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وكذلك أداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتعبد بالتشديد على النفس في العبادات إلى حدٍّ يخرج عن سنة رسول الله ﷺ.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع: كتخصيص يوم النصف من شعبان بصيام، وليلته بقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل[1].

المطلب السادس: حكم البدعة في الدين

لاشك أن كل بدعة في الدين ضلالة، ومحرّمة، لقول النبي ﷺ: ((**إياكم ومُحدَثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**))[2]، وقوله ﷺ: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**))، وفي رواية لمسلم: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**))[3]، فدل الحديثان على أن كل مُحدَثٍ في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، فالبدع في العبادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة:

فمنها: ما هو كفر: كالطواف بالقبور تقرّباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية، والمعتزلة، والرافضة.

ومنها:ما هو من وسائل الشرك:كالبناء على القبور،والصلاة والدعاء عندها.

---

(1) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 346/18، 35-414، وكتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص 81-82، ومجلة الدعوة، العدد 1139، 9 رمضان، 1408، مقال الدكتور صالح الفوزان في أنواع البدع، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص 100.

(2) أبو داود، 201/4، برقم 4607، والترمذي، 44/5، برقم 2676، وتقدم تخريجه.

(3) متفق عليه:البخاري، 222/3،برقم 2697،ومسلم، 1343/3، برقم 1718، وتقدم تخريجه.

ومنها: ما هو من المعاصي: كبدعة التبتل ((ترك الزواج))، والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع الشهوة، وغير ذلك[1]، وقد ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله: أن إثم المبتدع ليس على رتبة واحدة، بل هو على مراتب مختلفة، واختلافها يقع من جهات، على النحو الآتي:

1- من جهة كون صاحب البدعة مُدَّعياً للاجتهاد أو مقلداً.
2- من جهة وقوعها في الضروريات: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال أو غيرها.
3- من جهة كون صاحبها مستتراً بها أو معلناً.
4- من جهة كونه داعياً إليها أو غير داعٍ لها.
5- من جهة كونه خارجاً على أهل السنة أو غير خارج.
6- من جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية.
7- من جهة كون البدعة بيِّنة أو مشكلة.
8- من جهة كون البدعة كفراً أو غير كفر.
9- من جهة الإصرار على البدعة أو عدمه.

وبيّن رحمه الله أن هذه المراتب تختلف في الإثم على حسب النظر إلى دركاتها[2].

وأوضح رحمه الله أن هذه المراتب منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، وأن وصف الضلال ملازم لها، وشامل لأنواعها[3].

ولا شك أن البدع تنقسم على حسب مراتبها في الإثم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كفر بواح[4].

القسم الثاني: كبيرة من كبائر الذنوب[5].

القسم الثالث: صغيرة من صغائر الذنوب[6]، وللبدعة الصغيرة شروط، هي:

---

(1) انظر: كتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ص 82.
(2) انظر: الاعتصام، 216/1 - 224، و515/2 - 559.
(3) انظر: الاعتصام للشاطبي ، 530/2.
(4) انظر: المرجع السابق ، 516/2.
(5) انظر: الاعتصام للشاطبي ، 517/2 و 543/2 - 550.
(6) انظر: المرجع السابق ، 517/2، و 539/2، 543 - 550.

الشرط الأول: لا يداوم عليها، فإن المداومة تنقلها إلى كبيرة في حقه.

الشرط الثاني: لا يدعو إليها؛ فإن ذلك يعظم الذنب لكثرة العمل بها.

الشرط الثالث: لا يفعلها في مجتمعات الناس، ولا في المواضع التي تقام فيها السنن.

الشرط الرابع: لا يستصغرها ولا يستحقرها، فإن ذلك استهانة بها، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب[1].

واسم الضلالة يقع على هذه الأقسام الثلاثة؛ لأن النبي ﷺ جعل كل بدعة ضلالة، وهذا يشمل البدعة المكفرة، والبدعة المفسقة: سواء كانت كبيرة أو صغيرة[2].

ومنهم من قسم البدع إلى أقسام أحكام الشريعة الخمسة: فقال: قسم من البدع واجب، وقسم محرم، وقسم مندوب إليه، والقسم الرابع: بدعة مكروهة، والقسم الخامس: البدع المباحة. وهذا التقسيم مخالف لقوله ﷺ: ((**فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**))[3].

وقد رد على هذا التقسيم الإمام الشاطبي رحمه الله بعد أن ذكر التقسيم وصاحبه: ((والجواب أن هذا التقسيم أمر مُخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي: لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوبٍ، أو ندبٍ، أو إباحةٍ؛ لما كان ثَمَّ بدعة، ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها، أو المخيّر فيها، فالجمع بين كون تلك الأشياء بدعاً، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها، أو ندبها، أو إباحتها جمع بين متنافيين، أما المكروه منها والمحرم، فمسلَّمٌ من جهة كونها بدعاً، لا من جهةٍ أخرى[4].

---

(1) انظر هذه الشروط مع شرحها النفيس: الاعتصام للشاطبي، 551/2 -559.
(2) انظر: المرجع السابق، 516/2.
(3) أبو داوود، 201/4، برقم 4607، والترمذي، 44/5، برقم 2676، وتقدم تخريجه.
(4) الاعتصام، 246/1.

المطلب السابع: أنواع البدع عند القبور

النوع الأول: من يسأل الميت حاجته[1]، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، وقد قال الله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾[2]، فكل من دعا نبياً، أو ولياً، أو صالحاً، وجعل فيه نوعاً من الإلهيّة، فقد تناولته هذه الآية؛ فإنها عامة في كل من دعا من دون الله مدعوّاً، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من دعا مَيِّتاً، أو غائباً: من الأنبياء، والصالحين، سواء كان بلفظ الاستغاثة، أو غيرها فقد فعل الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من العبادة مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أعني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن الله إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليُعبد وحده، ولا يُجعل معه إله آخر.

النوع الثاني: أن يسأل الله تعالى بالميت، وهو من البدع المحدثة في الإسلام، وهذا ليس كالذي قبله فإنه لا يصل إلى الشرك الأكبر.

والعامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بالأنبياء والصالحين كقول أحدهم: أتوسل إليك بنبيك، أو بأنبيائك، أو بملائكتك، أو بالصالحين من عبادك، أو بحقّ الشيخ فلان، أو بحرمته، أو أتوسل إليك باللوح والقلم، وغير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم، وهذه الأمور من البدع المحدثة المنكرة، والذي جاءت به السنة هو التوسّل والتوجّه بأسماء الله تعالى، وصفاته، وبالأعمال الصالحة، كما ثبت في الصحيحين في قصة الثلاثة (أصحاب الغار)، وبدعاء المسلم الحي الحاضر لأخيه المسلم.

النوع الثالث: أن يظن أن الدعاء عند القبور مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك.

---

(1) انظر: تعريف البدعة لغة واصطلاحاً، في المطلب الأول من المبحث الثاني من هذا الكتاب.

(2) سورة الإسراء، الآيتان: 56-57.

فإن هذا من المنكرات إجماعاً، ولم نعلم في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين، وهذا أمر لم يشرعه الله، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين ولا أئمة المسلمين، وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات، ودهمتهم نوائب، ولم يجيئوا عند قبر النبي ﷺ، بل خرج عمر بالعباس فاستسقى بدعائه، وقد كان السلف ينهون عن الدعاء عند القبور، فقد رأى علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فيها، فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ، قال: ((**لا تجعلوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي، وسلّموا حيثما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم**))[1]، ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً فغيره أولى بالنهي كائناً ما كان[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلّوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**))[3].

المطلب الثامن: البدع المنتشرة المعاصرة

البدع المنتشرة المعاصرة كثيرة جداً،ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

أولاً: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي:

الاحتفال بالمولد بدعة منكرة،وأول من أحدثها العبيديون في القرن الرابع الهجري،وقد بيّن العلماء قديماً وحديثاً بطلان هذه البدعة والرد على من ابتدعها وعمل بها،فلا يجوز الاحتفال بالمولد،لأمور وبراهين منها:

أولاً: الاحتفال بالمولد من البدع المحدثة في الدين التي ما أنزل الله

---

(1) رواه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص34، وصححه الألباني في المرجع نفسه، وله طرق وروايات ذكرها في كتابه تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص140.

(2) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم، 6/165-174.

(3) رواه أبو داود، واللفظ له، في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، 2/218، برقم 2042، وأحمد، 2/367، وحسنه الشيخ الألباني في كتابه: تحذير الساجد، ص142.

بها من سلطان؛لأن النبي ﷺ لم يشرعه لا بقوله،ولا فعله،ولا تقريره،وهو قدوتنا وإمامنا،قال الله ﷻ:﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1]،وقال سبحانه:﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[2]،وقال النبي ﷺ:((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**))[3].

ثانياً: الخلفاء الراشدون ومن معهم من أصحاب النبي ﷺ لم يحتفلوا بالمولد، ولم يدعوا إلى الاحتفال به، وهم خير الأمة بعد نبيها، وقد قال ﷺ في حق الخلفاء الراشدين: ((**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**))[4].

ثالثاً: الاحتفال بالمولد من سنة أهل الزيغ والضلال؛ فإن أول من أحدث الاحتفال بالمولد الفاطميون، العبيديون في القرن الرابع الهجري، وقد انتسبوا إلى فاطمة رضي الله عنها ظلماً وزوراً، وبهتاناً؛ وهم في الحقيقة من اليهود، وقيل من المجوس، وقيل من الملاحدة[5]، وأولهم المعز لدين الله العبيدي المغربي الذي خرج من المغرب إلى مصر في شوال سنة 361هـ، وقدم إلى مصر في رمضان سنة 362هـ[6]، فهل لعاقل مسلم أن يقلد الرافضة، ويتّبع سنتهم ويخالف هدي نبيه محمد ﷺ؟.

رابعاً: إن الله ﷻ قد كمَّل الدين، فقال ﷻ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**

---

(1) سورة الحشر، الآية: 7.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.
(3) متفق عليه: البخاري، برقم 2697، ومسلم، برقم 1718، وتقدم تخريجه.
(4) أبو داود، برقم 4607، والترمذي، برقم 2676، وتقدم تخريجه.
(5) انظر: الإبداع في مضار الابتداع، للشيخ علي محفوظ، ص251، والتبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ص359-373، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، للدكتور صالح السحيمي، ص232.
(6) انظر: البداية والنهاية: لابن كثير، 11/272-273، 345، 12/267-268، و 6/232، 11/161، 12/13، 63، 266، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، 15/159- 215، وذكر أن آخر ملوك العبيدية: العاضد لدين الله، قتله صلاح الدين الأيوبي سنة 564هـ، قال: ((تلاشى أمر العاضد مع صلاح الدين إلى أن خلعه وخطب لبني العباس واستأصل شأفة بني عبيد ومحق دولة الرفض، وكانوا أربعة عشر متخلفاً لا خليفة، والعاضد في اللغة: القاطع، فكان هذا عاضداً لدولة أهل بيته))، 15/212.

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾[1]، والنبي ﷺ قد بلّغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة، ويُباعد من النار إلا بيَّنه للأمة، ومعلوم أن نبيّنا ﷺ هو أفضل الأنبياء، وخاتمهم، وأكملهم بلاغاً، ونصحاً لعباد الله، فلو كان الاحتفال بالمولد من الدين الذي يرضاه الله ﷻ لبيَّنه ﷺ لأمته، أو فعله في حياته، قال ﷺ: ((**ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمّته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم**))[2].

خامساً: إحداث مثل هذه الموالد البدعية يُفهم منه أن الله تعالى لم يُكمل الدين لهذه الأمة، فلا بد من تشريع ما يكمل به الدين! ويفهم منه أن الرسول ﷺ لم يُبلّغ ما ينبغي للأمة حتى جاء هؤلاء المبتدعون المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به سبحانه، زاعمين أن ذلك يقرّبهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله ﷻ ، وعلى رسوله ﷺ، والله ﷻ قد أكمل الدين، وأتمّ على عباده نعمته.

سادساً: صرّح علماء الإسلام المحقّقون بإنكار الموالد، والتحذير منها عملاً بالنصوص من الكتاب والسنة، التي تحذّر من البدع في الدين، وتأمر باتّباع النبي ﷺ ، وتحذّر من مخالفته في القول وفي الفعل والعمل.

سابعاً: إن الاحتفال بالمولد لا يحقّق محبّة الرسول ﷺ، وإنما يحقّق ذلك: اتّباعه، والعمل بسنته، وطاعته ﷺ، قال الله ﷻ: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**[3].

ثامناً: الاحتفال بالمولد النبوي، واتخاذه عيداً فيه تشبه باليهود والنصارى في أعيادهم، وقد نُهينا عن التشبه بهم، وتقليدهم[4].

تاسعاً: العاقل لا يغترّ بكثرة من يحتفل بالمولد من الناس في سائر البلدان، فإن الحقّ لا يُعرف بكثرة العاملين، وإنما يعرف

---

(1) سورة المائدة، الآية: 3.
(2) مسلم،كتاب الإمارة،باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء:الأول فالأول،1473/2،برقم 1844.
(3) سورة آل عمران، الآية: 31.
(4) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، 614/2-615، وزاد المعاد، لابن القيم، 59/1.

بالأدلة الشرعية، قال الله ﷻ: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ** ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾[3].

عاشراً: القاعدة الشرعية: ردّ ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، كما قال الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا** ﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ** ﴾[5]، ولا شك أن من ردّ الاحتفال بالمولد إلى الله ورسوله يجد أن الله يأمر باتّباع النبي ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾[6]، ويبين ﷻ أنه قد أكمل الدين، وأتمّ النعمة على المؤمنين، ويجد أن النبي ﷺ لم يأمر بالاحتفال بالمولد، ولم يفعله، ولم يفعله أصحابه، فعلم بذلك أن الاحتفال بالمولد ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة.

الحادي عشر: إن المشروع للمسلم يوم الإثنين أن يصوم إذا أحبّ، لأن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين، فقال: ((**ذاك يومٌ ولدت فيه، ويومٌ بعثت، أو أنزل عليّ فيه**))[7]، فالمشرع التأسي بالنبي ﷺ في صيام يوم الإثنين، وعدم الاحتفال بالمولد.

الثاني عشر: عيد المولد النبوي لا يخلو من وقوع المنكرات والمفاسد غالباً، ويعرف ذلك من شاهد هذا الاحتفال، ومن هذه المنكرات على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

1- أكثر القصائد والمدائح التي يتغنَّى بها أهل المولد لا تخلو من ألفاظ شركية، والغلوّ، والإطراء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ، فقال: ((**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده،**

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 116.
(2) سورة يوسف، الآية: 103.
(3) سورة سبأ، الآية: 13.
(4) سورة النساء، الآية: 59.
(5) سورة الشورى، الآية: 10.
(6) سورة الحشر، الآية: 7.
(7) صحيح مسلم عن أبي قتادة ﷺ، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء، والإثنين والخميس، 819/2، برقم 1162.

فقولوا: عبد الله ورسوله))[1].

2- يحصل في الاحتفالات بالموالد في الغالب بعض المحرمات الأخرى:كاختلاط الرجال بالنساء،واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات، وقد يحصل فيها الشرك الأكبر كالاستغاثة بالرسول ﷺ،أو غيره من الأولياء،والاستهانة بكتاب الله ﷻ، فيشرب الدخان في مجلس القرآن، ويحصل الإسراف والتبذير في الأموال، وإقامة حلقات الذكر المحرَّف في المساجد أيام الموالد، مع ارتفاع أصوات المنشدين مع التصفيق القوي من رئيس الذاكرين، وكل ذلك غير مشروع بإجماع علماء أهل الحق[2].

3- يحصل عمل قبيح في الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وذلك يكون بقيام البعض عند ذكر ولادته ﷺ إكراماً له وتعظيماً، لاعتقادهم أن رسول الله ﷺ يحضر المولد في مجلس احتفالهم؛ ولهذا يقومون له محيِّين ومرحبِّين، وهذا من أعظم الباطل، وأقبح الجهل؛فإن رسول الله ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة[3]، كما قال الله ﷻ: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾[4]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((**أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقّ عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفّع**))[5]، فهذه الآية، والحديث الشريف، وما جاء في هذا المعنى من الآيات والأحاديث، كلّها تدلّ على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة.

قال سماحة العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله: ((وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين، ليس فيه نزاعٌ

---

(1) البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ...﴾ 171/4،برقم 3445.
(2) انظر: الإبداع في مضار الابتداع، للشيخ علي محفوظ، ص 251-257.
(3) انظر: التحذير من البدع،لسماحة العلامة الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله،ص13.
(4) سورة المؤمنون، الآيتان: 15-16.
(5) مسلم، كتاب الفضائل،باب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق،1782/4، برقم 2278.

بينهم))[1].

ثانياً: بدعة الاحتفال بأول ليلة جمعة من شهر رجب:

الاحتفال بأول ليلة جمعة من شهر رجب بدعة منكرة، فقد ذكر الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: أنه أخبره أبو محمد المقدسي فقال: ((وأما صلاة رجب فلم تحدث عندنا في بيت المقدس إلا بعد سنة ثمانين وأربعمائة [480هـ]، وما كُنَّا رأيناها، ولا سمعنا بها قبل ذلك))[2].

وقال الإمام أبو شامة رحمه الله: ((وأما صلاة الرغائب فالمشهور بين الناس اليوم أنها هي التي تُصلى بين العشائين ليلة أول جمعة من شهر رجب))[3].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ((فأما الصلاة فلم يصحَّ في شهر رجب صلاة مخصوصة، تختصُّ به، والأحاديث المرويَّة في صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذبٌ وباطل لا تصحّ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء))[4].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((لم يرد في فضل شهر رجب، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معيَّن، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه، حديث صحيح يصلح للحجة))[5]، ثم بيّن رحمه الله أن الأحاديث الواردة في فضل رجب، أو فضل صيامه، أو صيام شيء منه على قسمين: ضعيفة، وموضوعة[6]، ثم ذكر حديث صلاة الرغائب، وفيه: أنه يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي بين العشائين ليلة الجمعة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرةً، و﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ ثلاثَ

---

(1) **التحذير من البدع، ص7-14، وانظر: الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص250-258، والتبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ص358-373، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار، ص228-250.**

(2) **الحوادث والبدع، لأبي بكر الطرطوشي، ص267، برقم 238.**

(3) **كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، للإمام أبي شامة، ص138.**

(4) **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص228.**

(5) **تبيين العجب بما ورد في شهر رجب، ص23.**

(6) **انظر: تبيين العجب بما ورد في شهر رجب ، ص23.**

مراتٍ، و ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ اثنتي عشرة مرّةً، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، ثم ذكر كلاماً طويلاً في صفة التسبيح والاستغفار، والسجود، والصلاة على النبي ﷺ، ثم بيّن بأن هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ، وبيّن أن من يصلّيها يحتاج إلى أن يصوم، وربما كان النهار شديد الحر، فإذا صام لم يتمكن من الأكل حتى يصلي المغرب، ثم يقف في صلاته، ويقع في ذلك التسبيح الطويل، والسجود الطويل، فيتأذّى غاية الأذى، وقال: ((وإني لأغار لرمضان ولصلاة التراويح كيف زوحم بهذه، بل هذه عند العوام أعظم وأجلّ؛ فإنه يحضرها من لا يحضر الجماعات))[1].

وقال الإمام ابن الصلاح رحمه الله، في صلاة الرغائب: ((حديثها موضوع على رسول الله ﷺ، وهي بدعة حدثت بعد أربعمائة من الهجرة))[2].

وأفتى الإمام العزّ بن عبد السلام سنة سبع وثلاثين وستمائة [637هـ] أن صلاة الرغائب بدعة منكرة، وأن حديثها كذب على رسول الله ﷺ))[3].

وأختم كلام الأئمة بتلخيصٍ لكلام الإمام أبي شامة في بطلان صلاة الرغائب ومفاسدها، فقد بيَّن رحمه الله ذلك على النحو الآتي:

1- مما يدلّ على ابتداع هذه الصلاة أن العلماء الذين هم أعلام الدين وأئمة المسلمين: من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، وغيرهم ممّن دوَّن الكتب في الشريعة، مع شدّة حرصهم على تعليم الناس الفرائض والسنن، لم ينقل عن واحدٍ منهم أنه ذكر هذه الصلاة، ولا دوّنها في كتابه، ولا تعرّض لها في مجلسه، والعادة تحيل أن تكون هذه سنّة، وتغيب عن هؤلاء الأعلام.

2- هذه الصلاة مخالفة للشرع من وجوهٍ ثلاثة:

الوجه الأول: مخالفة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصّوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه**

---

(1) انظر: المرجع السابق ، ص54.
(2) كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، للإمام أبي شامة، ص145.
(3) تبيين العجب بما ورد في شهر رجب ، ص 149.

أحدكم))[1]، فلا يجوز أن تُخصّ ليلة الجمعة بصلاة زائدة على سائر الليالي لهذا الحديث[2]، وهذا يعمُّ أوّل ليلة جمعة من رجب وغيرها.

الوجه الثاني: صلاة رجب وشعبان صلاتا بدعة قد كُذِبَ فيهما على رسول الله ﷺ ، بوضع ما ليس من حديثه، وكُذِبَ على الله بالتقدير عليه في جزاء الأعمال ما لم يُنَزِّل به سلطاناً، فمن الغيرة لله ولرسوله ﷺ تعطيل ما كُذِبَ فيه على الله ورسوله ﷺ، وهجره، واستقباحه، وتنفير الناس عنه؛ فإنه يلزم من الموافقة على ذلك مفاسد، هي:

المفسدة الأولى: اعتماد العوام على ما جاء في فضلها وتكفيرها، فيحمل كثيراً منهم على أمرين:

أحدهما: التفريط في الفرائض.

والثاني: الانهماك في المعاصي، وينتظرون مجيء هذه الليلة ويصلون هذه الصلاة، فيرون ما فعلوه مجزئاً عما تركوه، وماحياً ما ارتكبوه، فعاد ما ظنه واضع الحديث في صلاة الرغائب حاملاً على مزيد الطاعات: مكثراً من مزيد ارتكاب المعاصي والمنكرات .

المفسدة الثانية: أن فعل البدع مما يغري المبتدعين في إضلال الناس إذا رأوا رواج ما وضعوه، وانهماك الناس عليه، فينقلونهم من بدعة إلى بدعة، أما ترك البدع ففيه زجر للمبتدعين والواضعين عن وضع البدع.

المفسدة الثالثة: أن الرجل العالم إذا فعل هذه البدعة كان موهماً للعامة أنها من السنن، فيكون كاذباً على رسول الله ﷺ بلسان الحال، ولسان الحال قد يقوم مقام لسان المقال، وأكثر ما أُوتي الناس في البدع بهذا السبب.

المفسدة الرابعة: أن العالم إذا صلّى هذه الصلاة المبتدعة كان متسبِّباً إلى أن تكذب العامة على رسول الله ﷺ، فيقولون هذه سنة من السنن.

---

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، 303/2، برقم 1985، ومسلم، كتاب الصيام، باب كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً، 801/2، برقم 1144.

(2) انظر: كتاب الباعث على إنكار البدع، لأبي شامة، ص 156.

الوجه الثالث: أن هذه الصلاة البدعية مشتملة على مخالفة سنن الشرع في الصلاة لأمور:

الأمر الأول:مخالفة لسنة النبي ﷺ في الصلاة بسبب عدد السجدات، وعدد التسبيحات،وعدد قراءة سورتي:((القدر))،و((الإخلاص)) في كل ركعة.

الأمر الثاني: مخالفة لسنة خشوع القلب وخضوعه وحضوره في الصلاة، وتفريغه لله، والوقوف على معاني القرآن.

الأمر الثالث:مخالفة لسنة النوافل في البيوت؛لأن فعلها في البيوت أولى من فعلها في المساجد،وفعلها على الانفراد،إلا صلاة التراويح في رمضان.

الأمر الرابع: أن من كمال هذه الصلاة البدعية عند واضعيها صيام يوم الخميس ذلك اليوم، فيلزم بذلك تعطيل سنتين: سنة الإفطار، وسنة تفريغ القلب من ألم الجوع والعطش.

الأمر الخامس: أن سجدتي هذه الصلاة بعد الفراغ منها سجدتان لا سبب لهما[1].

وكل ما تقدم من الأدلة، وأقوال الأئمة، وأوجه البطلان، وأقسام المفاسد يُبيِّن للعاقل أن صلاة الرغائب بدعة منكرة قبيحة، محدثة في الإسلام.

ثالثاً: بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

ليلة الإسراء والمعراج من آيات الله ﷻ العظيمة الدالة على صدق النبي ﷺ، وعظم منزلته عند الله، وعلى عظم قدرة الله الباهرة، وعلى علوه ﷻ على جميع خلقه، قال ﷻ: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير ﴾**[2].

وتواتر عن رسول الله ﷺ: أنه عُرج به إلى السماء، وفُتحت له

---

(1) انظر: كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة، ص 153-196، وهذه المفاسد، وأوجه البطلان تشمل صلاة الرغائب في أول جمعة من رجب، وليلة النصف من شعبان، كما صرح بذلك أبو شامة في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص174.

(2) سورة الإسراء، الآية: 1.

أبوابها، حتى جاوز السماء السابعة، فكلّمه ربّه ﷻ كما أراد ﷻ، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله ﷻ فرضها خمسين صلاة، فلم يزل نبيّنا محمد ﷺ يراجع ربه، ويسأله التخفيف، حتى جعلها خمساً في الفرض، وخمسين صلاة في الأجر؛ لأن الحسنة بعشرة أمثالها، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه التي لا تعد ولا تحصى[1].

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء لا يُحتفَل بها، ولا تُخصّ بشيء من أنواع العبادة التي لم تُشرع؛ لأمور منها:

أولاً: هذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأتِ خبر صحيح في تحديدها، ولا تعيينها، لا في رجب ولا في غيره، فقيل: إنها كانت بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً، وقيل: ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، وقيل: كان ذلك بعد مبعثه بخمس سنين[2] وقيل: ليلة سبعة وعشرين من شهر ربيع الأول[3]، وقال الإمام أبو شامة رحمه الله: ((وذكر عن بعض القُصَّاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والتجريح عين الكذب))[4]، وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن ليلة الإسراء لا يُعرف أيّ ليلة كانت[5].

قال العلامة عبد العزيز ابن باز رحمه الله: ((وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأتِ في الأحاديث الصحيحة تعيينها، لا في رجب ولا في غيره، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها))[6]، ولو ثبت تعيينها لم يجز أن تُخصَّ بشيءٍ من أنواع العبادة بدون دليل[7].

---

(1) انظر: التحذير من البدع، للعلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، ص16.
(2) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 2/267-268.
(3) انظر: كتاب الحوادث والبدع، لأبي شامة، ص232.
(4) المرجع السابق،ص232،وانظر: تبيين العجب بما ورد في شهر رجب، لابن حجر، ص 9، 19، 52، 64، 65.
(5) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، 1/58.
(6) التحذير من البدع، ص17.
(7) المرجع السابق، ص17.

ثانياً: لا يعرف عن أحد من المسلمين: أهل العلم والإيمان أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة عن غيرها؛ ولأن النبي ﷺ وأصحابه، والتابعين وأتباعهم بإحسان لم يحتفلوا بها، ولم يخصّوها بشيء من العبادة، ولم يذكروها، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً؛ لبيّنه رسول الله ﷺ للأمة: إما بالقول، وإما بالفعل، ولو وقع أمر من ذلك؛ لعرف واشتهر، ونقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا[1].

ثالثاً: قد أكمل الله لهذه الأمة دينها، وأتمّ النعمة، قال الله عز وجل: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾**[2]، وقال سبحانه وتعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[3].

رابعاً: حذّر النبي ﷺ من البدع، وصرّح بأن كل بدعة ضلالة، وأنها مردودة على صاحبها، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**))[4]، وفي رواية لمسلم: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**))[5].

وحذّر السلف الصالح من البدع؛لأنها زيادة في الدين وشرعٌ لم يأذن به الله،ورسوله ﷺ، وتشبُّه بأعداء الله: من اليهود والنصارى في زياداتهم في دينهم[6].

رابعاً: الاحتفال بليلة النصف من شعبان:

أخرج الإمام محمد بن وضَّاح القرطبي بإسناده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال: لم أدرك أحداً من مشيختنا، ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولم ندرك أحداً منهم يذكر حديث مكحول[7] ولا يرى لها فضلاً على ما سواها من الليالي))[1].

---

(1) انظر: زاد المعاد لابن القيم، 58/1، والتحذير من البدع، للعلامة ابن باز، ص17.
(2) سورة المائدة، الآية: 3.
(3) سورة الشورى، الآية: 21.
(4) البخاري 222/3، برقم 2697، ومسلم، 344/3، برقم 1718، وتقدم تخريجه.
(5) مسلم، 344/3، برقم 1718، وتقدم تخريجه.
(6) انظر: التحذير من البدع، لابن باز، ص19.
(7) يعني بحديث مكحول ما أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، برقم 512، وابن حبان برقم

الليالي))[1].

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: ((وأخبرني أبو محمد المقدسي، قال: ((لم تكن عندنا ببيت المقدس قطُّ صلاة الرغائب هذه التي تُصلّى في رجب وشعبان، وأوّل ما حدثت عندنا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة [448هـ]، قَدِمَ علينا في بيت المقدس رجل من أهل نابلس يعرف بابن أبي الحمراء، وكان حسن التلاوة، فقام فصلّى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجل ثم انضاف إليهم ثالث، ورابع، فما ختمها إلا وهم في جماعة كبيرة، ثم جاء في العام القابل فصلّى معه خلق كثير، ثم جاء من العام القابل فصلّى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد، وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس، ومنازلهم ثم استقرّت كأنها سُنَّة إلى يومنا هذا))[2].

وأخرج الإمام ابن وضاح بسنده أن ابن أبي مليكة قيل له إن زياداً النميري يقول: إن ليلة النصف من شعبان أجرها كأجر ليلة القدر، فقال ابن أبي مليكة: ((لو سمعته منه وبيدي عصاً لضربته بها، وكان زيادٌ قاضياً))[3].

وقال الإمام أبو شامة الشافعي رحمه الله: ((وأما الألفية فصلاة النصف من شعبان سُمِّيت بذلك لأنها يُقرأ فيها ألف مرة ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ لأنها مائة ركعة في كل ركعة يقرأ الفاتحة مرة وسورة

برقم 5665 [481/12]، والطبراني في الكبير 109/20، برقم 215، وأبو نعيم في الحلية، 191/5، والبيهقي في شعب الإيمان، 272/5 برقم 6628، عن معاذ بن جبل ﷺ يرفعه: ((يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشركٍ أو مشاحن))، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث صحيح روي عن جماعة من الصحابة من طرق مختلفة يشد بعضها بعضاً، وهم: معاذ بن جبل، وأبو ثعلبة الخشني، وعبد الله بن عمرو، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأبو بكر الصديق، وعوف بن مالك، وعائشة ﷺ، ثم خَرَّج هذه الطرق الثمانية، وتكلم على رجالها في أربع صفحات. قلت: فإن صحّ هذا الحديث في فضل ليلة النصف من شعبان كما يقول الألباني رحمه الله فليس فيه ما يدل على تخصيص ليلتها بقيام ولا يومها بصيام، إلا ما كان يعتاده المسلم من العبادات المشروعة في أيام السَّنَة؛ لأن العبادات توقيفية.

(1) كتاب فيه ما جاء في البدع، للإمام ابن وضّاح، المتوفى سنة 287هـ ص100، برقم 119.

(2) كتاب الحوادث والبدع، للطرطوشي، المتوفى سنة 474هـ، ص266، برقم 238.

(3) كتاب فيه ما جاء في البدع، لابن وضاح، ص101، برقم 120، ورواه الطرطوشي في كتاب الحوادث والبدع عن ابن وضاح، ص263، برقم 235.

الإخلاص عشر مرات، وهي صلاة طويلة مستثقلة لم يأتِ فيها خبر, ولا أثر, إلا ضعيف أو موضوع, وللعوامّ بها افتتان عظيم, والتزم بسببها كثرة الوقيد في جميع مساجد البلاد, التي تصلَّى فيها، ويستمر ذلك الليل كله, ويجري فيه الفسوق والعصيان, واختلاط الرجال بالنساء, ومن الفتن المختلفة ما شهرته تُغني عن وصفه, وللمتعبّدين من العوامِّ فيها اعتقاد متين, وزيّن لهم الشيطانُ جَعْلَها من أصل شعائر المسلمين))[1].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعد كلام نفيس: ((وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام: كخالد بن معدان, ومكحول, ولقمان بن عامر, وغيرهم يعظّمونها ويجتهدون فيها في العبادة, وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها, وقد قيل: إنه بلغهم في ذلك آثارٌ إسرائيلية, فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختُلف في تعظيمها، فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها، منهم طائفة من عبّاد أهل البصرة، وغيرهم، وأنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز، منهم: عطاء، وابن أبي مليكه، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم، وقالوا: ذلك كله بدعة، واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين:

أحدهما: أنه يستحب إحياؤها جماعةً في المساجد، كان خالد بن معدان، ولقمان بن عامر، وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم، ويتبخّرون، ويكتحلون، ويقومون في المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك، وقال في قيامها في المساجد ليس ذلك ببدعة، نقله عنه حرب الكرماني في مسائله.

والثاني: أنه يُكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة، والقصص، والدعاء، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعي، إمام أهل الشام، وفقيههم، وعالمهم، وهذا الأقرب إن شاء الله تعالى...))، ثم قال: ((ولا يُعرف للإمام أحمد كلامٌ في ليلة نصف شعبان، ويُخرَّج في استحباب قيامها عنه روايتان، من الروايات عنه في قيام ليلة العيد؛ فإنه في رواية لم يستحبّ قيامها جماعةً؛ لأنه لم يُنقل عن النبي ﷺ وأصحابه،

---

(1) كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، لعبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة، المتوفى سنة 665هـ، ص124.

واستحبّها في رواية؛ لفعل عبد الرحمن بن زيد بن الأسود لذلك، وهو من التابعين، فكذلك قيام ليلة النصف من شعبان، لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام))[1].

قال الإمام العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله: ((وأما ما اختاره الأوزاعي رحمه الله من استحباب قيامها للأفراد، واختيار الحافظ ابن رجب لهذا القول فهو غريب وضعيف؛ لأن كل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية كونه مشروعاً لم يجزْ للمسلم أن يحدثه في دين الله، سواء فعله مفرداً أو جماعةً، وسواءً أسرّه أو أعلنه، لعموم قول النبي ﷺ: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**))[2]، وغيره من الأدلة الدالة على إنكار البدع والتحذير منها))[3].

فمما تقدم من كلام الإمام ابن وضاح، والإمام الطرطوشي، والإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، والحافظ ابن رجب رحمهم الله، وإمام هذا الزمان عبد العزيز ابن باز رحمه الله، يتضح أن تخصيص ليلة النصف من شعبان بصلاة أو غيرها من العبادة غير المشروعة بدعة لا أصل لها من كتاب، ولا سنة، ولا عملها أحد من أصحاب النبي ﷺ.

خامساً: التبرّك:

التّبرُّك: هو طلب البركة، والتبرّك بالشيء: طلب البركة بواسطته[4].

ولا شك أن الخير والبركة بيد الله ﷻ، وقد اختص الله ﷻ بعض خلقه بما شاء من الفضل والبركة، وأصل البركة: الثبوت واللزوم، وتطلق على النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء، يقال: برَّك عليه: أي دعا له بالبركة، ويقال: بارك الله الشيءَ، وبارك فيه، أو بارك عليه: أي وضع فيه البركة، وتبارك لا يوصف به إلا الله تبارك وتعالى، فلا يُقال: تبارك فلان؛ لأن المعنى عَظُمَ وهذه صفة لا

---

(1) لطائف المعارف، لابن رجب، ص263.
(2) مسلم، 344/3، برقم 1718، وتقدم تخريجه.
(3) التحذير من البدع، ص26.
(4) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، باب الباء مع الراء، مادة ((برك))، 120/1، والتبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، ص30.

تنبغي إلا الله ﷻ، واليُمْنُ: هو البركة: فالبركة واليُمن لفظان مترادفان، وقد ظهر من معاني ألفاظ القرآن الكريم أن المقصود بالبركة عدة أمور، منها:

1- ثبوت الخير ودوامه.
2- كثرة الخير وزيادته، واستمراره شيئاً بعد شيء.
3- وتبارك لا يوصف بها إلا الله، ولا تسند إلا إليه، وذكر ابن القيم رحمه الله أن تباركه ﷻ: دوام جوده، وكثرة خيره، ومجده وعلوِّه، وعظمته وتقدّسه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه، وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن أنها تكون دالة على جملة معان[1].

والأمور المباركة أنواع، منها:

1- القرآن الكريم مبارك: أي كثير البركات والخيرات؛ لأن فيه خير الدنيا والآخرة، وطلب البركة من القرآن يكون بتلاوته حق تلاوته، والعمل بما فيه على الوجه الذي يرضي الله ﷻ.

2- الرسول ﷺ مبارك، جعل الله فيه البركة، وهذه البركة نوعان:

(أ) بركة معنوية: وهي ما يحصل من بركات رسالته في الدنيا والآخرة؛ لأن الله أرسله رحمة للعالمين، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأحلّ لهم الطيبات، وحرّم عليهم الخبائث، وختم به الرسل، ودينه يحمل اليسر والسماحة.

(ب) بركة حسّيّة، وهي على نوعين:

النوع الأول: بركة في أفعاله ﷺ، وهي ما أكرمه الله به من المعجزات الباهرة الدالّة على صدقه.

النوع الثاني: بركة في ذاته، وآثاره الحسية: وهي ما جعل الله له ﷺ من البركة في ذاته؛ ولهذا تبرّك به الصحابة في حياته، وبما بقي له من آثار جسده بعد وفاته[2].

والتبرّك بالنبي ﷺ في حياته لا يقاس عليه أحد من خلق الله ﷻ؛

---

(1) انظر: جلاء الأفهام ص180، وتيسير الكريم الرحمن في تفسيره كلام المنان، للسعدي، 39/3.

(2) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، ص21-96.

لما جعل الله فيه من البركة، ولا شك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جعل الله فيهم البركة، وكذا الملائكة، والصالحين، ولكن لا يُتبرَّك بهم لعدم الدليل؛ وكذلك بعض الأماكن مباركة: كالمساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ثم سائر المساجد، وقد جعل الله في بعض الأزمنة بركة: كرمضان، وليلة القدر، وعشر ذي الحجة، والأشهر الحرم، ويوم الإثنين والخميس، والجمعة، ووقت النزول الإلهي في الثلث الآخر من الليل، وغير ذلك من الأزمنة المباركة، التي لا يتبرّك بها المسلم، وإنما يطلب البركة من الله ﷻ بقيامه بالأعمال الصالحة المشروعة فيها[1].

3- هناك أشياء مباركة: كماء زمزم، وكالمطر؛ لأن من بركاته: شرب الناس منه والأنعام والدوابّ، وإنبات الثمار والأشجار، وشجرة الزيتون مباركة، واللبن مبارك، والخيل مباركة، والغنم مباركة، والنخيل مباركة[2].

والتبرّك المشروع يكون بأمور، منها ما يأتي:

1- التبرّك بذكر الله، وتلاوة القرآن الكريم، ويكون ذلك على الوجه المشروع، وهو طلب البركة من الله ﷻ بذكر القلب، واللسان، والعمل بالقرآن والسنة على الوجه المشروع؛ لأن من بركات ذلك اطمئنان القلب، وقوة القلب على الطاعة، والشفاء من الآفات، والسعادة في الدنيا والآخرة، ومغفرة الذنوب، ونزول السكينة، وأن القرآن يكون شفيعاً لأصحابه يوم القيامة، ولا يُتبرّك بالمصحف كوضعه في البيت أو في السيارة وإنما التبرّك يكون بالتلاوة، والعمل به[3].

2- التبرّك المشروع بذات النبي ﷺ في حياته؛ لأن النبي ﷺ مبارك في ذاته، وما اتصل بذاته؛ ولهذا تبرك الصحابة ﷺ بذاته ﷺ، ومن ذلك، ما ثبت عن أبي جحيفة ﷺ قال: ((خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وقام

---

(1) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، ص70-182.
(2) انظر: المرجع السابق، ص 183-197.
(3) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر الجديع، ص 201-241.

الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك))[1].

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى مِنىً، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: ((**خذ**))، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس))، وفي رواية: ((**ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه، ثم ناوله الشق الأيسر**))[2]، فقال: ((**احلق**)) فحلقه، فأعطاه أبا طلحة فقال: ((**اقسمه بين الناس**))[3].

وكان الصحابة يتبركون بثياب النبي ﷺ ومواضع أصابعه، وبماء وضوئه، وبفضل شربه، وهو كثير[4]، ويتبركون بالأشياء المنفصلة منه: كالشعر، والأشياء التي استعملها وبقيت بعده: كالثياب، والآنية، والنعل، وغير ذلك مما اتصل بجسده ﷺ[5].

ولا يقاس عليه غيره ﷺ؛ فإنه لم يؤثر عنه ﷺ أنه أمر بالتبرك بغيره من الصحابة ﷺ أو غيرهم، ولم ينقل أن الصحابة ﷺ فعلوا ذلك مع غيره لافي حياته ولا بعد مماته، ولم يفعلوه مع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ولا مع الخلفاء الراشدين المهديين، ولا مع العشرة المشهود لهم بالجنة، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: ((الصحابة ﷺ بعد موته عليه الصلاة والسلام، لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ﷺ، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر ﷺ، وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريقٍ صحيح معروف أن متبرّكاً تبرّك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها))[6]،

---

(1) البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، 200/4، برقم 3553.
(2) أي: ناول الحلاق.
(3) مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي، ثم ينحر، ثم يحلق، والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق، 947/2، برقم 1305.
(4) انظر: التبرك، أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص 248-250.
(5) انظر: التبرك، أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص 252-260.
(6) الاعتصام للشاطبي،8/2، 9،ونظر:التبرك:أنواعه وأحكامه،للدكتور الجديع،ص261-269.

ولا شكَّ أنَّ الانتفاع بعلم العلماء، والاستماع إلى وعظهم، ودعائهم، والحصول على فضل مجالس الذكر معهم فيها من الخير والبركة والنفع الشيء العظيم، ولكن لا يُتبرّك بذواتهم، وإنما يُعمل بعلمهم الصحيح، ويُقتدى بأهل السنة منهم[1].

3- التبرّك بشرب ماء زمزم؛ لأنه أفضل مياه الأرض، ويُشبع من شربه، ويكفيه عن الطعام، ويُستشفى بشربه مع النية الصالحة من الأسقام؛ لأنه لما شرب له؛ قال النبي ﷺ في ماء زمزم: ((**إنها مباركة، إنها طعام طعم [وشفاء سقيم]**))[2]، وعن جابر رضي الله عنه يرفعه: ((**ماء زمزم لما شرب له**))[3]، ويذكر أن النبي ﷺ ((كان يحمل ماء زمزم في الأداوي والقرب، فكان يصبّ على المرضى ويسقيهم))[4].

4- التبرّك بماء المطر، لا شك أن المطر مبارك لما جعل الله فيه من البركة: من شرب الناس منه، والأنعام، والدوابّ، وإنبات الأشجار، والثمار، وأحيى به الله كل شيء، وقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه، قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر. قال: فحسر[5] رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: ((**لأنه حديثُ عهدٍ بربه**))[6]، قال الإمام النووي رحمه الله: ((ومعنى حديث عهد بربه: أي بتكوين ربه إياه، ومعناه أن المطر رحمة، وهي قريبة العهد بخلق الله

---

(1) **انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص 269-278.**

(2) **أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه ، 1922/4، برقم 2473، وما بين المعقوفين عند البزار، والبيهقي، والطبراني، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ((رجاله ثقات))، 286/3.**

(3) **أخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، 1018/2، برقم 3062، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، 183/2، وإرواء الغليل، 320/4.**

(4) **الترمذي بنحوه، عن عائشة رضي الله عنها، كتاب الحج، بابٌ: حدثنا أبو كريب، 286/3، برقم 963، والبيهقي، 202/5، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 284/1، والأحاديث الصحيحة، 572/2.**

(5) **أي: كشف بعض بدنه. شرح النووي على صحيح مسلم، 448/6.**

(6) **أخرجه مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، 615/2، برقم 898.**

تعالى لها، فيُتبرّك بها))[1].

والتبرّك الممنوع منه ما يأتي:

1- التبرّك بالنبي ﷺ بعد وفاته ممنوع إلا في أمرين:

الأمر الأول: الإيمان به، وطاعته واتباعه، فمن فعل ذلك حصل له الخير الكثير، والأجر العظيم، والسعادة في الدنيا والآخرة.

الأمر الثاني: التبرك بما بقي من أشياء منفصلة عنه ﷺ: كثيابه، أو شعره، أو آنيته، وقد تقدّم بيان ذلك.

وما عدا ذلك من التبرك فلا يُشرع، فلا يُتبرّك بقبره، ولا تشد الرحال لزيارة قبره، وإنما تُشدّ الرحال لزيارة أحد المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي، وإنما تُستحب الزيارة لقبره لمن كان في المدينة، أو زار المسجد ثم زار قبره، **وصفة الزيارة**: إذا دخل المسجد صلى تحية المسجد، ثم يذهب إلى القبر ويقف بأدبٍ مستقبلاً الحجرة، فيقول بأدب وخفض صوت: ((السلام عليك يا رسول الله))، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يزيد على ذلك، وإن زاد ((السلام عليك يارسول الله، يا خيرة الله من خلقه، أشهد أنك رسول الله حقاً، وأنك قد بلّغت الرسالة، وأدّيت الأمانة، وجاهدت في الله حق جهاده، ونصحت الأمة))، فلا بأس بذلك لأن ذلك من صفاته[2]، ولا يدعو عند القبر؛ لظنه أن الدعاء عنده مُستجاب، ولا يطلب منه الشفاعة، ولا يتمسح بالقبر، ولا يقبّله، ولا شيء من جدرانه، ولا يتبرّك بالمواضع التي جلس فيها أو صلى فيها، ولا بالطرق التي سار عليها، ولا بالمكان الذي أنزل عليه فيه الوحي، ولا بمكان ولادته، ولا بليلة مولده، ولا بالليلة التي أُسري به فيها، ولا بذكرى الهجرة، ولا غير ذلك مما لم يشرعه الله، ولا رسوله ﷺ[3].

2- من التبرك الممنوع: التبرك بالصالحين، فلا يُتبرّك بذواتهم، ولا آثارهم، ولا مواضع عباداتهم، ولا مكان إقامتهم، ولا بقبورهم، ولا تُشدّ الرحال إلى زيارتها، ولا يُصلى عندها، ولا تُطلب الحوائج

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، 448/6.
(2) انظر: مجموع فتاوى ابن باز في الحج والعمرة، 289/5.
(3) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص 315-380.

عند قبورهم، ولا يُتمسح بها، ولا يُعكف عندها، ولا يُتبرّك بمواليدهم، وغير ذلك ومن فعل شيئاً من ذلك تقرباً إليهم فقد أشرك بالله شركاً أكبر، إذا اعتقد أنهم يضرون أو ينفعون، أو يعطون أو يمنعون، أما من فعل ذلك يرجو البركة من الله بالتبرك بهم فقد ابتدع بدعة نكراء، وعمل عملاً قبيحاً[1].

3- من التبرك الممنوع: التبرك بالجبال والمواضع؛ لأن ذلك يخالف ما كان عليه النبي ﷺ، والتبرك بذلك يسبب تعظيم هذه الجبال والمواضع، ولا يجوز القياس على تقبيل الحجر الأسود، أو الطواف بالبيت؛ فإن ذلك عبادة لله ﷻ توقيفية، ولا يمسح غير الحجر الأسود والركن اليماني من الكعبة؛ لأن النبي ﷺ لم يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين باتفاق العلماء[2]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((ليس عل وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني))[3].

وقال رحمه الله عند كلامه على خصائص مكة: ((ليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها غيرها))[4].

وقال شيخ الإسلام في حكم الطواف بغير الكعبة:((وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرمة، ومن اتخذه ديناً يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل))[5].

ولا يجوز التمسّح، ولا تقبيل مقام إبراهيم، ولا الحجر، ولا شيئاً من جدران المسجد، ولا يُتبرّك بجبل حراء، ويُسمَّى جبل النور، ولا تشرع زيارته، ولا الصعود إليه، ولا قصده للصلاة، ولا يُتبرّك بجبل ثور، ولا تُشرع زيارته، ولا جبل عرفات، ولا جبل أبي قبيس، ولا جبل ثبير، ولا يُتبرّك بالدور: كدار الأرقم ولا غيرها، ولا تشرع زيارة جبل الطور، ولا تُشدّ الرحال إليه، ولا يُتبرّك

---

(1) انظر: المرجع السابق، ص 381-418.
(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، 799/2.
(3) زاد المعاد في هدي خير العباد، 48/1.
(4) زاد المعاد، 48/1.
(5) مجموع فتاوى ابن تيمية، 121/26.

بالأشجار والأحجار ونحوها[1].

وأسباب التبرك الممنوع: الجهل بالدين، والغلو في الصالحين، والتشبه بالكفار، وتعظيم الآثار المكانية[2].

وآثار التبرك الممنوع كثيرة منها: الشرك الأكبر، وهو أعظم الآثار، وأشدها خطراً، إذا كان التبرّك في حد ذاته شركاً، وإذا كان التبرّك يؤدّي إلى الشرك فيكون من وسائل الشرك الأكبر.

ومن آثار التبرّك الممنوع الابتداع في الدين، واقتراف المعاصي، والوقوع في أنواع الكذب، وتحريف النصوص، وتحميلها ما لا تحمل، وإضاعة السنن، والتغرير بالجهال، وإضاعة الأجيال، كل هذه الأمور من آثار التبرك المحرم المذموم.

أما وسائل مقاومة التبرك الممنوع، فمنها: نشر العلم، والدعوة إلى منهج الحق، وإزالة وسائل الغلو ومظاهر التبرك، وتحطيم كل وسيلة من هذه الوسائل[3].

قال العلامة السعدي رحمه الله في تعليقه على كتاب التوحيد: باب من تبرك بشجرة أو حجرة أو نحوهما: ((أي فإن ذلك من الشرك، ومن أعمال المشركين؛ فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار، والأحجار، والبقع، والمشاهد وغيرها؛ فإن هذا التبرك غلوٌّ فيها، وذلك يتدرّج به إلى دعائها وعبادتها وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحديث عليه، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم، وحجرة النبي ﷺ، وصخرة بيت المقدس، وغيرها من البقع الفاضلة.

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرّفة، فهذا عبودية لله، وتعظيم لله، وخضوع لعظمته، فهو روح التّعبُّد. فهذا تعظيم للخالق وتَعبُّدٌ له، وذلك تعظيم للمخلوق، وتألُّه له. والفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاصٌ وتوحيدٌ، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد))[4].

---

(1) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص419-464.
(2) انظر: التبرك: أنواعه وأحكامه، للدكتور الجديع، ص 420-481.
(3) انظر: المرجع السابق، ص 483-506، واقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ص 795-802، وكتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص 93.
(4) القول السديد في مقاصد التوحيد، ص51.

سادساً: بدع منكرة مختلفة، كثيرة جداً:

منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

1- الجهر بالنيّة: كأن يقول المسلم: نويت أن أصلي لله كذا وكذا، أو نويت أن أصوم هذا اليوم فرضاً، أو نفلاً لله تعالى، أو يقول نويت أن أتوضأ، أو نويت أن أغتسل، أو نحو ذلك، وهذا التلفّظ بالنيّة بدعة؛ لأن ذلك ليس من هدي النبي ﷺ؛ ولأن الله ﷻ يقول: **﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**[1]، والنية محلّها القلب، فهي عمل قلبي لا عمل لساني، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ((النية هي: قصد القلب ولا يجب التلفظ بما في القلب في شيء من العبادات))[2].

2- الذكر الجماعي بعد الصلوات؛ والمشروع أن يقول كل واحد الذكر الوارد منفرداً، كما كان النبي ﷺ يذكر الله ﷻ أدبار الصلوات، وكما عمله الصحابة ﷺ؛ لأنهم المطبّقون لسنته عليه الصلاة والسلام، فلا شك أن الذكر الجماعي بدعة مخالفة لهدي النبي ﷺ.

3- طلب قراءة الفاتحة على أرواح الأموات، أو تقرأ على الأموات، أو قراءتها بعد الدعاء للأموات، أو عند خطبة النكاح، كل ذلك من البدع المنكرة التي لم ترد عن رسول الله ﷺ، ولم يفعلها الصحابة ﷺ، وهم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ، فعُلم بذلك أن هذا الفعل بدعة مُحدثة مُنكرة.

4- إقامة المآتم على الأموات، وصناعة الأطعمة، واستئجار المقرئين لقراءة القرآن، يزعمون أن ذلك من باب العزاء، وأنه ينفع الميت، وكل ذلك من البدع، والأغلال التي ما أنزل الله بها من سلطان.

5- الأذكار الصوفية بأنواعها التي تخالف هدي محمد ﷺ، سواء كانت المخالفة في الصيغة، أو الهيئة، أو الوقت، لقوله عليه الصلاة

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 16.
(2) جامع العلوم والحكم، 92/1.

والسلام: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**))[1].

6- البناء على القبور: واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، ودفن الأموات فيها، والصلاة إلى القبور، وزيارتها لأجل التبرّك بها، والتوسّل بأصحابها، أو غيرهم من الموتى، والتبرك بالصلاة عند قبورهم، أو الدعاء عندها، وزيارة النساء للقبور، واتّخاذ السّرُج عليها، كلّ ذلك من البدع المنكرة القبيحة[2].

المطلب التاسع: توبة المبتدع

لاشك أن البدعة أخطر من المعاصي؛ فإن المعاصي إذا اجتمعت على الإنسان، وأصرّ عليها أهلكته، والبدعة أشدّ إهلاكاً من المعاصي، كما قال سفيان الثوري رحمه الله: ((البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها))[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، وبأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب، أو استحباب؛ ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسناً، وهو سيئ في نفس الأمر؛ فإنه لا يتوب))[4]، ثم قال: ((ولكن التوبة ممكنة وواقعة بأن يهديه الله، ويرشده حتى يتبيّن له الحقّ، كما هدى ﷻ من هدى من الكفار والمنافقين، وطوائف أهل البدع والضلال))[5]، وقال رحمه الله: ((ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقاً فقد غلط غلطاً منكراً))[6]، فقد فسّر شيخ الإسلام حديث حجب التوبة عن صاحب البدعة بكلامه هذا تفسيراً واضحاً ولله الحمد، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله حجب**

---

(1) مسلم، 344/3، برقم 1718، وتقدم تخريجه.
(2) انظر: كتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص94.
(3) شرح السنة، للبغوي، 216/1.
(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 9/10.
(5) المرجع السابق، 9/10-10.
(6) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، 685/11.

التوبة عن صاحب كل بدعة))[1]، وقد وضح المعنى لهذا الحديث في كلام ابن تيمية رحمه الله آنفاً، ولا شك أن النصوص يُفسّر بعضها بعضاً، والله ﷻ بيّن لعباده أنه يقبل توبة التائبين إذا أقلعوا عن جرائمهم، وندموا وعزموا على أن لا يعودوا، وردّوا الحقوق إلى أهلها إن وجدت، فقال سبحانه بعد أن ذكر المشركين، والقتلة، والزناة، وتوعّدهم بالإهانة: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[5].

وهذه التوبة تعمُّ من تاب من الملحدين، والكافرين، والمشركين، والمبتدعين، وغيرهم ممن تاب من أهل المعاصي، إذا اكتملت شروط التوبة، ولله الحمد.

المطلب العاشر: آثار البدع وأضرارها

البدع لها آثار خطيرة، وعواقب وخيمة، وأضرار مهلكة، منها ما يأتي:

1- البدع يريد الكفر، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع**)) فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ((**ومن**

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، 62/8، برقم 4713 [مجمع البحرين في زوائد المعجمين. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ((ورجاله رجال الصحيح، غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة))، 189/10، وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، 154/4، برقم 1620، وذكر طرقه الأخرى.

(2) سورة الفرقان، الآية: 70.

(3) سورة طه، الآية: 82.

(4) سورة الزمر، الآية: 53.

(5) سورة النساء، الآية: 110.

الناس إلا أولئك))[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**)) قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((**فمن؟**))[2].

2- القول على الله بغير علم؛ لأن الناظر في سير المبتدعة يجدهم أكثر الناس كذباً على الله ورسوله ﷺ، وقد حذر الله تعالى عن التقوُّل عليه فقال ﷻ: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾[3].

وحذّر النبي ﷺ عن الكذب عليه، وتوعّد من فعل ذلك بالعذاب الشديد، فقال ﷺ: ((**من تعمَّد علي كذباً فليتبوَّأ مقعده من النار**))[4].

3- بُغض المبتدعة للسنة وأهلها، وهذا مما يدل على خطورة البدع، قال الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني رحمه الله: ((وعلامات أهل البدع ظاهرة على أهلها بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدّة معاداتهم لحَمَلَةِ أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم))[5].

4- رد عمل المبتدع؛لقول النبي ﷺ:((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**))،وفي رواية للمسلم:((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**))[6].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))، 191/8، برقم 7319.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))، 191/8، برقم 7320، ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، 2054/4، برقم 2669.

(3) سورة الحاقة، الآيات: 44-46.

(4) متفق عليه من حديث أنس ﷺ: البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، 41/1، برقم 108، ومسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، 7/1، برقم 2.

(5) عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث، ص299.

(6) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها: البخاري، 9/1، برقم 1، ومسلم، 1515/2،

5- سوء عاقبة المبتدع؛ لأن الشيطان يريد أن يظفر بالإنسان في عقبة من عدة عقبات: العقبة الأولى: الشرك بالله تعالى، فإن نجا العبد من هذه العقبة طلبه الشيطان على عقبة البدعة، وهذا يؤكّد أن البدع أخطر من المعاصي[1]؛ ولهذا قال سفيان الثوري رحمه الله: ((البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها))[2]، وهذا في الغالب، والله ﷻ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

6- انعكاس فهم المبتدع، فيرى الحسنة سيئة، والسيئة حسنة، والسنة بدعة، والبدعة سنة، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: ((والله لتفشُوَنَّ البدع، حتى إذا تُركَ منها شيء قالوا: تُركت السنة))[3].

7- عدم قبول شهادة المبتدع وروايته، فقد أجمع أهل العلم من المحدِّثين والفقهاء وأصحاب الأصول على أن المبتدع الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته، وأما الذي لا يكفر ببدعته فاختلفوا في قبول روايته، ورجح الإمام النووي رحمه الله أن روايته تقبل إذا لم يكن داعية إلى بدعته، ولا تقبل إذا كان داعية[4].

8- المبتدعة أكثر من يقع في الفتن، وقد حذّر الله ﷻ من الفتن فقال: **﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[5]، وقال ﷻ: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[6]، فهل هناك فتنة أخطر من مخالفة سنة رسول الله ﷺ، وعصيان أمره؟.

وقد حثَّ النبي ﷺ على الأعمال الصالحة قبل وقوع الفتن فقال: ((**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض**

برقم: 1907، وتقدم تخريجه.
(1) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، 1/ 222.
(2) شرح السنة، للبغوي، 216/1.
(3) أخرجه الإمام محمد بن وضاح، في كتاب فيه ما جاء في البدع، ص124، برقم 162، وانظر: آثاراً في ذلك لابن وضاح في كتابه هذا، ص124-156.
(4) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 176/1.
(5) سورةالأنفال، الآية: 25.
(6) سورة النور، الآية: 63.

من الدنيا))[1].

9- المبتدع استدرك على الشريعة؛لأنه ببدعته نصب نفسه مشرّعاً مكمِّلاً للدين،والله ﷻ قد أكمل الدين،وأتمَّ النعمة،قال ﷻ:**﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾** [2]، وبيَّن ﷻ في القرآن الكريم كل شيء، قال ﷻ: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾**[3].

10- المبتدع يلتبس عليه الحقّ بالباطل؛ لأن العلم نور يهدي الله به من يشاء من عباده، والمبتدع حُرِمَ التقوى التي يُوفَّقُ صاحبها لإصابة الحق، قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾**[4].

11- المبتدع يحمل إثمه، وإثم من تبعه، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**))[5].

12- البدعة تُدخِل صاحبها في اللعنة، ففي الحديث الذي رواه أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال فيمن أحدث في المدينة: ((**من أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدِثاً، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**))[6]، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: ((وهذا الحديث في سياق العموم، فيشمل كل حدث أُحدث فيها مما يُنافي الشرع، والبدع من أقبح الحدث))[7].

13- المبتدع يحال بينه وبين الشرب من حوض النبي ﷺ، يوم

---

(1) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، 110/1، برقم 118.
(2) سورة المائدة، الآية: 3.
(3) سورة النحل، الآية: 89.
(4) سورة الأنفال، الآية: 29.
(5) مسلم، 2060/4، برقم 2674، وتقدم تخريجه.
(6) متفق عليه: البخاري، كتاب الاعتصام، باب إثم من آوى محدثاً، 187/8، برقم 7306، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، 994/2، برقم 1366.
(7) الاعتصام، 96/1.

القيامة، فعن سهل بنِ سعد ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((**أنا فرطكم على الحوض، من وَرَد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم**))[1]، وفي لفظ فأقول: ((**إنهم مني**)) فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول:((**سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي**))[2]، وعن شقيق عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ: ((**يا ربّ أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**))[3].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((**إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم، وسيؤخذ ناسٌ من دوني فأقول: يا ربِّ مني ومن أمتي فيقال: هل شَعَرْت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**))، فكان ابن أبي مليكة يقول: ((اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو أن نُفتن في ديننا))[4].

14- المبتدع مُعْرِضٌ عن ذكر الله؛ لأن الله ﷻ شرع لنا أذكاراً ودعوات في كتابه، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ، فمنها ما هو مقيّد: كأذكار أدبار الصلوات، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ منه،ومنها ما هو مُطلق لم يحدَّد بزمان ولا مكان،قال الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾[5]، فالمبتدعة معرضون عن هذه الأذكار: الأذكار: إما بانشغالهم ببدعهم وافتتانهم بها، وإما باستبدال الأذكار المشروعة بأذكار بدعية، استغنوا بها عما شرع الله ورسوله ﷺ، فأعرضوا بها عن ذكر الله تعالى[6].

15- المبتدعة يكتمون الحقّ، ويُخفونه على أتباعهم، وقد توعّد الله هؤلاء وأمثالهم باللعنة، قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا**

---

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب في حوض النبي ﷺ، 264/7، برقم 6583، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، 1793/4، برقم 2290.

(2) البخاري، كتاب الرقاق، باب في حوض النبي ﷺ، 264/7، برقم 6583.

(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقائق، باب في حوض ﷺ، 262/7، برقم 6575، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، 1796/4، برقم 2297.

(4) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقائق، باب في حوض النبي ﷺ، 266/7، برقم 6593، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، 1794/4، برقم 2293.

(5) سورة الأحزاب، الآيتان: 41-42.

(6) انظر: تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، للدكتور صالح بن سعد السحيمي، ص189

مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾[1].

16- عمل المبتدع يُنَفِّر عن الإسلام، فإذا عمل بخرافات بدعته سَبَّبَ ذلك سخرية أعداء الإسلام بالدين الإسلامي، وهو من هذه البدع بريء[2].

17- المبتدع يفرّق الأمة؛ فإنه ببدعته يفرّق هو وأتباعه المسلمين، فيوجد بسبب ذلك أحزاباً وشيعاً متفرّقة، قال الله ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾**[3].

18- المبتدع المجاهر ببدعته تجوز غيبته؛ لتحذير الأمة من بدعته، ولاشك أن من أظهر بدعته فهو أشدّ خطراً ممن أظهر فسقه، والغيبة محرّمة بالكتاب والسنة، ولكن تُباح بغرض شرعي لستة أسباب[4]: التظلّم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء، والاستفتاء، وتحذير المسلمين من الشرّ، وإذا جاهر بفسقه، وبدعته، والتعريف[5]، وقد جمع بعضهم هذه الأمور الستة في قوله:

القدحُ ليس بغيبةٍ في ستةٍ متظلِّمٍ ومعرِّفٍ ومحذِّرِ

ومجاهر فسقاً ومستفتٍ ومن طلب الإعانة في إزالة منكر[6]

19- المبتدع متبع لهواه معاند للشرع، ومشاقّ له[7].

20- المبتدع قد نزّل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الله وضع الشرائع، وألزم المكلفين بالجري على سننها[8].

والله أسأل لي ولجميع المسلمين العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 159.
(2) انظر: تنبيه أولي الأبصار، للدكتور صالح السحيمي، ص195.
(3) سورة الأنعام، الآية: 159.
(4) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 142/16، وانظر: تنبيه أولي الأبصار، للدكتور السحيمي، ص 153-198.
(5) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، 471/10، 86/7.
(6) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، مقدمة الألباني، ص43.
(7) انظر: الاعتصام للشاطبي، 61/1.
(8) انظر: المرجع السابق، 61/1-70.

الرسالة الثانية عشرة:قضيّةُ التّكفير بين أهل السُّنَّة وفِرَق الضلال

الباب الأول: أصولٌ وضوابطٌ وموانعٌ في التكفير

تمهيد:

قبل أن أشرع في هذا الموضوع الخطير أبدأ ببيان أمور ينبغي أن تُعْلم وتُفهم؛ لأن فهمها يزيل إشكالاتٍ كثيرةً، ويوضّح الحق لمن لا يفهمه، وما أحسن ما قاله القائل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ويكون ذلك في الفصول الآتية:

الفصل الأول: تحريم الخروج على أئمة المسلمين ووجوب طاعتهم في المعروف

المبحث الأول: وجوب السمع والطاعة بالمعروف

إن طاعة ولاة أمر المسلمين واجبة في المعروف؛ لأدلة كثيرة منها:

1- قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[1].

وولاة الأمر هم: العلماء، والولاة، والأمراء[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة؛ لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم: فما له في الآخرة من خلاق))[3].

---

(1) سورة النساء، الآية: 59.

(2) انظر:تفسير الإمام ابن جرير الطبري،497/8،وتفسير القرطبي،261/5،وتفسير ابن كثير، 519/1،وفتاوى ابن تيمية،551/11،و70/28،والضوء المنير على التفسير،234/2-251.

(3) فتاوى ابن تيمية، 16/35-17، وانظر خلاصة ما قاله رحمه الله في طاعة ولاة الأمر

ولا شك أن الولاية مهمة عظيمة وأمانة كبيرة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: ((**يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلتَ إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أُعِنْتَ عليها**))[1]؛ ولهذه الأهمية العظيمة قال النبي ﷺ: ((**إنَّا والله لا نولّي على هذا العمل أحَداً سأله، ولا أحداً حرص عليه**))[2]، وقال ﷺ لأبي ذر حينما قال: يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكب أبي ذر ثم قال: ((**يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها**))[3]، وهذا يؤكّد وجوب طاعة ولاة أمر المسلمين وإعانتهم على هذا الأمر العظيم طاعة لله تعالى؛ لأن عليهم حملاً عظيماً وأمانة عظيمة.

2- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**))[4].

3- وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**عليك السّمعُ والطّاعةُ في عُسْرك، ويُسرك، ومَنشطك ومَكرهك**[5]**، وأثرةٍ**[6] **عليكَ**))[1].

الأمر والإحالة على ذلك في الفتاوى، 170/37.

(1) البخاري، كتاب: الإيمان والنذور، باب ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ الله باللَّغْو فِي أيْمَانِكُمْ﴾، برقم 6622، ومسلم في كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، برقم 1652.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، برقم 7149 ، ومسلم، في كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ، برقم 1733.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، برقم 1825.

(4) البخاري،كتاب الأحكام:باب قول الله تعالى:﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ،برقم 7137، ومسلم،كتاب الإمارة،باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية،برقم 1835.

(5) ((في عُسرك ويسرك))، قال العلماء: تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت المعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به ﷺ في الأحاديث الباقية، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)) شرح الإمام النووي، 12/465-466.

(6) ((وأثرة عليك)) والمعنى الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي: اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم. شرح النووي، 12/465-466، وقال النووي رحمه الله تعالى: ((وهذه الأحاديث في الحث على السمع

4- وعن أبي ذر ﷺ قال: ((**إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف**))[2].

5- وعن أم الحصين رضي الله عنها قالت سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: ((**ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا**))[3].

6- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**))[4].

7- وقال النبي ﷺ: ((**لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف**))[5].

8- وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة: في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله[6].

قال: ((**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**))[7].

9- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:((**إنها**

والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين؛ فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم))، شرح النووي، 12/465-466.

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله وتحريمها في المعصية، برقم 1836.

(2) مسلم، كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، برقم 1837.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، برقم 1838.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، برقم 7144، ومسلم، كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، برقم 1839.

(5) أخرجه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، برقم 7257، ومسلم، كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، برقم 1840.

(6) وفي رواية لمسلم ((.. وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)). مسلم، برقم 1709.

(7) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب ((سترون بعدي أموراً تنكرونها))، برقم 7056، ومسلم، كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم 1709/ 42.

ستكون بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها))،قالوا:يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منّا ذلك؟ قال:((**تُؤدّون الحق الذي عليكم،وتسألون الله الذي لكم**))[1].

10- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في حديثه الطويل يرفعه: ((**... فمن أحبَّ أن يُزحزَح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحبّ أن يُؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**))[2].

11- وعن حذيفة رضي الله عنه يرفعه: ((**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهُدَاي ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**)) قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟ قال: ((**تسمعُ وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك،وأخذ مالك،فاسمع وأطع**))[3].

12- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وَجِلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع فأوصِنا، قال: ((**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبدٌ؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّو عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**))[4].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: ((أما السمع والطاعة لولاة أمور

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم 3603، ومسلم، كتاب الإمارة: باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، برقم 1843.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة: باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، برقم 1844.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، برقم 1847/ 52.

(4) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم 4607، والترمذي في كتاب العلم، باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم 2676، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، برقم 42، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن صحيح))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 2549.

المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم، وطاعة ربهم))[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضع ما قد أمر به ﷺ، من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم، والصبر عليهم في حكمهم، وقسمهم، والغزو معهم، والصلاة خلفهم، ونحو ذلك من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلاَّ هُم؛ فإنه من باب التعاون على البر والتقوى، وما نهى عنه من تصديقهم بكذبهم، وإعانتهم على ظلمهم، وطاعتهم في معصية الله ونحو ذلك، مما هو من باب التعاون على الإثم والعدوان))[2].

المبحث الثاني: تحريم الخروج على الإمام المسلم

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: ((... ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعة، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمروا بمعصيةٍ وندعو لهم بالصلاح والمعافاة...))[3].

13- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات مِيتةً جاهليةً[4]، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّةٍ[5] يغضب لعصبةٍ، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة[6]، فقُتل فقِتْلَة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها**

---

(1) جامع العلوم والحكم، 117/2.
(2) فتاوى شيخ الإسلام، 20/35-21.
(3) العقيدة الطحاوية بتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، ص22، وانظر: أصول أهل السنة لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل،شرح وتحقيق الوليد بن محمد بن نبيه،ص64، نشر مكتبة ابن تيمية. وشرح السنة للإمام الحسن بن علي البربهاري بتحقيق خالد بن قاسم الردادي، الفقرات: 29، 31، 33، 34، 35، 36، 138، 159.
(4) أي على صفة موت الجاهلية من حيث هم فوضى لا إمام لهم. شرح النووي، 481/12، وليس المراد أنه يموت كافراً، بل يموت عاصياً. فتح الباري، 7/13.
(5) عُمِّيَّةٍ: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كذا قاله أحمد والجمهور. انظر: شرح النووي، 481/12.
(6) والمعنى: يقاتل عصبية لقومه وهواه. انظر: شرح النووي، 482/12.

وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها[1]، ولا يفي لذي عهدٍ عهده، فليس مني ولست منه))[2].

14- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر؛ فإنه من فارق الجماعة شبراً**[3] **فمات فمِيتَةً جاهلية))**[4].

15- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له**[5]، **ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية))**[6].

16- وعن عرفجة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من أتاكم وأمركم جميعٌ**[7] **على رجل واحد يريد أن يشقّ عصاكم**[8]**، أو أو يُفرّق جماعتكم فاقتلوه))**[9].

17- وسأل سلمةُ بنُ يزيد الجُعفي رسولَ الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيتَ إن قامت علينا أمراءُ يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس فقال رسول الله ﷺ: ((**اسمعوا**

---

(1) والمعنى: لا يكترث بما يفعله فيها، ولا يخاف وباله وعقوبته. شرح النووي، 483/12.
(2) أخرجه مسلم،كتاب الإمارة،باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...،برقم 1848.
(3) قوله: ((شبراً)) كناية عن معصية السلطان ومحاربته، والمراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكنى عنها بمقدار الشبر؛ لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق. انظر: فتح الباري، 7/13.
(4) أخرجه البخاري في كتاب الفتن،باب قول النبي ﷺ:((سترون بعدي أموراً تنكرونها))، برقم 7054، ومسلم في كتاب الإمارة،باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن،برقم 1851.
(5) أي لا حجة له في فعله، ولا عذر له ينفعه. شرح النووي، 483/12.
(6) أخرجه مسلم،كتاب الإمارة،باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن..،برقم 1851.
(7) أي مجتمع.
(8) يشق عصاكم: يفرق جماعتكم كما تفرق العصا المشقوقة، وهو عبارة عن ((اختلاف الكلمة وتنافر النفوس))، شرح النووي، 484/12.
(9) مسلم، كتاب: الإمارة، باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع، برقم 1852.

وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حُمِّلُوا، وعليكم ما حملتم))[1].

18- وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((**إنه سيستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون،فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**))،قالوا:يا رسول الله ألا نقاتلهم؟قال:((**لا ما صلّوا**))[2].

19- وعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((**خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم، ويُصلّون عليكم وتُصلّون عليهم**[3]**، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم وتلعنونهم ويلعنونكم**)) قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: ((**لا. ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة**))[4].

20- وعن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيدَ بن معاوية جمع ابن عمر حَشَمه[5] وولده، فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: ((**يُنْصَبُ لكل غادرٍ لواءٌ يوم القيامة**))، وإنَّا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإنِّي لا أعلم غدراً[6] أعظم من أن يبايع رجُلٌ على بيع الله ورسوله ثم يُنْصَبُ له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه[7].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، برقم 1846.
(2) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا، برقم 1854.
(3) يصلّون عليكم: أي يدعون لكم وتدعون لهم. شرح النووي، 487/12.
(4) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، برقم 1855.
(5) ((حشمه)):الحشمة العصبة، والمراد هنا خدمه ومن يغضب له،وفي رواية: أهله وولده. الفتح،71/13.
(6) وفي رواية: ((وإن من أعظم الغدر بعد الإشراك بالله أن يبايع رجل رجلاً... الحديث))، انظر: فتح الباري، 71/13.
(7) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، برقم 7111، وأخرج الفقرة الأولى منه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، برقم 1735/ 10.

قال ابن حجر رحمه الله: ((وفي هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جار في حكمه، وأنه لا ينخلع بالفسق))(1).

المبحث الثالث: النَّصيحة بالحكمة

21- قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((**نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها، وبلّغها، فَرُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه، ثلاثٌ لا يغلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنّ دعوتهم تحيط من ورائهم**))(2).

فقد دعا النبي ﷺ بالبهجة ونضارة الوجه والحُسن الذي يُكسى به الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به، وفرح القلب وسروره به، وَالْتِذَاذِهِ لمن سمع كلامه، ووعاه، وحفظه، وبلّغه غيره، فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمّنة لجمال الباطن والظاهر(3).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: ((وقوله: ﷺ: ((**ثلاث لا يغِلُّ عليهن قلب مسلم...**)) أي لا يحمل الغِلَّ، ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة؛ فإنها تنفي الغل والغش وفساد القلب، وسخائمه، فالمخلص لله إخلاصهُ يمنعُ غِلَّ قلبه، ويخرجه ويزيله جُملةً؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه، فلم يبقَ فيه موضع للغش.

وقوله ﷺ: ((**ومناصحة أئمة المسلمين...**)) هذا أيضًا منافٍ للغل والغش؛ فإن النصيحة لا تجامع الغلَّ، إذ هي ضدُّهُ، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل.

وقوله ﷺ: ((**ولزوم جماعتهم...**)) هذا أيضاً مما يُطَهِّر القلب من الغلِّ والغشِّ، فإن صاحبه - للزومه جماعة المسلمين - يُحبُّ لهم ما

---

(1) فتح الباري، 13/71-72.
(2) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، برقم 2658، وابن ماجه في المقدمة، باب من بلّغ علماً، برقم 230، وفي كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، برقم 3056، وأحمد، 1/437، وصححه الألباني صحيح الجامع، برقم 6766.
(3) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم، 1/274، و276 بتحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد.

يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكرَهُ لها، ويسوؤهُ ما يسوؤهم، ويسرّه ما يسرّهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذّمِّ، كفعل الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم؛ فإن قلوبهم مُمتلئةٌ غِلاً وغِشّاً؛ ولهذا تجد الرافضة أبعد الناس من الإخلاص، وأغشَّهم للأئمة والأُمَّة، وأشدَّهم بُعداً عن جماعة المسلمين.

وقوله ﷺ: ((**فإنّ دعوتهم تحيط من ورائهم...**)) هذا من أحسن الكلام وأوجزه، وأفخمه معنىً، شبَّه دعوة المسلمين بالسور والسِّياج المحيط بهم، المانع من دخول عدوِّهم عليهم، فتلك الدعوة التي هي دعوةُ الإسلام - وهم داخلوها - لَمّا كانت سوراً وسياجاً عليهم أخبر أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام كما أحاطت بهم، فالدعوةُ تجمع شمل الأمة، وتلمُّ شَعثَها، وتحيط بها، فمن دخل جماعتها أحاطت به وشَمِلَتْهُ))[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور، ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكّدة، كما تجب عليه الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، وحج البيت، وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة، فإذا حلف على ذلك كان ذلك توكيداً وتثبيتاً لِمَا أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور، ومناصحتهم، فالحالف على هذه الأمور لا يحل له أن يفعل خلاف المحلوف عليه... فإن ما أوجبه الله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه، وما نهى الله ورسوله ﷺ عن معصيتهم وغشهم محرم، وإن لم يحلف على ذلك))[2].

والنصيحة لولاة الأمر تكون سرّاً بين الناصح وبينهم: برفقٍ ولينٍ، وحكمةٍ وموعظةٍ حسنة، وأسلوبٍ مناسب.

22- فعن عياض بن غنم أنه قال لهشام بن حكيم رضي الله عنهما: ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: ((**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان**

---

(1) مفتاح دار السعادة لابن القيم، 1/275-278 بتصرف يسير.
(2) فتاوى ابن تيمية، 35/9-10.

قد أدّى الذي عليه))[1].

23- وعن تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**الدِّينُ النصيحة**)) قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين، وعامَّتهم**))[2].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: ((أما النصيحة لأئمة المسلمين: فحبُّ صلاحهم ورُشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله ﷻ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحبّ إعزازهم في طاعة الله ﷻ))[3]. وقال في موضع آخر: ((والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفقٍ ولطفٍ، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك))[4].

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: ((وأما النصيحة لأئمة المسلمين: وهم ولاتهم من السلطان الأعظم إلى الأمير إلى القاضي، فهؤلاء لمّا كانت مهماتهم وواجباتهم أعظمَ من غيرهم، وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم، والاعتراف بولايتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، وحث الرعية على طاعتهم، ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله ﷺ، وبذل ما يستطيع الإنسان من نصيحتهم، وتوضيح ما خفي عليهم مما يحتاجون إليه في رعايتهم، كل أحد بحسب حاله، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق؛ فإن صلاحهم صلاح لرعيتهم، واجتناب سبِّهم،

---

(1) أخرجه عمرو بن أبي عاصم في كتابه: كتاب السنة، 521/2، وأخرجه أحمد، 403/3-404، والحاكم، 290/3، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ((رواه أحمد ورجاله ثقات))، 229/5. وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة، 521/2.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم 55، والحديث أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: ((الدين النصيحة))، ص 35، ط بيت الأفكار الدولية.

(3) جامع العلوم والحكم، 222/1.

(4) جامع العلوم والحكم، 223/1، وانظر: كلمات تكتب بماء الذهب في طاعة ولاة أمور المسلمين: فتاوى ابن تيمية، 390/28-391، ومنهاج السنة النبوية، 390/3، ومفتاح دار السعادة لابن القيم، 62/1، والجامع الفريد من كتب ورسائل أئمة الدعوة الإسلامية، ص281، والعقيدة الطحاوية، ص368.

والقدح فيهم، وإشاعة مثالبهم؛ فإن في ذلك شرّاً، وضرراً، وفساداً كبيراً.

فمن نصيحتهم الحذر والتحذير من ذلك، وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سرّاً لا علناً، بلطف وعبارة تليق بالمقام، ويحصل بها المقصود؛ فإن هذا هو المطلوب في حق كل أحد، وبالأخص ولاة الأمور؛ فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص، واحذر أيها الناصح لهم - على هذا الوجه المحمود - أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس فتقول لهم: إني نصحتهم، وقلت وقلت؛ فإن هذا عنوان الرياء، وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أُخر معروفة))[1].

24- وعن زياد بن كُسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب، وعليه ثياب رقاق، فقال: أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفُسّاق، فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**))[2]، ولفظ الإمام أحمد بدون ذكر القصة: ((**من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة**))[3]؛ ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: ((لا يزال الناس بخير ما عظّموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفّوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم))[4].

25- وقيل لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: لو أتيت فلاناً[5] فكلّمته، قال: ((إنكم لترون أني لا أُكلّمُه إلا أُسْمِعُكم، إني أُكلّمه في السِّر [وفي رواية لمسلم: والله لقد كلّمته فيما بيني وبينه] دون أن أفتح باباً لا

(1) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، ص38-49.
(2) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب 47، برقم 2224، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، 2297، وانظر: صحيح الترمذي، 245/2.
(3) أحمد، 48/5- 49، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، 215/5: رواه أحمد والطبراني باختصار، وزاد في أوله: ((الإمام ظل الله في الأرض...))، ورجال أحمد ثقات)). وحسنه الألباني كما تقدم، وفي صحيح الجامع، برقم 5987.
(4) تفسير القرطبي، 262/5.
(5) هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، كما في رواية الإمام مسلم، برقم 2989.

أكون أول من فتحه...))[1].

فقد استخدم أسامة ﷺ أسلوب الحكمة مع الأمير العظيم عثمان ﷺ وأرضاه؛ لِأَنَّ النصيحة لولي أمر المسلمين لا بد فيها من مراعاة مركزه، وحاله؛ لأن إنزال الناس منازلهم من صميم الحِكمة؛ ولهذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: ((وفي الحديث تعظيم الأمراء، والأدب معهم، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم[2]؛ ليكفُّوا ويأخذوا حذرهم بلطفٍ، وحسن تأدية، بحيث يبلغ المقصود من غير أذيَّة للغير))[3].

وإنكار المنكر مشروط بأن لا يحصل منكر أنكر؛ لأن إنكار المنكر له أربع درجات كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

الأولى: أن يزول، ويخلفه ضده.
الثانية: أن يقل، وإن لم يزل بجملته.
الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.
الرابعة: أن يخلفه شر منه.

فالدرجتان الأوليَان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرّمة[4].

وقال النووي رحمه الله تعالى على قول أسامة: ((دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه)): ((يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان ﷺ، وفيه الأدب مع الأمراء، واللطف بهم، ووعظهم سرّاً، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم، ليكفّوا عنه...))[5].

ولا شك أن الإنكار على ولي أمر المسلمين جهاراً أمام الرعية، وبحضرتهم يسبّب شرّاً كثيراً في الغالب، وربما حصل بذلك فرقة، أو خروج على إمام المسلمين، وولي الأمر لا بد له أن يأمر الناس

---

(1) أخرجه البخاري،كتاب بدء الخلق،باب صفة النار وأنها مخلوقة،برقم 3267،ومسلم في كتاب الزهد والرقائق،باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله،برقم، 2989.
(2) وليس المراد تبليغهم ما يقول الناس فيهم على وجه النميمة والإفساد.
(3) فتح الباري، 53/13، وانظر: شرح النووي، 328/18.
(4) إعلام الموقعين عن رب العالمين، 16/3، وانظر هناك فوائد عظيمة.
(5) شرح النووي، 329/18.

بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ثم لا يأمن أن يقع منه تقصير؛ لأنه بشر، ولكن يعالج سرّاً، وبالحكمة والمداراة المحمودة، ويُتلطف به، ويُنصح برفق ولين، وذلك أجدر بالقبول[1].

قال سماحة العلامة الإمام المحقق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: ((ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الانقلاب، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخروج الذي يضرّ ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير، وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الزنى، وينكر الخمر، وينكر الربا، من دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير ذكر أن فلاناً يفعلها: لا حاكم ولا غير حاكم..))[2].

المبحث الرابع: الدعاء لولاة الأمر من المسلمين

ومن حقوق السلطان على رعيته الدعاء له؛ ولهذا كان السلف الصالح: كالفضيل بن عياض، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهما يقولون: ((لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان))[3]، وما ذلك إلا لأن السلطان إذا صلح صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت، ولهذا يُذكر عن عثمان بن عفان ﷺ أنه قال: ((إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن))، ولهذا قال الإمام الحسن بن علي البربهاري رحمه الله: ((إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى))[4].

وقال الفضيل بن عياض: ((لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا

---

(1) انظر: فتح الباري، 52/13، وعمدة القاري، 166/15.
(2) انظر: فتوى لسماحة الشيخ مطبوعة في آخر رسالة ((حقوق الراعي والرعية))، ص27-28، وانظر: فوائد الآداب مع السلطان لنصيحته: الآداب الشرعية للإمام محمد بن مفلح المقدسي، 196/1-208، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، وتنبيه الغافلين لابن النحاس، ص59-68، بتحقيق عماد الدين عباس.
(3) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 391/28، وطبقات الحنابلة، 36/2.
(4) كتاب شرح السنة للإمام الحسن بن علي البربهاري رحمه الله تعالى، ص51.

للسلطان، قيل له:يا أبا علي فَسِّر لنا هذا؟ قال:إذا جعلتها في نفسي لم تعْدُني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم،وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم،وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين))[1].

وهكذا أيضاً تكون النصيحة والدعاء للعلماء إذا حصل منهم قصور أو نسيان؛ لأنهم بشر وغير معصومين، وهم من أعظم ولاة أمر المسلمين، فلا يجوز سبهم، ولا التشهير بهم، ولا تتبع عثراتهم ونشرها بين الناس؛ لأن في ذلك فساداً كبيراً؛ ولهذا قال ابن عساكر رحمه الله تعالى: ((اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلني وإياك ممن يتقيه حق تقاته - **أن لحوم العلماء مسمومة،** وعادة الله في هتك أسرار منتقصهم معلومة، وأن من أطال لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب، **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[2]، والله المستعان، وعليه التكلان[3].

المبحث الخامس: الخارجون على الأئمة وصفاتهم

الخارجون على الإمام المسلم أربعة أصناف:

1- قوم امتنعوا عن طاعة الإمام، وخرجوا عن قبضته، فهؤلاء قطاع طريق، ساعون في الأرض بالفساد.

2- قوم لهم تأويل إلا أنهم نفر يسير لا منعة لهم: كالواحد والاثنين والعشرة ونحوهم، فهؤلاء قطاع طريق في قول أكثر الحنابلة، وهو مذهب الشافعي، وقيل: لا فرق بين القليل والكثير، وحكمهم حكم البغاة إذا خرجوا عن قبضة الإمام.

3- قوم من أهل الإسلام يخرجون عن قبضة الإمام ويريدون خلعه؛ لتأويل سائغ، وفيهم منعة يحتاجون إلى جمع الجيش، فهؤلاء البغاة.

---

(1) كتاب شرح السنة للإمام الحسن بن علي بن خلف البربهاري المتوفى 329هـ بتحقيق خالد بن قاسم الردادي،ص116،مكتبة الغرباء.وانظر:طبقات الحنابلة،36/2،وحلية الأولياء،91/8.

(2) سورة النور، الآية: 63.

(3) انظر: رسالة لحوم العلماء مسمومة، ص14.

4- الخوارج الذين يكفّرون بالذنب، ويكفّرون عثمان، وعليّاً، وطلحة، والزبير، وكثيراً من الصحابة ﷺ[1].

والخوارج يكفّرون أصحاب الكبائر، ويستحلُّون دماءَهم، وأموالهم، ويخلّدونهم في النار، ويرون اتّباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب - وإن كانت متواترة - ويكفّرون من خالفهم، ويستحلّون منه - لارتداده عندهم - ما لا يستحلّونه من الكافر الأصلي[2]، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقّاً واجباً[3]، وقد بيّن النبي ﷺ صفاتهم[4]، وأوضحها للناس، ومن ذلك أن رجلاً منهم قال للنبي ﷺ - وهو يقسم غنيمةً بالجعرانه -: يا محمد اعدل. قال: ((**ويلك ومن يعدلُ إذا لم أكن أعدل، لقد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل**))، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله، فأقتل هذا المنافق؛ فقال ﷺ: ((**معاذ الله أن يتحدَّث الناس أني أقتل أصحابي. إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرميَّة**))[5].

وكان النبي ﷺ يقسم ذهباً، فجاء إليه رجل فقال: ((اتقِّ الله يا محمد))! فقال رسول الله ﷺ: ((**فمن يطع الله إن عصيته! أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني**))، ثم قال: ((**إن من ضئضئ هذا[6] قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوزُ حناجرهم[7] يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعُون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة[8]، لئن أدركتهم**

---

(1) انظر هذا التفصيل في المغني لابن قدامة رحمه الله، 12/237-242.
(2) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 3/335.
(3) الملل والنحل، للشهرستاني، 1/115.
(4) انظر التفصيل في رأي الخوارج وفرقهم، المبحث الأول، من الفصل الأول، من الباب الثالث، من هذه الرسالة، والرد عليهم ومناقشتهم.
(5) أخرجه البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين، برقم 3138، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم 1063.
(6) ((من ضئضئ هذا)) أي من أصله، وضئضئ الشيء أصله. شرح النووي، 7/168.
(7) ((لا يجاوز حناجرهم)): لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما يتلونه، ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق إذ بهما تقطيع الحروف، وقيل معناه: لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يقبل. شرح النووي على صحيح مسلم، 7/165.
(8) ((يمرقون من الإسلام))، وفي رواية ((الدين)): والمعنى يخرجون من الدين كما يخرج

لأقتلنَّهم قتل عاد))[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**يخرج فيكم قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرميَّة**))[2].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**سيخرج في آخر الزمان قومٌ أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام**[3]**، يقولون من خير قول البريَّة**[4]**، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرميَّة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**))[5].

الفصل الثاني: أُصولٌ في التكفير

هناك أصولٌ لا بد من إتقانها، ومنها الأصول التالية:

1- إن السنة والأحاديث النبوية هي المبيِّنة للأحكام القرآنية، وما يراد من النصوص الواردة في كتاب الله تعالى في باب معرفة حدود ما أنزل الله، لمعرفة: المؤمن والكافر، والمشرك والموحد، والفاجر والبر، والتقي والظالم، وما يُراد بالموالاة والتولي، ونحو ذلك من الحدود... وغيرها من أمور الشريعة. فمن أهمل هذا وأضاعه فقد سدّ على نفسه باب العلم والإيمان، ومعرفة معاني

يخرج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق به شيء منه، والرميّة: هي الصيد المرمي. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 166/7.

(1) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودا ﴾ برقم 3344، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم 1064.

(2) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب من رايا بقراءة القرآن أو تآكل به، أو فخر به، برقم 5058، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب الخوارج وصفاتهم، برقم 1064.

(3) معناه: صغار الأسنان صغار العقول. شرح الإمام النووي، 175/7.

(4) معناه في ظاهر الأمر، كقولهم: لا حكم إلا لله ونظائره من دعائهم إلى كتاب الله تعالى والله أعلم. شرح النووي، 175/7.

(5) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب من راءى بقراءة القرآن، برقم 5057، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، 746/2، برقم 1066.

التنزيل والقرآن[1].

2- إن الإيمان أصْلٌ له شُعَب متعددة كل شعبةٍ منها تسمى إيماناً، فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فمنها ما يزول بزواله الإيمان إجماعاً، كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزواله إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين شعب متفاوتة، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى عن الطريق، ويكون إليها أقرب، والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالفٌ للنصوص وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها.

وكذلك الكفر أيضاً ذو أصلٍ وشُعَب، فكما أن شُعَب الإيمان إيمانٌ، فشُعَب الكفر كفر، والمعاصي كلها من شُعَب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شُعَب الإيمان، ولا يسوّى بينهما في الأسماء والأحكام.

وفرق بين من أشرك بالله أو استهان بالمصحف وبين من يسرق ويزني، أو يشرب الخمر، فمن سوّى بين شُعَب الكفر في ذلك فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء.

3- إن الإيمان مُركَّب من قولٍ وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، هذه أربعة أمور جامعة لأمور الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه وإيقانه واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمهما.

الثالث: عمل القلب: وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد، والإقبال على الله ﷻ، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يُؤَدَّى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يُؤَدَّى إلا بها مثل: القيام، والركوع،

---

(1) انظر: أصول وضوابط في التكفير للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، بتحقيق الشيخ عبد السلام بن برجس، ص31.

والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطى إلى المساجد، وإلى الحج والجهاد في سبيل الله تعالى... وغير ذلك[1].

فإذا زال تصديق القلب ورضاه ومحبته لله زال الإيمان.

وإذا زال شيء من أعمال الجوارح فهذا فيه تفصيل عند أهل السنة وأدلة هذا مبسوطة في أماكنها[2].

4- إن الكفر نوعان: كفر أكبر كالشرك بالله تعالى، أو جحد ما أخبر به، أو سبّ الله، أو سبّ رسوله ﷺ، وهذا مضادّ للإيمان من كل وجه. وكفر أصغر لا يُخرج من الملة، كالمعاصي التي دون الكفر الأكبر[3].

وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى وبيان أن كلاً من: الكفر، والنفاق، والشرك، والظلم، والفسوق، والبدعة، ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر[4].

5- إنه لا يلزم من قيام شعبة من شُعَب الإيمان بالعبد أن يُسمّى مؤمناً، ولا يلزم من قيام شعبة من شُعَب الكفر أن يُسمّى كافراً، وإن كان ما قام به كفر، كما أنه لا يلزم من قيام جزءٍ من أجزاء العلم، أو من أجزاء الطب، أو من أجزاء الفقه، أن يُسمّى: عالماً، أو طبيباً، أو فقيهاً. وأما الشعبة نفسها فيطلق عليها اسم الكفر كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((**اثنتان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**))[5]، ولكنه كفر دون كفر، فلا يستحق اسم الكفر على الإطلاق، فمن عرف هذا عرف فقه السلف، وعمق علومهم، وقلّة تكلّفهم؛ ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((من كان متأسِّياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلُّها تكلّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، فاعرفوا لهم

---

(1) انظر: أصول وضوابط في التكفير، ص34، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله، 2/588-591.
(2) انظر: أصول وضوابط في التكفير، ص35.
(3) انظر: أصول وضوابط في التكفير، ص36-45.
(4) انظر: أصول وضوابط التكفير، ص20.
(5) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، برقم 67.

حقهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم))[1].

الفصل الثالث: ضوابط التكفير

إن التكفير له ضوابط لا بد من معرفتها، ومنها الضوابط الآتية:

1- الحكم بالظاهر، فإن أهل السنة لا تكون أحكامهم مبنية على الظنون والأوهام؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لأسامة رضي الله عنه عندما قتل رجلاً بعد أن قال لا إله إلا الله: ((**أقال لا إله إلا الله وقتلته؟**)) قال: قلت يا رسول الله: إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: ((**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**)) فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ[2]، وهذا فيه دليل على القاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام يعمل فيها بالظاهر، والله يتولى السرائر[3].

2- الاحتياط في تكفير المعين؛ فإن مذهب أهل السنة وسط بين من يقول: لا نُكفِّر من أهل القبلة أحداً، وبين من يكفر المسلم بكل ذنبٍ دون النظر إلى توفر شروط التكفير، وانتفاء موانعه، فأهل السنة يقولون: من استحلَّ ما هو معلوم من الدِّين بالضرورة كفر، ومن قال: القرآن مخلوق، أو إن الله لا يُرى في الآخرة كفر، لكن الشخص الذي قال مقالة الكفر، أو فعل فعل الكفر، لا يحكم بكفره حتى تتوفر شروط الكفر، وتنتفي موانعه[4].

فإذا توفرت الشروط وانتفت الموانع حكم بردته، فيُستتاب فإن تاب وإلاّ قُتل[5].

3- ما تقوم به الحجة: اتفق السلف على عدم تكفير المعين إلا بعد قيام الحجة، فلا بد من معرفة ما تقوم به الحجة، وما الفرق بين بلوغ الحجة وفهمها؟ وما الأدلة على ذلك؟ وهذا يحتاج إلى تفصيل

---

(1) انظر: أصول في التكفير لعبد اللطيف آل الشيخ، ص46.
(2) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، برقم 96.
(3) شرح النووي، 466/2.
(4) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، 165/35، ونواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف للدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي، 209/1، ونواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف، ص52.
(5) انظر: التفصيل في نواقض الإيمان الاعتقادية للوهيبي، 209/1-217.

وعناية دقيقة من طالب العلم لا يتّسع المقام لذكرها هنا[1].

4- عدم التكفير بكل ذنب؛ ولهذا قال الطحاوي رحمه الله: ((**ولا نُكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله**))، والمراد لا يكفّر بكل ذنب، فأهل السنة لا يُكفِّرون المسلم الموحِّد المؤمن بالله واليوم الآخر بذنب يرتكبه: كالزنا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وأمثال ذلك، ما لم يستحل ذلك، فإن استحله كفر؛ لكونه بذلك مُكذِّباً لله ولرسوله ﷺ، خارجاً عن دينه، أما إذا لم يستحلَّ ذلك فإنه لا يكفر بل يكون ضعيف الإيمان، وله حكم ما تعاطاه من المعاصي في التفسيق، وإقامة الحدود، وغير ذلك حسبما جاء في الشرع المُطهَّر[2].

الفصل الرابع: موانع التكفير

إن التكفير له موانع لا بد من فهمها، ومنها الموانع الآتية:

1- الجهل، ولكن العذر بالجهل له حالات؛ لأنه يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأشخاص يختلفون: فمنهم من قامت عليه الحجَّة، ومنهم من لم تقم عليه، باعتباره - مثلاً -: حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، وكذلك الجهل يختلف إن كان جهلاً بما هو معلوم من الدين بالضرورة أو ما دون ذلك. ولا يعني أن الجهل عذر مقبول لكل من ادّعاه؛ فإن من العلم ما لا يسع المسلم البالغ غير المغلوب على عقله جهله مثل: الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وزكاةً في أموالهم، وأن الله حرّم عليهم الزنا والقتل، والسرقة والخمر، وما كان في هذا المعنى، والمقصود أن العذر بالجهل يحتاج إلى تفصيل وعناية وفهم دقيق ليس هذا مقامها[3].

2- الخطأ، قال الله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ**

---

(1) راجع التفصيل بالأدلة في المرجع السابق، 218/1، وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف، ص55-70.

(2) العقيدة الطحاوية بتعليق سماحة الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، ص16، وانظر: نواقض الإيمان الاعتقادية للوهيبي، 221/1.

(3) انظر:التفصيل في نواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف،ص59-70 ونواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف للدكتور محمد الوهيبي،225/1-302، وهناك رسالة قيمة بعنوان: ((الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه)) لعبد الرزاق معاش، وهي رسالة ماجستير بإشراف العلامة محمد بن ناصر البراك، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[1]، وقال النبي ﷺ: ((**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[2].

لكن ينبغي أن يُعلم أن لذلك ضوابط وشروطاً يعرفها أهل العلم لا يتسع المقام لذكرها هنا[3].

3- الإكراه، للحديث السابق؛ ولقوله تعالى: **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَّنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَـهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾**[4].

والإكراه له أنواع وشروط وضوابط يعرفها العلماء ليس هذا موضع ذكرها[5].

4- التأويل، المقصود به هنا: التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية دون تعمّدٍ للمخالفة، بل يعتقد أنه على حق. قال ابن تيمية رحمه الله: ((والتكفير من الوعيد؛ فإنه وإن كان القول تكذيباً لِمَا قاله الرسول ﷺ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً))[6]، ولكن التأويل الذي يعذر صاحبه له حدود وشروط وضوابط يعرفها العلماء لا يتسع المقام لذكرها[7].

5- التقليد، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((والذي عليه جماهير

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 5.
(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم 2043 ، ورقم 2045، بلفظ: ((إن الله وضع ..))، والحاكم، 198/2، والطبراني في معجمه الكبير، 11/ 134، برقم 11274، وقال الحاكم: ((صحيح على شرط الشيخين))، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 1731، 1836.
(3) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية لمحمد الوهيبي، 302/1-313.
(4) سورة النحل، الآية: 106.
(5) انظر: التفصيل في نواقض الإيمان الاعتقادية للشيخ محمد الوهيبي، 2/5-20.
(6) مجموع فتاوى ابن تيمية، 231/3، وانظر: 2/263-268، و282/3، 523/12.
(7) انظر: التفصيل في نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف، ص75-84، ونواقض الإيمان الأعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد الوهيبي، 2/20-38.

الأمة: أن الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد، ويُحرِّمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كل أحد، ويُحرِّمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد، فأما القادر على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد؟ هذا فيه خلاف، والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد، إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور الدليل له؛ فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب ما عجز عنه، وانتقل إلى بدله وهو التقليد، كما لو عجز عن الطهارة بالماء، وكذلك العامي إذا أمكنه الاجتهاد في بعض المسائل جاز له الاجتهاد؛ فإن الاجتهاد منصب يقبل التجزي والانقسام، فالعبرة بالقدرة والعجز...))[1].

ويظهر من كلام الإمام ابن تيمية رحمه الله: أنه يُعذر من وقع في الكفر تقليداً إن كان جاهلاً لا بصيرة له ولا فقه، فهو معذور حتى تقوم عليه الحجة[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((وأمَّا أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام، ولكنهم مخالفون في بعض الأصول فهؤلاء أقسام: ((أحدها: الجاهل المقلِّد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يُكفَّر، ولا يُفَسَّق، ولا تُردُّ شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى، وحُكْمُهُ حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولْدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّاً غفوراً))[3].

والتقليد في الحقيقة: هو اتباع قول من ليس قوله حجة، والخلاصة أن العذر بالتقليد له ضوابط وشروط لا بد من إتقانها، ولا يتسع المقام لذكرها هنا. والله المستعان[4].

---

(1) فتاوى ابن تيمية، 20/203-204، وانظر:أضواء البيان للشنقيطي،7/487-489، ونواقض الإيمان الاعتقادية، 2/41-43.

(2) انظر فتاوى ابن تيمية، 2/106، 107، 2/131-133، 378، و20/32-33، و23/349، و19/261.

(3) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم رحمه الله، ص174.

(4) انظر: التفصيل: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، 2/39-51.

الفصل الخامس: خطورة التكفير

والذي ينبغي أن نُؤَصِّلَهُ هنا: أن الحكم بالكفر على إنسان ما: حكم خطير؛ لِمَا يترتّب عليه من آثار، هي غاية في الخطر، منها الأخطار الآتية:

1- أنَّه لا يحل لزوجته البقاءُ معه، ويجب أن يُفَرَّقَ بينها وبينه؛ لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقَّن.

2- أنَّ أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه؛ لأنَّه لا يُؤتَمَن عليهم، ويُخشى أن يُؤثِّر عليهم بكفره، وبخاصة أن عُودَهم طريّ، وهم أمانة في عنق المجتمع الإسلامي كله.

3- أنَّه فقد حق الولاية والنُّصرة من المجتمع الإسلامي بعد أن مرق منه وخرج عليه بالكفر الصريح، والرِّدَّة البَوَاح. ولهذا يجب أن يُقاطع، ويُفرَض عليه حصار أدبي من المجتمع، حتى يفيق لنفسه، ويثوب إلى رشده.

4- أنَّه يجب أن يُحاكم أمام القضاء الإسلامي، ليُنفَّذ فيه حكم المرتدِّ، بعد أن يُستتاب وتُزال من ذهنه الشبهات وتُقام عليه الحجة.

5- أنَّه إذا مات لا تُجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يُغسَّل، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورث، كما أنه لا يرث إذا مات مورِّث له.

6- أنَّه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم.

وهذه الأحكام الخطيرة توجب على من يتصدَّى للحكم بتكفير خلق الله أن يتريَّث مرات ومرات قبل أن يقول ما يقول[1].

7- أنَّه لا يُدعَى له بالرَّحمة، ولا يُستغفر له؛ لقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾[2]. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ((الكفر حق الله ورسوله،

---

(1) **ظاهرة الغلو في التكفير، ص 23، د. يوسف القرضاوي، دار الجهاد، ودار الاعتصام، وقرأتها على معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان، في 20/ 6/ 1417هـ.**

(2) **سورة التوبة، الآية: 113.**

فلا كافر إلا من كفَّره الله ورسوله))[1].

الفصل السادس: تعاريف ومفاهيم

1- الكفر 2- الشرك
3- الإلحاد 4- النفاق
5- الزندقة 6- البدعة

1- الكَفْر: بالفتح: الستر والتغطية، يقال: كَفَر الزارع البذر في الأرض: إذا غطَّاه بالتُّراب. وبالضم: ضِدُّ الإيمان، وكفر نعمة الله وبها كُفُوراً وكفراناً: جحدها، وسترها، وكافره حقه: جحده، والمكفَّرُ كَمُعَظَّم: المجحُودُ النِّعمةِ مع إحسانِهِ، وكافرٌ جاحدٌ لأنْعُمِ الله تعالى[2].

فالكفر: هو الستر وجحود الحق وإنكاره، والكافر: ضدّ المسلم، والمرتدُّ: هو الذي كفر بعد إسلامه؛ بقولٍ، أو فعلٍ، أو اعتقادٍ، أو شكٍّ، وحدّ الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: **هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو جحد بعضه،** كما أن الإيمان: اعتقاد ما جاء به الرسول ﷺ والتزامه، والعمل به جملة وتفصيلاً[3].

والكفر هو: أول ما ذُكِرَ من المعاصي في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾[4]، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر[5] والكفر كفران:

أ- كُفرٌ يُخرج من الملَّة، وهو (الكفر الأكبر).

ب- كفر لا يُخرج من الملة، وهو (الكفر الأصغر)، أو كفر[6]

---

(1) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، ص198.
(2) القاموس المحيط، فصل الكاف، باب الراء، والمعجم الوسيط، ص791.
(3) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، للسعدي رحمه الله، ص191.
(4) سورة البقرة، الآية: 6.
(5) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ص5.
(6) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام، أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، ص6.

دون كفر[1].

2- الشرك: الشرك والشركة، بكسرهما وضمّ الثاني، بمعنى وقد اشتركا، وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله، فهو مشرك، ومشركيٌّ، والاسم: الشرك فيهما، ورغبنا في شِرْككم: مشاركتكم في النسب[2]، وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه أو عبادته، فالشرك: هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، وهو الماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها، فكل من عدل بالله غيره بالحب، أو العبادة، أو التعظيم، أو تبع خطواته، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم، فهو مشرك[3].

فظهر مما تقدم: أن الشرك في اللغة: النصيب: أي جعل لغير الله نصيباً في عبادته سبحانه.

والشرك في الاصطلاح الشرعي: هو أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك، أو هو: مساواة غير الله فيما هو من خصائص الله تعالى: من الأسماء أو الصفات أو الربوبية أو الألوهية.

والشرك شركان: شرك أكبر يُخرج من الملة، وهو: صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

شرك أصغر لا يُخرج من الملّة[4]: وهو كل وسيلة قوليّة، أو إراديَّة توصل إلى الشرك الأكبر ما لم تبلغ حدّ الشرك الأكبر.

أو هو كل ما ورد في النصوص تسميته بالشرك، ولم يصل إلى حدّ الشرك الأكبر.

3- الإلحاد: إلحاد ولحود، ولحد القبر كمنع، وألحده، عمل له لحداً، وألميت دفنه وإليه مال كالتحد. وألحد مال، وعدل، ومارى، وجادل[5]، يلاحظ أن المعاجم الحديثة استعملت كلمة إلحاد،

---

(1) سيأتي بيان ذلك إن شاء الله، عند الكلام على أنواع الكفر. انظر: الفصل الثاني، المبحث الأول من هذا الكتاب.
(2) القاموس المحيط، فصل الشين، باب الكاف، والمعجم الوسيط، ص480.
(3) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، ص41.
(4) انظر: التفصيل لأنواع الشرك في المطلب الثاني من المبحث الثاني في الفصل الثاني.
(5) القاموس المحيط، فصل اللام، باب الدال، والمعجم الوسيط، ص817.

وفسرتها بأنها الكفر. وفَهمُ المفسرين لمادة ((لحد)) في القرآن الكريم، يمكن تلخيصه في أنه الميل عن دين الله إلى درجة الكفر، وفسّروا الإلحاد في سورة الحج، بأنه أي معصية في الحرم، ولكن المعصية في الحرم إذا قيست بغيرها في مكان آخر كانت شديدة جداً[1].

قال فضيلة الشيخ عبد الرحمن الدوسري (رحمه الله): ((الإلحاد هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويلات؛ ولذا سُمّيَ لحد القبر لحداً، لميله عن وسطه إلى أحد جوانبه. فالمنحرف عن صراط الله، والمعاكس لحكمه بالتأويل الفاسد، وإبداء التشكيك، يُسمَّى مُلْحِداً... وأول الناس إلحاداً المشركون الذين اشتقوا لآلهتهم من أسماء الله. كاللات، والعزى، من الإل الذي هو الإله... ثم كل من ألحد في أسمائه وصفاته وصرفها عن ظاهرها.. فهو ملحد))[2].

4- النفاق: لغة: النفق سرب في الأرض، مشتق إلى موضع آخر، وفي التهذيب له مخلص إلى مكان آخر، والنفقة والنافقاء، جحر الضب واليربوع، وقيل النفقة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أُتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج ونفق اليربوع، ونَفَق (بالفتح) وانتفق، ونفق خرج منه. ونفق اليربوع تنفيقاً، ونافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنِّفاق بالكسر، فعل النافق، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر[3]، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لتتبعُنَّ سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم**)) قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((**فمن؟**))[4].

النفاق: شرعاً: كما قال ابن كثير: النفاق، هو إظهار الخير، وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في

---

(1) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، ص21.
(2) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة لعبد الرحمن الدوسري، ص40.
(3) النفاق آثاره ومفاهيمه، تأليف الشيخ عبد الرحمن الدوسري، ص105-106.
(4) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، برقم 2669.

النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب. قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه[1].

والنفاق نوعان: أكبر يُخرج من الملّة، وأصغر لا يُخرج من الملّة[2].

5- الزندقة: الزنديق بالكسر من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة، وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((الزنديق في عُرف الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن ديناً من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم. أو كان معطِّلاً جاحداً للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة. ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد المعطل، وهذا يسمى في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة، ونقلة مقالات الناس، ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه هو الأول، لأن مقصودهم هو التمييز بين الكافر، وغير الكافر، والمرتدّ وغير المرتدّ، ومن أظهر ذلك أو أسرَّه، وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار، والمرتدين، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والرِّدَّة، فإن الله أخبر بزيادة الكفر، كما أخبر بزيادة الإيمان بقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾**[4].

وتارك الصلاة وغيرها من الأركان، أو مرتكبو الكبائر. كما أخبر بزيادة عذاب بعض الكفار على بعض في الآخرة بقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾**[5]. فهذا أصل ينبغي معرفته؛ فإنه مهم في هذا الباب؛ فإن

---

(1) تفسير ابن كثير، 48/1 عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية:8]، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري، 268/1-272.

(2) وسيأتي إن شاء الله تعالى التفصيل لأنواع النفاق.

(3) القاموس المحيط، فصل الزاي، باب القاف، ص1151.

(4) سورة التوبة، الآية: 37.

(5) سورة النحل، الآية: 88.

كثيراً ممن تكلم في (مسائل الإيمان والكفر) لتكفير أهل الأهواء ((لم يلحظوا هذا الباب، ولم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن، مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ومن تدبَّر هذا علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع قد يكون مؤمناً مخطئاً، جاهلاً ضالاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ. وقد يكون منافقاً زنديقاً يُظهر خلافَ ما يُبطِن))[1].

6- البدعَةُ: لغة: الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استُحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال[2]، ويُقال: ((ابتدعتُ الشيء، قولاً أو فعلاً إذا ابتدأته عن غير مثال سابق))[3].

وأصل مادة ((بدع)) للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى:
﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[4]، أي: مخترعهما من غير مثال سابق متقدم[5].

والبدعة في الاصطلاح الشرعي لها عدة تعريفات عند العلماء يكمل بعضها بعضاً، ومنها:

(أ) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((البدعة في الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ: وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب))[6].

((**والبدع نوعان:** نوع في الأقوال والاعتقادات، ونوع في الأفعال والعبادات، وهذا الثاني يتضمن الأول، كما أن الأول يدعو إلى الثاني))[7]. ((وكان الذي بنى عليه أحمد وغيره مذاهبهم: أن الأعمال عبادات وعادات))، فالأصل في العبادات أنه لا يشرع منها

---

(1) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 471/7.
(2) القاموس المحيط، باب العين، فصل الدال، ص906، ولسان العرب، 6/8، وفتاوى ابن تيمية، 414/35.
(3) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس، ص119.
(4) سورة البقرة، الآية: 117، سورة الأنعام، الآية: 101.
(5) الاعتصام للشاطبي، 49/1.
(6) فتاوى ابن تيمية، 107/4-108.
(7) فتاوى ابن تيمية، 306/22.

إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات أنه لا يحظر منها إلا ما حظر الله[1].

وقال أيضاً: ((والبدعة ما خالف الكتاب والسنة، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات: كأقوال الخوارج، والروافض، والقدرية، والجهمية، وكالذين يتعبَّدون بالرّقص والغناء في المساجد، والذين يتعبّدون بحلق اللحى، وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبّد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة، والله أعلم))[2].

(ب) وقال الشاطبي رحمه الله تعالى: ((البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعيّة، يُقصدُ بالسلوك عليها المبالغة في التعبّد لله سبحانه)).

وهذا على رأي من لا يُدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصُّها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال الاعتياديَّة في معنى البدعة، فيقول: ((البدعة: طريقة في الدين مخترعةٌ، تُضاهي الشرعيّة، يُقصد بالسلوك عليها ما يُقصد بالطريقة الشرعية))[3].

ثم قرّر رحمه الله تعالى على تعريفه الثاني أن العادات من حيث هي معتادة لا بدعة فيها، ومن حيث يتعبّد بها، أو تُوضع وضع التعبُّد تدخلها البدعة، فحصل بذلك أنه جمع بين التعريفين، ومثّل للأمور المعتادة التي لا بد فيها من التعبُّد: بالبيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، والإجارات، والجنايات...؛ لأنها مقيدة بأمور وشروط وضوابط شرعية لا خيرة للمكلف فيها[4].

(ج) وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:[5] ((والمراد بالبدعة ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدلّ عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعةً لغةً، فكلّ من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك

(1) فتاوى ابن تيمية، 196/4.
(2) فتاوى ابن تيمية، 346/18، وانظر: المرجع نفسه، 414/35.
(3) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، 50/1-56.
(4) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، 568/2، 569، 570، 594.
(5) جامع العلوم والحكم، 127/2-128 بتصرف يسير جداً.

مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة، أما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر ﷺ لمّا جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك قال: ((نعمت البدعة هذه))[1]، ومراده ﷺ أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها، فمنها أن النبي ﷺ كان يحثّ على قيام رمضان، ويُرغّب فيه، وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعاتٍ متفرقة ووحداناً، وهو ﷺ صلّى بأصحابه في رمضان غير ليلة، ثم امتنع من ذلك مُعلّلاً، بأنه خشي أن يُكتب عليهم فيعجزوا عن القيام به، وهذا قد أُمِنَ بعده ﷺ[2]... ومنها: أنه ﷺ أمر باتّباع سنة خلفائه الراشدين، وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين[3].

والبدعة بدعتان: بدعة مُكفِّرة تُخرج عن الإسلام، وبدعة مُفسّقة لا تخرج عن الإسلام[4].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، برقم 2010.
(2) انظر:صحيح البخاري،كتاب صلاة التراويح،باب فضل من قام رمضان،برقم 2012، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، برقم 761.
(3) جامع العلوم والحكم، 129/2.
(4) انظر: الاعتصام للشاطبي، 516/2.

الباب الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة في قضية التكفير

الفصل الأول: مذهب أهل السنة ومعتمدهم

المبحث الأول: مذهب أهل السنة والجماعة

أخبر النبي ﷺ بافتراق أمته بعده إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأخبر أن فرقة واحدة منها ناجية، وباقي الفِرَق في النار، فَسُئل عن الفرقة الناجية، وعن صفتها فأخبر أنهم من كان على مثل ما هو عليه وأصحابه، ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ غير أهل السنة والجماعة[1]، قال رسول الله ﷺ: ((**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لتفترقنّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار**))[2].

وأهل السنة والجماعة هم أهل الحق، ومن عداهم فأهل بدعة، وأهل السنة والجماعة هم الصحابة ﷺ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث، ومن اتبعهم من الفقهاء، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم[3].

وأهل السنة والجماعة في باب أسماء الله، وآياته، وصفاته، **وسط** بين **(أهل التعطيل)** الذين يلحدون في أسماء الله وآياته، ويُعطِّلون حقائق ما نعت الله به نفسه، حتى شَبَّهوه بالمعدوم والأموات، وبين **(أهل التمثيل)** الذين يضربون له الأمثال، ويشبهونه بالمخلوقات، فيؤمنُ أهل السنة والجماعة، بما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف، و[لا] تعطيل، ومن غير تكييف و[لا] تمثيل، وهم في باب خلقه وأمره، وسط بين المكذبين بقدرة الله،

---

(1) الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ببعض التصرف، ص318.
(2) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، برقم 4596، 4597، والترمذي في كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة، برقم 2640، 2641، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، برقم 3992،وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 1083.
(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، 113/2.

الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة، ومشيئته الشاملة، وخلقه لكل شيء، وبين المفسدين لدين الله، الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة، ولا عمل. فيعطلون الأمر، والنهي، والثواب، والعقاب، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: **﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾**[1].

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير، فيقدر أن يهدي العباد، ويقلب قلوبهم، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ مراده، وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات، والحركات.

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة، وعمل، وأنه مختار، ولا يسمونه مجبوراً، إذ المجبور من أُكره على خلاف اختياره، والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله، فهو مختار مريد، والله ﷻ خالقه وخالق اختياره، وهذا ليس له نظير؛ فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وهم في ((باب الأسماء، والأحكام، والوعد، والوعيد)) **وسط بين الوعيدية**، الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ، **وبين المرجئة** الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأعمال الصالحة ليست من الدين، ويكذبون بالوعيد، والعقاب بالكلية.

[و] يؤمن أهل السنة والجماعة بأن فُسَّاق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي ﷺ ادَّخَرَ شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

وهم أيضاً في أصحاب رسول الله ﷺ و ﷺ **وسط بين الغالية**، الذين يغالون في علي رضي الله عنه، فَيُفضِّلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما، وأن الصحابة ظَلَموا، وفَسَّقوا، وكفَّروا الأمة بعدهم كذلك، وربما جعلوه نبياً أو إلهاً، **وبين الجافية** الذين يعتقدون كفره، وكفر عثمان رضي الله عنهما، ويستحلون

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 148.

دماءهما ودماء من تولاهما، ويستحبّون سبَّ علي وعثمان ونحوهما، ويقدحون في خلافة علي ﷺ وإمامته. **وكذلك في سائر (أبواب السنة) هم وسط لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله** ﷺ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان))[1].

أما مذهب أهل السنة والجماعة في التكفير، **فهم وسط بين مذهبي: الإرجاء، والوعيدية**.

فأهل السنة والجماعة يقولون: إن العبد إذا تاب من الذنب غُفِر له، وإن لم يتب فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عَذَّبه؛ لقوله تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾**[2] الآية.

فهذا مذهب بين مذهبين: بين من يقول: لا يضر مع الإيمان ذنب، وبين من يقول بالوعيد بأن صاحب الكبيرة من الخالدين في النار.

ويقول أهل السنة والجماعة: العباد مأمورون بالطاعة، ومنهيُّون عن المعصية،يستحقّون العقاب على فعل المعصية،ويستحقّون الثواب على فعل الطاعة، فالمعصية إذا لم يتوبوا منها فهم معذَّبون عليها،أو يتوب الله عليهم.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة، يزيد وينقص، زيادته بالطاعة، ونقصه بالمعصية[3]، قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾**[4] ومرتكب الكبيرة ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

وكما أن أهل السنة وسط في صحابة رسول الله ﷺ: يقولون:

---

(1) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 3/373-375.
(2) سورة الزمر، الآيتان: 53 - 54.
(3) الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة، ص58.
(4) سورة التوبة، الآية: 124.

أصحاب رسول الله ﷺ كلهم عدول، ولا يُبرئونهم من الذنوب التي هي دون الكفر؛ لكن لهم من الحسنات ما يُغطّيها، ويُنزلونهم منازلهم التي أنزلهم الله إيَّاها ورسوله ﷺ، فلا يَغلون في علي، ولا يكفِّرون أبا بكر وعمر، ويحبّونهم، ولا يضلّلون عليّاً ومعاوية، بل إن أفضل الأمة، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي[1].

قال الطحاوي رحمه الله: ((ولا نُكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه[2]، ولا نقول: لا يضرّ مع الإيمان ذنب لمن عمله، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم، والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة))[3].

وقال الطحاوي أيضاً: ((نُسمّي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين))، قال رسول الله ﷺ: ((**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما لنا، وعليه ما علينا**))[4].

ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحلّه، والمراد بقوله أهل قبلتنا: من يدَّعي الإسلام ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي، ما لم يُكذِّب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ[5]، وأهل السنة متفقون أن مرتكب الكبيرة لا يَكْفُر كفراً ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج، إذ لو كَفَر كفراً ينقل عن الملّة، لكان مرتدّاً يُقْتَلُ على كل حال، ولا يُقبل عفو ولي القصاص، ولا تُجْرى الحدود في الزنا، والسرقة وشرب الخمر.

---

(1) الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة، ص60.
(2) يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب، وإلا فقد امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول: بأنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج.
(3) شرح العقيدة الطحاوية، ص355.
(4) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، برقم 391، 393.
(5) شرح العقيدة الطحاوية ص350، الطبعة الرابعة، بتحقيق جماعة من العلماء.

وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ومُتَّفقون على أنَّه لا يُخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحقّ الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة[1].

أما من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب: كالزنا، أو شرب الخمر، أو أكل الربا، أو قتل النفس التي حرّم الله بغير حقّ، مستحلاً لذلك فإنه يكفر بإجماع المسلمين، فمن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب كالزنا أو غيره مستحلاً لذلك فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتدّاً عن دين الإسلام.

وقد يكون مع الإنسان من الإيمان وفروعه ما يستحقّ به المدح والثواب، ومعه من شعب الكفر والنفاق ما يستحق عليه الذمّ والعقاب، ومراد الفقهاء في الكلام على المرتدّ: هو الذي لا يبقى معه من الإيمان ما يحقن دمه.

والكفّار نوعان: أحدهما الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، ولا انتسبوا للإيمان بمحمد ﷺ من أُمّيين، ومشركين، وأهل كتاب من يهود ونصارى، ومجوس، وعبدة أوثان، ودهريين، وفلاسفة... وغيرهم من أصناف الكفار، فهؤلاء الجنس، دلّ الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، على كفرهم، وشقائهم، وخلودهم في النار، وتحريم الجنة عليهم، ولا فرق بين عالمهم وجاهلهم، وأُمِّيهم، وكتابيِّهم وعوامِّهم وخواصِّهم، وهذا أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، فهذا القسم ليس الكلام فيه، إنما الكلام في القسم الثاني الذين ينتسبون لدين الإسلام، ويزعمون أنهم مؤمنون بمحمد ﷺ، ثم يصدر منهم ما يناقض هذا الأصل، ويزعمون بقاءهم على دين الإسلام، وأنهم من أهله، **فهؤلاء لتكفيرهم أسباب** متعددة ترجع كلها إلى تكذيب الله ورسوله، وعدم التزام دينه ولوازم ذلك، ومن هذه الأسباب الأسباب الآتية:

السبب الأول: الشرك بالله تعالى والشرك بالرسول ﷺ:

1- فالشرك بالله تعالى إما شرك في الربوبية، بأن يعتقد أن أحداً شريكاً له، في الملك، أو التدبير، أو الخلق لبعض المخلوقات وغير ذلك.

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ص360-361.

وإما شرك في ألوهيته، وعبادته بأن يصرف نوعاً من أنواع العبادات لغير الله تعالى، بأن يدعو غير الله، أو يسجد لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يعتقد أن أحداً يستحق الألوهية والعبادة مع الله تعالى، أو يجعل بينه وبين الله وسائط، يتقرّب إليهم ليقرّبوه إلى الله تعالى، كما هو شرك المشركين الذين أخبر الله عنهم في كتابه، وأمثلة هذا لا تحصى لكن هذا أصله الذي يرجع إليه.

2- أما الشرك بالرسول ﷺ فمنه، أنه لا يتم الإيمان بالرسول حتى يُعتَقَد أنه رسول الله إلى الإنس والجن، والعرب وغيرهم في أصول الدين وفروعه، وفي جميع أبواب الدين، وأنه خاتم النبيين لا نبي بعده، فمن اعتقد أنه رسول إلى الإنس دون الجن، أو إلى العرب دون غيرهم... أو ادَّعَى لنفسه أنه رسول، أو صدّق من ادَّعَى ذلك، فكل هذه الأمور وشبهها شرك بالرسول، وكفر بالله، وتكذيب لله ولرسوله، وخروج عن الدين[1].

السبب الثاني من أسباب الكفر: عدم الإيمان بالكتاب والسنة، وذلك أنه لا يؤمن عبد حتى يعتقد أن القرآن كلام الله تعالى، صدق كله، وحق كله، وواجب التزامه، فمن جحد القرآن أو شيئاً منه ولو آية أو امتهنه، أو استهزأ به، أو ادَّعَى أنه مُفترَى، أو مُختلق، أو ادَّعى فيه ما ادَّعاه زنادقة الملاحدة من أهل الوحدة، والفلسفة من أنه تشريع للجمهور والعوام، وأنه تخيل للأمور ورموز إليها، ولم يُصرّح بالحقيقة، فكل هذا كفر بالقرآن، وخروج عن الدِّين كذلك.

وكذلك من زعم أن له خروجاً عما جاء به الرسول ﷺ من الشرع العظيم، والصراط المستقيم، وكذلك من أنكر أحداً من الأنبياء الذين نصَّ الله عليهم، أو نصَّ رسوله ﷺ عليهم، أو شيئاً من كتب الله المذكورة في الكتاب والسنة، فهو مُكذِّب للقرآن والسّنّة، بل طريقة المؤمنين الإيمان بجميع الكتب المنزَّلة على أنبيائه ورسله إلى الخلق، لا يفرِّقون بين أحد من رسله ولا كتبه، ومن أنكر البعث، والجزاء، والجنة، والنار، فهو مُكذِّب للكتاب والسنة، ومن جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة، أو الصيام، أو الحج، فهو مُكذِّب لله ولرسولِهِ وإجماع المسلمين، وهو خارج من الدِّين

(1) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب لعبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ببعض التصرف، ص191-193.

بإجماع المسلمين، ومن أنكر حكماً من أحكام الكتاب والسنة ظاهراً مجمعاً عليه إجماعاً قطعياً، كمن ينكر حل الخبز، والبقر، والغنم ونحوها، مما هو ظاهر، أو ينكر تحريم الزنا، أو القذف، أو شرب الخمر، فضلاً عن الأمور الكفرية، والخصال الشركية، فهو كافر مُكذِّب لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مُتَّبع غير سبيل المؤمنين، وكذلك من جحد خبراً أخبر الله به صريحاً، أو أخبر به الرسول ﷺ وهو حديث صحيح صريح، فهو كافر بالله ورسوله، كذلك من شكَّ في شيء من ذلك، بعد علمه به، ومثله لا يجهله، فهو كافر لأنه تارك لما وجب عليه من الإيمان، مُكذِّب لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1].

تقييد لا بد منه

وهو أن المتأوِّلين من أهل القبلة الذين ضلّوا وأخطؤوا في فهم ما جاء به الكتاب والسنة، مع إيمانهم بالرسول ﷺ واعتقادهم صدقه في كل ما قال: وأنَّ ما قاله كله حقّ، والتزموا ذلك، لكنهم أخطؤوا في بعض المسائل الخبرية أو العملية، فهؤلاء قد دلّ الكتاب والسنة على عدم خروجهم من الدين، وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين... وذلك لأجل تأويلهم وجهلهم.

والقول الفصل في أمثال هؤلاء المبتدعة المخالفين لما ثبتت به النصوص الصريحة والصحيحة **أنهم في هذا الباب أنواع**:

من كان منهم عارفاً بأن بدعته مخالفة للكتاب والسنة، فتبعها ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهره، وشاقّ الله ورسوله من بعد ما تبين له الحقّ، فهذا لا شك في تكفيره.

ومن كان منهم راضياً ببدعته، معرضاً عن طلب الأدلّة الشرعية، وطلب ما يجب عليه من العلم الفارق بين الحقّ والباطل ناصراً لها، رادّاً ما جاء به الكتاب والسنة مع جهله، وضلاله، واعتقاده أنه على الحق فهذا ظالم، فاسق، بحسب تركه ما أوجب الله عليه، وتَجَرُّئِهِ على ما حرم الله تعالى، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم من هو حريص على اتباع الحق واجتهد في ذلك، ولم يتيسّر له من يبيّن له ذلك، فأقام على ما هو عليه ظانّاً أنه صوابٌ من القول، غير متجرئ على أهل الحق بقوله ولا فعله، فهذا ربما كان مغفوراً له خطؤه، والله أعلم.

---

(1) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، ص194.

والمقصود أنه لا بد من هذا الملحظ في هذا المقام؛ لأنه وجد بعض التفاصيل التي كَفَّر أهل العلم فيها من اتّصف بها، وثَمَّ آخرُ من جنسها لم يكفِّروه بها، والفرق بين الأمرين: أن التي جزموا بكفره بها لعدم التأويل المسوّغ، وعدم الشبهة المقيمة لبعض العذر، والتي فصّلوا فيها القول لكثرة التأويلات الواقعة فيها.

ومما يدخل في هذا الأصل الكفر بالملائكة، والجن؛ فإن الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان الستة، وهو في سور كثيرة من القرآن الكريم، والسنة مملوءة منه، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بالكتاب ولا بالسنة.

وكذلك الجنّ ذكرهم الله في القرآن في عدّة مواضع، وذكر من تكليفهم وصفاتهم ما ذكره، فالكفر بهم كفر بالكتاب والسنة.

وكذلك الاستهزاء بالقرآن، أو بالسنة، أو بالدين فإنه كفر وزيادة، فالكفر عدم الإيمان سواء أعرض أو عارض، وهذا معارض.

وكذلك من لم يُكَفِّر من دان بغير دين الإسلام من أي دين كان، أو شكّ في كفرهم لمناقضة ذلك نصوص الكتاب والسنة.

وكذلك من قذف عائشة رضي الله عنها بما برّأها الله منه، أو أنكر صحبة أبي بكر للنبي ﷺ؛ لتصريحه بتكذيب الكتاب.

والحاصل أن من كذَّب الله، أو كذَّب رسوله في شيء مما أخبر (الله ورسوله) به فهو كافر، أو لم يلتزم ما أمر الله به ورسوله؛ لأن هذا كله مناقض للإيمان بالقرآن والسنة، وكل ما ذكره الفقهاء من تفاصيل المكفِّرات الصحيحة فإنه يعود إلى هذا السبب، فالكفر حق الله ورسوله، فلا كافر إلا من كفَّره الله ورسوله، فهو جحد ما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، والله تعالى أعلم[1].

وخلاصة مذهب أهل السنة في قضية التكفير: أنهم يقولون: إنّ الفاسق من أهل القبلة لا يُنفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه، ولا يوصف بالإيمان التام، فيقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا **يُسلب مطلق الاسم**، والمراد بالفسق هنا هو الأصغر، وهو عمل الذنوب الكبائر التي سمَّاها الله ورسوله

---

(1) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، ص194-198 بتصرف.

فسقاً، وكفراً، وظلماً، مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها؛ فإن الله تعالى سمى الكاذب فاسقاً قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[1]، ومع ذلك لم يُخرج ذلك الرجل من الدين بالكلية، ولم يُنفَ عنه الإيمان المطلق، وقال ﷺ: ((**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**))[2]، وقد استبَّ كثير من الصحابة على عهده ﷺ فوعظهم وأصلحهم، ولم يكفِّرهم، بل بقوا أنصاره ووزراءه في الدين، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾[3]، فسمَّى الله تعالى كلاً من الطائفتين مؤمنة وأمر بالإصلاح بينهما ولو بقتال الباغية، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[4]، ولم ينف عنهم الأُخوَّة أُخوَّة الإيمان لا فيما بين المقاتلين، ولا فيما بينهما وبين بقيَّة المؤمنين، بل أثبت لهم أُخوّة الإيمان مطلقاً.

وكذلك في آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾[5]، وكذلك الذين قال لهم النبي ﷺ: ((**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**))[6]، سماهم أيضاً مسلمين بعد أن رجعوا كذلك، فقال في صفة الخوارج: ((**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها**

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 6.
(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان،باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر،برقم 48، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))، برقم 64.
(3) سورة الحجرات، الآية: 9.
(4) سورة الحجرات، الآية: 10.
(5) سورة البقرة، الآية: 178.
(6) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، برقم 121، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً))، برقم 65.

أولى الطائفتين بالحق))[1].

ومعلوم أن أصحاب علي بن أبي طالب وأهل الشام هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارج من بينهما، قد اقتتلا اقتتالاً عظيماً، فسمّي الجميع مسلمين. وقال النبي ﷺ في سبطه الحسن: ((**إن ابني هذا سيد، وسَيُصلِح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**))[2]، فأصلح الله تعالى به بين الفرقتين بعد موت أبيه رضي الله عنهما، في عام الجماعة. ولله الحمد والمنة.

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً، أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً، وجريان أحكام المسلمين عليه؛ لأنه ليس كل فسق يكون كفراً، ولا كل ما يُسمَّى كفراً وظلماً، يكون مخرجاً من الملّة حتى ينظر إلى لوزامه وملزوماته، وذلك؛ لأن كلاً من الكفر، والشرك، والبدعة، والظلم، والفسوق، والنفاق، جاءت في النصوص على قسمين:

أ- أكبر يُخرج من الملّة لمنافاته أصل الدين بالكليَّة.

ب- وأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يخرج صاحبه منه.

فكفر دون كفر، وشرك دون شرك، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، والفاسق بالمعاصي التي لا توجب الكفر لا يخلد في النار، بل أمره مردود إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وأدخله الجنّة من أول وهلةٍ برحمته وفضله، وإن شاء عاقبه بقدر الذنب الذي مات مُصِرّاً عليه، ولا يُخلّده في النار بل يخرجه برحمته ثم بشفاعة الشافعين إن كان مات على الإيمان[3].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن المعاصي صغرت أم كبرت إذا كانت دون الشرك لا تؤدّي بذاتها إلى الحكم على المسلم بالكفر، إنما يكون الكفر بسبب استحلال المعصية المُجمع على أنها معصية بتحليل ما حرّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله تعالى، وهذه مسألة لا يختلف فيها اثنان من العلماء، فالله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ اللهَ لا**

---

(1) **أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم 1065/ 150.**
(2) **أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنه، برقم 2704.**
(3) **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد، 423/2.**

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[1].

أما الإصرار على المعصية، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالنطق بالشهادتين، وبعد هذا الإعلان تُجرَى عليه أحكام المسلمين حتى لو كان يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر إلا إذا قال، أو فعل ما يقتضي الرِّدَّة؛ لأنّ الله تعالى أمرنا في هذه الدنيا أن نأخذ بظاهر أحوال الناس، وأن نترك البواطن لحكم الله تعالى في الآخرة، ولقد أنكر الله على من ردَّ الظاهر، فقال تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً ﴾**[2] الآية.

كما جعل الله القول سبباً في المغفرة، فقال تعالى: **﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾**[3]، ولكن إذا صدر عن هذا المسلم أقوال، أو أفعال تُعَدُّ من الكفر حسب تحديد الإسلام لِمَا يدخل في (باب الكفر)، وجب أن نحدِّد موقفنا من هذا الشخص، ويختلف الأمر بين **الحاكم والمحكوم**.

أ- موقف الحاكم من المارقين والعصاة:

الحاكم المسلم مُكلَّف شرعاً بإقامة الحجة على هؤلاء، وذلك بمجادلتهم بالتي هي أحسن، ثم يُنفِّذ فيهم الحكم الشرعي (حكم الله ورسوله).

1- فإن ادَّعوا أنهم مؤمنون، ولكن الإيمان لا يُلزمهم بالصلاة، أو الحج، أو الزكاة، أو الصوم؛ لأن هذه ليست من فرائض الإسلام وأركانه، أو صلُّوا ثم استحلوا الزنا، أو الربا، أو الخمر، أو الانضمام إلى حزب يدعو إلى الكفر، والشرك، ونبذ حكم الله، وكانوا على بيِّنة من كل ذلك، وجب أن يقيم الحاكم عليهم الحدَّ الشرعي، وذلك بعد استتابتهم شرعاً؛ لأنهم ارتدُّوا إلى الكفر بعد إيمانهم.

2- وإن أقرُّوا بفرضيّة هذه العبادات وزعموا أنهم لا يطيقون الالتزام بها كلّها، ووعدوا بالطاعة، فقد عصموا أنفسهم من حكم

---

(1) سورة النساء، الآية: 116، وكذلك آية: 48 من السورة نفسها.
(2) سورة النساء، الآية: 94.
(3) سورة المائدة، الآية: 85.

الردّة والكفر، وعلى الحاكم أن يضع الوسائل العملية الكفيلة بزوال هذه الظاهرة.

3- ولكن إن ظلّوا على حالهم يقرُّون بالفرائض وجميع أمور الدين، ولا يعملون بذلك أو يعملون بخلافها، وجب على الحاكم أن يقاتلهم.

ففي صحيح البخاري ومسلم أنه لما انتقل الرسول الأمين ﷺ إلى ربِّه امتنع أقوام عن أداء الزكاة، فقاتلهم أبو بكر، وضمَّهم إلى المرتدِّين من حيث ضرورة مقاتلتهم حتى يتوبوا، وقد استنكر عمر ذلك القتال وقال: كيف نقاتلهم وقد قال النبي ﷺ: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**))،فقال أبو بكر:ألم يقل إلا بحقّها؟ وألله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه،قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحقّ[1].

ب- أما موقف الشعب (المحكومين) من المضلّلين والجاهلين، فليس أمام المسلم من أفراد الشعب إلا الدعوة، بالحكمة، والموعظة الحسنة، ومجادلة هؤلاء العصاة، والمضلّلين بإقامة الحجة عليهم، حتى يفصح هؤلاء عن واقعهم، ويقرّروا الصلاحية للإسلام الذي أعلنوا تبعيتهم له، أو يتّضح إصرارهم على الضلال، وادِّعاء عدم صلاحية الإسلام؛ ليسهل الحكم عليهم بالردة عنه؛ لأن المسلم والحال هذه لا يملك أن يطلق الحكم بالكفر على هؤلاء جملة، بل يكون الحكم لكل فرد حسب ما أفصح عنه عمله، واستبان به أمره من خلال أحواله، وأقواله، وأعماله؛ لأن الإسلام لم يأمر بالبحث عمّا في نفوس الناس، وليس لأحد سلطة حرمان أحد من جنة الله، أو الحكم عليه بالكفر كوسيلة لسحله، أو جرده، أو طرده، وحرمانه... فعن أبي سعيد ﷺ قال: بعث علي ﷺ وهو باليمن بذُهيبة إلى النبي ﷺ فقسمها بين أربعة، فقال رجل: اتق الله، فقال النبي ﷺ: ((**ويلك ألست أحقَّ أهل الأرض أن يتقي الله**))؟، ثم ولَّى الرجل فقال خالد ﷺ: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: ((**لا.**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ ﴾، برقم 25، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة..، برقم 20.

لعله أن يكون يصلي))، فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال النبي ﷺ: ((**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**))[1].

وهذا الذي اعترض على حكم النبي ﷺ في القسمة لم يقبل رسول الله ﷺ أن يقيم عليه حدّ الرّدّة، وهو القتل لاحتمال أن يكون ممن يُصلّي، وبالتالي تشهد له الصلاة بالإيمان. ولما قال خالد رضي الله عنه: كم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، ردّنا النبي ﷺ إلى القاعدة الذهبيَّة، وهي الأخذ بالظَّاهر؛ لأنّ الله تعالى لم يأمر بشقّ بطون الناس حتى يعلم حقيقة ما في قلوبهم ونواياهم، بل أمره بالأخذ بالظاهر، وترك ما عداه لحساب الآخرة؛ لأن الله هو الذي يعلم السرائر وما في القلوب[2]، وهذا ما لم يظهر منه ما يناقض الإسلام.

المبحث الثاني: معتمد أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه

استند أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه من عدم تكفير أحد من أهل القبلة بأي ذنب ما لم يستحلّ ذلك الذنب إلى:الكتاب،والسنة،والإجماع:

أولاً: من الكتاب:

وقد جاء فيه آيات كثيرة منها:

1- قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾[3].

2- قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾[4].

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم 1064/ 144.
(2) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 169/7، والحكم وقضية تكفير المسلم، ص186.
(3) سورة الزمر، الآيتان: 53- 54.
(4) سورة النساء، الآية: 110.

3- قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1].

4- قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[2].

5- قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾[3]، فلم يُخرج تبارك وتعالى، القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص.

6- قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[4]، فسمَّى الله كلاً من الطائفتين المقتتلتين: مؤمنة، وأمر بالإصلاح بينهما ولو بقتال الباغية، ولم ينف عنهم أُخوّة الإيمان لا فيما بين المقاتلين ولا فيما بينهما وبين بقيَّة المؤمنين، بل أثبت لهم أُخوّة الإيمان مطلقاً[5].

ثانياً: من السنّة المطهَّرة:

جاء في ذلك أحاديث كثيرة، منها الأحاديث الآتية:

1- قول رسول الله ﷺ: ((**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**))[6].

2- حديث جبريل لرسول الله ﷺ:((**بشِّر أمّتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة،قلت:يا جبريل،وإن سرق وإن زنى؟ قال:نعم،**

---

(1) سورة الرعد، الآية: 6.
(2) سورة النساء، الآية: 116، وآية: 48.
(3) سورة البقرة، الآية: 178.
(4) سورة الحجرات، الآيتان: 9 - 10.
(5) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد، 418/2.
(6) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، برقم 93.

قلت:وإن سرق وإن زنى؟ قال:نعم،قلت:وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. وإن شرب الخمر))[1]،فهو فسق،وظلم،ومع هذا حكم الله تعالى له بالإيمان[2].

3- قول رسول الله ﷺ: ((**تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بهتاناً تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله، فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**))، قال الراوي: فبايعناه على ذلك. رواه البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنهما[3].

4- قول رسول الله ﷺ: ((**يدخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّار النَّار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودّوا فيُلقون في نهر الحيا أو الحياة** - شكّ مالك - **فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**))[4].

5- قول النبي ﷺ: ((**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحقّ**))[5]، ومعلوم أن أصحاب علي بن أبي طالب طالب وأهل الشام هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارج من بينهما قد اقتتلتا اقتتالاً عظيماً، فسُمّيَ الجميع مسلمين.

6- قوله ﷺ: في سبطه الحسن رضي الله عنه: ((**إن ابني هذا سيّد، وسيُصلح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**))[6]، فأصلح الله تعالى به بين الفرقتين بعد موت أبيه رضي الله عنهما في عام الجماعة، ولله

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب في الجنائز، برقم 1237، ومسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، برقم 94، وفي كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، برقم 94/ 33، واللفظ لمسلم.
(2) الحكم وقضية تكفير المسلم، ص91.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب 11، برقم 18، ومسلم، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، برقم 1709.
(4) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، برقم 22، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، برقم 184.
(5) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم 1065/ 150.
(6) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ، برقم 2704.

الحمد والمنة[1].

ثالثاً: الإجماع:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن المعاصي صغرت أم كبرت إذا كانت دون الشرك لا تؤدِّي بذاتها إلى الحكم على المسلم بالكفر،إنما يكون الكفر بسبب استحلال المعصية بتحليل ما حرّم الله،أو تحريم ما أحلّ الله تعالى، وهذه مسألة لا يختلف فيها اثنان من العلماء،فالله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾[2]، والله المستعان[3].

الفصل الثاني: أنواع الكفر وأخطر المكفرات

المبحث الأول: أنواع الكفر

المطلب الأول: كفر أكبر يخرج من الملة

وهو خمسة أنواع[4]:

النوع الأول:كفر التكذيب،والدليل قول الله تعالى:﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ** ﴾[5].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾[6].

النوع الثالث: كفر الشكّ، وهو كفر الظنّ، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً** ﴾[7].

---

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، 423/2.
(2) سورة النساء، الآية: 116، وآية: 48.
(3) انظر: الحكم وقضية تكفير المسلم، ص186.
(4) انظر: تعريف الكفر لغة واصطلاحاً في الفصل السادس من الباب الأول.
(5) سورة العنكبوت، الآية: 68.
(6) سورة البقرة، الآية: 34.

﴾[1].

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾**[2].

النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾**[3].

المطلب الثاني: كفر أصغر لا يُخرج من الملة

وهو كفر النعمة: والدليل قوله تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾**[4]، والله المستعان[5].

ومما يدلّ من السنة على الكفر الذي لا يُخرج من الملة، قوله ﷺ: ((**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**))[6]، وقوله ﷺ: ((**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**))[7].

وقوله ﷺ: ((**من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها.. فقد كفر بما أنزل على محمد**))[8]، ونظائر ذلك كثيرة.

---

(1) سورة الكهف، الآيات: 35-38.
(2) سورة الأحقاف، الآية: 3.
(3) سورة المنافقون الآية: 3.
(4) سورة النحل، الآية: 112.
(5) مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ ابن تيمية رحمهما الله، ص6.
(6) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان،باب خوف المؤمن من أن يحبط علمه وهو لا يشعر،برقم 48، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))، برقم 64.
(7) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كَفَّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم 6103، 6104، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، برقم 60.
(8) مسند الإمام أحمد، 408/2، وصححه الألباني في آداب الزفاف، ص31.

المبحث الثاني: نواقض ونواقص الإسلام

المطلب الأول: أقسام المخالفات

المخالفات لأمر الله تعالى قسمان:

القسم الأول: يوجب الرِّدّة، ويبطل الإسلام بالكُلّيّة، ويكون صاحبه كافراً كفراً أكبر، وهو من أتى بناقض من نواقض الإسلام.

القسم الثاني: لا يبطل الإسلام، ولكن ينقصه ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي التي يعرف صاحبها أنها معاصٍ، كالزنا، ولكن لا يستحلّها، فهذا تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذّبه ثم أدخله الجنة بإيمانه وعمله الصالح، وإن شاء غفر له[1].

المطلب الثاني: أخطر النواقض المكفرات وأكثرها وقوعاً

نواقض الإسلام كثيرة، وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى في باب حكم المرتدِّ أن المسلم قد يرتدّ عن دينه بأمور وأنواع كثيرة من النواقض التي تُحلّ دمه وماله، ويكون بها خارجاً من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض[2]:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى[3]، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء ﴾**[4].

وقال سبحانه: **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾**[5]، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو لقبر.

---

(1) انظر: فتاوى سماحة العلامة ابن باز رحمه الله، 20/4، و45.
(2) انظر: هذه النواقض في مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص385، ومجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، ص27، ص28.
(3) انظر: تعريف الشرك في الفصل السادس، من الباب الأول: تعاريف ومفاهيم، من هذه الرسالة.
(4) سورة النساء، الآية: 116.
(5) سورة المائدة، الآية: 72.

والشرك ثلاثة أنواع:

النوع الأول: شرك أكبر: يُخرج من الملّة؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾[1]، وهو أربعة أنواع:

1- شرك الدعوة: لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[2].

2- شرك النِّيَّة والإرادة والقصد: لقوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[3].

3- شرك الطَّاعة: وهي طاعة الأحبار والرُّهبان وغيرهم في معصية الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[4].

4- شرك المحبة: لقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ** ﴾[5].

النوع الثاني: من أنواع الشرك: **شرك أصغر:** لا يُخرج من الملّة، ومنه يسير الرياء، أعاذنا الله منه، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾[6]، ومنه الحلف بغير الله؛ لقوله ﷺ: ((**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**))[7]، ومنه قول الرجل: لولا الله وأنت، أو ما شاء الله

---

(1) سورة النساء، الآية: 116.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 65.
(3) سورة هود، الآيتان: 15- 16.
(4) سورة التوبة، الآية: 31.
(5) سورة البقرة، الآية: 165.
(6) سورة الكهف، الآية: 110.
(7) رواه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب رقم 9، برقم 1535، وأحمد، 2/ 125، والحاكم، 1/ 18، وقال: ((صحيح على شرط الشيخين))، ووافقه الذهبي، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 6024، والسلسلة الصحيحة، برقم 2042.

وشئت.

النوع الثالث: من أنواع الشرك: **شرك خفي:** ((**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل**))[1]، وكفارته هي أن يقول العبد: ((**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**))[2].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**فَلا تَجْعَلُوا لله أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[3]، قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتِك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللُّصوص البارحة، ولولا البطّ في الدّار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان[4].

وقال النبي ﷺ: ((**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**))[5]، قال الترمذي: فُسِّرَ عند بعض أهل العلم أن قوله: ((**فقد كفر أو أشرك**)) على التّغليظ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ، سمع عمر يقول:وأبي وأبي،فقال ﷺ:((**ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**))[6].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**من قال في حلفه**

---

(1) أخرجه الحكيم الترمذي، برقم 575، وأحمد، 4/ 403، وأبو يعلى نحوه، برقم 58، 59، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 3730.

(2) أخرجه الحكيم الترمذي، برقم 575، وأحمد، 4/ 403، وأبو يعلى نحوه، برقم 58، 59، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 3831، وانظر: مجموعة التوحيد لأحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، ص6.

(3) سورة البقرة، الآية: 22.

(4) تفسير ابن كثير، 58/1، وانظر: تفسير الطبري، 368/1.

(5) أخرجه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب رقم 9، برقم 1535، وأحمد، 2/ 125، والحاكم، 1/ 18، وقال: ((صحيح على شرط الشيخين))، ووافقه الذهبي، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 6204، والسلسلة الصحيحة، برقم 2042.

(6) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم يرَ إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، برقم 6108، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، برقم 1646.

باللاّت والعُزَّى فليقل: لا إله إلاّ الله))[1].

ولعلَّ الشرك الخفيّ يدخل في الشرك الأصغر، فيكون الشرك على نوعين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى[2].

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفِّر المشركين، أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه - كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه - فهو كافر.

ويدخل في هذا الناقض: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنُّها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلّف المسلمين، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخّل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل فيه أيضاً من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كلّ من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرّم الله إجماعاً، وكل مَن استباح ما حرّم الله مما هو معلوم تحريمه من الدين بالضرورة: كالزنا، والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله، فهو كافر بإجماع المسلمين. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[3].

والخلاصة أن الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل، وإليك الصواب في ذلك إن شاء الله تعالى:

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذرو،باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت، برقم 6650،ومسلم في كتاب الأيمان،من حلف باللات والعزى فليقل:لا إله إلا الله،برقم 1647.

(2) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص233.

(3) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للعلامة ابن باز رحمه الله تعالى، 137/1.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[3]، قال طاووس وعطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[4]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله))[5]، وقال ﷺ: ((من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم: فهو ظالم فاسق))[6].

والصواب أن من حكم بغير ما أنزل الله قد يكون مرتدّاً، وقد يكون مسلماً عاصياً مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب؛ فلهذا نجد أن أهل العلم قد قسموا الكلمات الآتية إلى قسمين، وهي كلمة: كافر، وفاسق، وظالم، ومنافق، ومشرك. فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك.

فالأكبر يُخرج من الملّة لمنافاته أصل الدين بالكليّة، والأصغر يُنقص الإيمان وينافي كماله، ولا يُخرج صاحبه من الملّة؛ ولهذا فصَّل العلماءُ القول في حكم من حكم بغير ما أنزل الله تعالى.

قال سماحة الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى: من حكم بغير ما أنزل الله فلا يخرج عن أربعة أنواع:

1- من قال: أنا أحكم بهذا لأنه أفضل من الشريعة الإسلامية، فهو كافر كفراً أكبر.

2- ومن قال: أنا أحكم بهذا لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا جائز وبالشريعة جائز، فهو كافر كفراً أكبر.

3- ومن قال: أنا أحكم بهذا، والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل، لكن الحكم بغير ما أنزل الله جائز، فهو كافر كفراً أكبر.

4- ومن قال: أنا أحكم بهذا، وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل

---

(1) سورة المائدة، الآية: 44.
(2) سورة المائدة، الآية: 45.
(3) سورة المائدة، الآية: 47.
(4) تفسير ابن كثير، 58/2، وانظر: تفسير الطبري، 355/10-358.
(5) تفسير ابن جرير، 356/10.
(6) تفسير ابن جرير، 356/10.

الله: لا يجوز، ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية: أفضل، ولا يجوز الحكم بغيرها، ولكنه متساهل، أو يفعل هذا لأمر صادر من حُكَّامه، فهو كافر كفراً أصغر لا يُخرج من الملّة، ويعتبر من أكبر الكبائر[1].

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقاً، أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً، وجريان أحكام المسلمين عليه؛ لأنه ليس كل فسق يكون كفراً، ولا كل ما يُسمّى كفراً، وظلماً، يكون مُخرجاً من الملّة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته، وذلك لأنَّ كلاً من الكفر، والشرك، والظلم، والفسوق، والنفاق جاءت في النصوص على قسمين:

(أ) أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكليَّة.

(ب) أصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، ولا يُخرج صاحبه منه، فكفر دون كفر، وشرك دون شرك، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، والفاسق بالمعاصي التي لا توجب الكفر لا يُخلَّد في النار، بل أمره مردود إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله، وإن شاء عاقبه بقدر الذنب الذي مات مصرّاً عليه ولا يخلده في النار، بل يخرجه برحمته ثم بشفاعة الشافعين إن كان مات على الإيمان[2].

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به كفر إجماعاً؛ لقوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾**[3].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: **﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾**[4].

---

(1) حدثنا بهذا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وهو مسجل في شريط في مكتبتي الخاصة، وانظر: فتاوى سماحته، 137/1، وانظر: التفصيل ومتى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر: كتاب ((نواقض الإيمان القولية والعملية))، للدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف، ص311-343، وص249-343.
(2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم أصول التوحيد، 423/2.
(3) سورة محمد، الآية: 9.
(4) سورة التوبة، الآيتان: 65- 66.

السابع: السحر، ومنه الصرف[1]، والعطف[2]، فمن فعله، أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**﴾[3].

الثامن: مظاهرة[4] المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[5].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**﴾[6]، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكره، وكلها أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه[7].

المطلب الثالث: أنواع النفاق

النفاق: كالكفر، نفاق دون نفاق، أو نفاق مُخرج من الملّة، ونفاق لا يُخرج من الملّة[8]:

---

(1) الصرف: عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان وصرفه عما يهواه، كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها.
(2) العطف: عمل سحري يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه فيحبه بطرق شيطانية، كعطف المرأة على زوجها.
(3) سورة البقرة، الآية: 102.
(4) المظاهرة: المناصرة والتعاون معهم على المسلمين.
(5) سورة المائدة، الآية: 51.
(6) سورة السجدة، الآية: 22.
(7) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام: أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، ص27، 28، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص385، 387، ومجموعة فتاوى ابن باز، 135/1.
(8) انظر: تعريف النفاق لغة وشرعاً، في الفصل السادس من الباب الأول من هذه الرسالة.

أولاً: النفاق الأكبر:

وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ويبطن ما يناقض ذلك كلّه أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار[1].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعض صور النفاق الأكبر فقال: ((فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أُبيّ وغيره، بأن يظهر: تكذيب الرسول ﷺ، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب طاعته، أو المسرّة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوّاً لله ورسوله، وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ، وما زال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده ﷺ...))[2].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: ((... فأما النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار))[3].

فيتحصّل مما ذكره هذان الإمامان أنواع أو صفات للنفاق الأكبر، وهي:

1 - تكذيب الرسول ﷺ.
2 - تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
3 - بغض الرسول ﷺ.
4 - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
5 - المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
6 - الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

---

(1) جامع العلوم والحكم للإمام ابن رجب رحمه الله تعالى، 480/2.
(2) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، 434/28.
(3) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، ص7.

7 - عدم اعتقاد وجوب تصديقه ﷺ فيما أخبر به.
8 - عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر به.

وغير ذلك مما دلّ القرآن الكريم أو السنة المطهرة على أنه من النفاق الأكبر المُخرج من ملّة الإسلام[1].

ثانياً: النفاق الأصغر:

وهو النفاق العملي: وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحةً ويبطن ما يُخالف ذلك، وأصول هذا النفاق ترجع إلى حديث عبد الله بن عمر، وعائشة رضي الله عنهم، وهي خمسة أنواع:

1- أن يحدث بحديثٍ لمن يصدّقه به وهو كاذب له.
2- إذا وعد أخلف، وهو على نوعين:
(أ) أن يَعِدَ ومِنْ نيّته أن لا يفي بوعده، وهذا أشرُّ الخلف، ولو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى، ومن نيته أن لا يفعل كان كذباً وخُلْفاً. قاله الأوزاعي.
(ب) أن يَعِدَ ومن نيته أن يفي ثم يبدو له، فيخلف من غير عذر له في الخلف.
3- إذا خاصم فجر، ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحقُّ باطلاً، والباطل حقّاً، وهذا مما يدعو إلى الكذب.
4- إذا عاهد غدر ولم يفِ بالعهد، والغدر حرام في كل عهدٍ بين المسلمين وغيرهم، ولو كان المعاهَد كافراً.
5- الخيانة في الأمانة، فإذا اؤتمن المسلم أمانة، فالواجب عليه أن يؤدّيها.

وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كُلّه يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، واختلاف القلب واللسان، واختلاف الدخول والخروج، ولهذا قالت طائفة من السلف: خشوع النفاق: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع[2].

وهذا النفاق لا يخرج من الملّة فهو (نفاق دون نفاق)؛لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أربعٌ من كنّ فيه كان**

---

(1) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، للدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي، 160/2.

(2) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، 480/2-495، فقد أعطى الموضوع حقه، وذكر فوائد جمة فلتراجع. وانظر: مجموعة التوحيد، ص7.

منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر))[1]؛ ولحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان))**[2].

المطلب الرابع: أنواع الأمور المبتدعة عند القبور

النوع الأول: من يسأل الميت حاجته[3]، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، وقد قال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾[4] الآية، فكل من دعا نبيّاً، أو وليّاً، أو صالحاً وجعل فيه نوعاً من الإلهية فقد تناولته هذه الآية، فإنها عامّة في كل من دعا من دون الله مدعواً، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتاً، أو غائباً: من الأنبياء، والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة، أو غيرها فقد فعل الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من العبادة مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أعنّي، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكلّ هذا شرك وضلال يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن الله إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليُعبد وحده، ولا يُجعل معه إله آخر.

النوع الثاني: أن يسأل الله تعالى بالميت، وهو من البدع المحدثة في الإسلام،وهذا ليس كالذي قبله؛ فإنه لا يصل إلى الشرك الأكبر، والعامّة الذين يتوسَّلون في أدعيتهم بالأنبياء والصالحين كقول أحدهم: أتوسّل إليك بنبيّك، أو بأنبيائك، أو بملائكتك، أو بالصالحين من عبادك، أو بحقّ الشيخ فلان، أو بحرمته، أو أتوسّل إليك باللوح

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم 34، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم 58.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم 33، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، برقم 59.

(3) انظر: تعريف البدعة لغة واصطلاحاً، الفصل السادس من الباب الأول من هذه الرسالة.

(4) سورة الإسراء، الآيتان: 56- 57.

والقلم، وغير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم، وهذه الأمور من البدع المحدثة المنكرة، والذي جاءت به السنة هو التوسّل والتوجّه بأسماء الله تعالى، وصفاته، وبالأعمال الصالحة، كما ثبت في الصحيحين في قصة الثلاثة (أصحاب الغار)، وبدعاء المسلم الحيّ الحاضر القادر لأخيه المسلم.

النوع الثالث: أن يظن أن الدّعاء عند القبور مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك فإن هذا من المنكرات إجماعاً، ولم نعلم في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين... وهذا أمر لم يشرعه الله، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين... وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات، ودهمتهم نوائب، ولم يجيئوا عند قبر النبي ﷺ، بل خرج عمر بالعباس فاستسقى بدعائه، وقد كان السلف ينهون عن الدعاء عند القبور، فقد رأى علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فيها، فقال: ألا أُحدِّثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلّوا عليّ وسلّموا حيثما كنتم فسيبلغني سلامكم وصلاتكم**))[1]، ووجه الدّلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فغيره أولى بالنهي كائناً ما كان[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**))[3].

المبحث الثالث: أصول المكفرات

جميع المكفرات تدخل تحت نواقض أربعة: القول، أو الفعل، أو الاعتقاد، أو الشك والتوقف، قال سماحة العلامة إمام علماء هذا العصر، عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ورفع درجاته: ((**العقيدة الإسلامية لها قوادح، وهذه القوادح قسمان:** قسم ينقض

---

(1) رواه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص34، وصححه الألباني في المرجع نفسه ، وله طرق وروايات ذكرها في كتابه تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص140.

(2) الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم، 6/165-174.

(3) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم 2042، وأحمد، 2/367، وحسنه الشيخ الألباني في كتابه تحذير الساجد، ص142.

هذه العقيدة ويبطلها، ويكون صاحبه كافراً نعوذ بالله، وقسم ينقص هذه العقيدة ويضعفها:

القسم الأول: القوادح المكفّرة:

نواقض الإسلام هي الموجبة للرِّدَّة هذه تسمى نواقض، والناقض يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شَكّاً.

فقد يرتدُّ الإنسان بقولٍ يقوله، أو بعملٍ يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشكٍّ يطرؤ عليه، هذه الأمور الأربعة كلُّها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذَكَرَها أهل العلم في كتبهم وسمَّوا بابها: ((**باب حكم المرتدّ**))، فكلُّ مذهب من مذاهب العلماء، وكلُّ فقيهٍ من الفقهاء ألَّف كُتُباً - في الغالب - عندما يذكر الحدود - يذكر باب حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد الإسلام، هذا مرتد، يعني أنَّه رَجَع عن دين الله وارتدَّ عنه، قال فيه النبي ﷺ: ((**من بدَّل دينَهُ فاقتلوه**))، خرَّجه البخاري في ((الصحيح))[1].

وفي ((الصحيحين))[2] أن النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن، ثم أتْبَعَهُ معاذ بن جبل، فلما قَدِمَ عليه قال: انزل، وألقى له وسادة، وإذا رجلٌ عنده مُوثَق، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديّاً فأسلم ثم راجع دينه - دين السَّوء - فتهوَّد، قال: لا أجلس حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله، فقال: اجلس، نعم، قال: لا أجلس حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات، فأمر به فَقُتِل.

فدلَّ ذلك على أن المرتد عن الإسلام يُقتل، إذا لم يتب، يُستتاب فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصرَّ على كفره وضلاله يُقتَل، ويُعجَّل به إلى النار؛ لقوله ﷺ: ((**من بدَّل دينه فاقتلوه**))[3].

1- الرّدّة بالقول:

النواقض التي تنقض الإسلام كثيرة، منها قولٌ، مثل: سبٌّ الله: هذا قولٌ ينقض الدين، سبّ الرسول ﷺ، يعني: اللعن والسبّ لله ولرسوله، أو العيب، مثل أن يقول: إنَّ الله ظالم، إنَّ الله بخيل، إنَّ

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، برقم 3017.
(2) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، برقم 6923، ومسلم في كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، برقم 1733/ 15.
(3) رواه البخاري، برقم 3017، وتقدم تخريجه.

الله فقير، إنَّ الله - جل وعلا - لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، كُلُّ هذه الأقوال رِدَّةٌ عن الإسلام.

من انْتقص الله أو سبَّه أو عابه بشيء فهو كافر مرتدٌّ عن الإسلام - نعوذ بالله - هذه ردّةٌ قولية، إذا سبَّ الله أو استهزأ به أو تنقَّصه أو وصفه بأمرٍ لا يَليق، كما تقول اليهود: إن الله بخيل، إن الله فقير ونحن أغنياء وهكذا لو قال: إن الله لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، أو نفى صفات الله ولم يؤمن بها، فهذا يكون مرتداً بأقواله السيئة.

أو قال مثلاً: إنَّ الله لم يوجب علينا الصلاة، هذه ردّة عن الإسلام، من قال إن الله لم يوجب الصلاة فقد ارتدَّ عن الإسلام بإجماع المسلمين، إلا إذا كان جاهلاً بعيداً عن المسلمين لا يعرف، فيُعلَّم، فإن أصرَّ كَفَر.

وأما إذا كان بين المسلمين، ويعرف أمور الدِّين، فإن قال: ليست الصلاة بواجبة، فهذه رِدَّة، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتِل.

أو قال: الزكاة غير واجبة على الناس، أو قال: صوم رمضان غير واجب على الناس، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس، من قال هذه المقالات كفر إجماعاً، ويُستتاب فإن تاب وإلا قُتِل - نعوذ بالله -. وهذه الأمور رِدَّةٌ قولية.

2- الرّدّة بالفعل:

والرّدّة الفعليّة: مثل: ترك الصلاة، فكونه لا يصلّي، وإن قال: إنها واجبة - لكن لا يصلي - هذه ردَّة على الأصحّ من أقوال العلماء، لقول النبي ﷺ: ((**العَهْدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تَرَكَها فقد كفر**)). رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بإسناد صحيح[1]، وقوله ﷺ: ((**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**)) أخرجه مسلم في ((صحيحه))[2].

---

(1) أخرجه أحمد في المسند، 346/5، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، برقم 2621، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، برقم 1079، والنسائي في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، برقم 461، والحاكم في المستدرك، 1/ 6، وقال: ((صحيح))، ووافقه الذهبي، وقال أبو عيسى الترمذي: ((هذا حديث حسن صحيح غريب))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 4143.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم

وقال شَقِيقُ بن عبد الله العُقَيليّ التابعي المتّفق على جلالته رحمه الله: ((كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفرٌ غير الصلاة)) رواه الترمذي[1]، وإسناده صحيح.

وهذه ردّةٌ فعلية، وهي ترك الصلاة عمداً.

ومن ذلك: لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه مستهيناً به، أو لطَّخه بالنجاسة عمداً، أو وطأه بقدمه يستهين به، فإنه يرتدّ بذلك عن الإسلام.

ومن الرّدّة الفعلية: كونه يطوف بالقبور يتقرّب لأهلها بذلك، أو يصلي لهم أو للجن، وهذه رِدَّةٌ فعلية.

أما دعاؤه إيَّاهم، والاستعانة بهم، والنذر لهم: فردَّة قولية.

أما من طاف بالقبور يقصد بذلك عبادة الله فهو بدعةٌ قادحةٌ في الدِّين، لا يكون رِدَّة إنما يكون بدعة قادحة في الدين، إذا لم يقصد التقرّب إليه بذلك، وإنما فعل ذلك تقرّباً إلى الله سبحانه جهلاً منه.

ومن الكفر الفعلي: كونه يذبح لغير الله، ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقرّباً إليهم يعبُدُهم بها، أو للجِنِّ يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرّب إليها بذلك، وهذا ما أُهِلَّ به لغير الله، فيكون ميتةً، ويكون كفراً أكبر - نسأل الله العافية -. هذه كلُّها من أنواع الرّدّة عن الإسلام والنواقض الفعلية.

3- الرّدّة بالاعتقاد:

ومن أنواع الرّدّة العقدية: التي يعتقدُها بقلبه، وإن لم يتكلّم ولم يفعل - بل بقلبه يعتقد - إذا اعتقد بقلبه أنَّ الله - جل وعلا - فقيرٌ أو أنه بخيل أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلّم، ولو لم يفعل شيئاً هذا كفر بمجرّد هذه العقيدة بإجماع المسلمين.

أو اعتقد بقلبه أنه لا يُوجد بعثٌ ولا نشور، وأنّ كلَّ ما جاء هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جَنَّة أو نار، ولا حياة

.82

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، برقم 2622، وقال: ((سمعت أبا مصعب المدني يقول: من قال: الإيمان قول يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه)).

أخرى، إذا اعتقد ذلك بقلبه، ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفرٌ وردَّةٌ عن الإسلام - نعوذ بالله - وتكون أعمالُهُ باطلةً، ويكون مصيره إلى النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه - ولو لم يتكلم - أنَّ محمداً ﷺ ليس بصادق، أو أنَّه ليس بخاتم الأنبياء، وأنَّ بعده أنبياء، أو اعتقد أنَّ مُسيلمة الكذَّاب نبيٌّ صادق، فإنه يكون كافراً بهذه العقيدة.

أو اعتقد - بقلبه - أنَّ نوحاً أو موسى أو عيسى أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبون أو أحداً منهم، فهذا ردَّةٌ عن الإسلام.

أو اعتقد أنَّه لا بأس أنْ يُدعى مع الله غيره، كالأنبياء أو غيرهم من الناس، أو الشمس أو الكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مُرتدّاً عن الإسلام [لأن الله تعالى] يقول: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ** ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾[2]، وقال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[3]، وقال: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيَّاهُ** ﴾[4]. وقال: ﴿**فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[6] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فمن زَعَم أو اعتقد أنَّهُ يجوزُ أن يُعبَدَ مع الله غيرُهُ من مَلَكٍ، أو نبيٍّ، أو شجرٍ، أو جنٍّ، أو غير ذلك فهو كافر، وإذا نطق وقال بلسانه ذلك صار كافراً بالقول والعقيدة جميعاً، وإنْ فعل ذلك، ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافراً بالقول والعمل والعقيدة جميعاً، نسأل الله العافية.

ومما يدخل في هذا ما يفعله عُبَّاد القبور اليوم في كثير من

---

(1) سورة الحج، الآية: 62.
(2) سورة البقرة، الآية: 163.
(3) سورة الفاتحة، الآية: 5.
(4) سورة الإسراء، الآية: 23.
(5) سورة غافر، الآية: 14.
(6) سورة الزمر، الآية: 65.

الأمصار من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب المدَدِ منهم، فيقول بعضهم:
يا سيدي المَدَدَ المَدَدَ، يا سيدي الغوثَ الغوثَ، أنا بجوارك، اشفِ مريضي، ورُدَّ غائبي وأصلح قلبي.

يخاطبون الأموات الذين يسمونهم الأولياء، ويسألونهم هذا السؤال، نَسُوا الله وأشركوا معه غيره - تعالى الله عن ذلك -.

فهذا كفرٌ قوليٌّ، وعقديٌّ، وفعليّ.

وبعضُهم ينادي من مكانٍ بعيد وفي أمصار متباعدة: يا رسول الله انصرني.. ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا رسول الله اشفِ مريضي، يا رسول الله المدد المدد، انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه انصُرنا على أعدائنا.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذا من الشرك القوليِّ العمليّ، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز، وأنه لا بأس به صار شركاً قوليّاً وفعليّاً وعقديّاً، نسأل الله العافية.

4- الرّدّة بالشّكّ:

عَرَضنا للرّدّة التي تكون بالقول، والرّدّة في العمل، والرّدّة في العقيدة، أمّا الرّدّة بالشّكّ فمثل الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حقٌّ أم لا؟... أنا شاكٌّ، هذا كافرٌ كُفْرَ شكٍّ، أو قال: أنا لا أعلم هل البعث حقٌّ أم لا؟ أو قال: أنا لا أدري هل الجنة والنار حقٌّ أم لا؟... أنا لا أدري، أنا شاكٌّ؟

فمثلُ هذا يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل كافراً لشكّه فيما هو معلومٌ من الدِّين بالضرورة وبالنَّصِّ والإجماع.

فالذي يشكّ في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حقٌّ، أو هل الرسول حقٌّ، وهل هو صادقٌ أم كاذب؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم النبيين، أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العنسي - الذي ادَّعى النبوة في اليمن - كاذبٌ أم لا؟ هذه الشكوك كلُّها ردَّةٌ عن الإسلام، يُستتاب صاحبها ويُبيَّن له الحقّ، فإن تاب وإلا قُتِل.

ومثل لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبةٌ أم لا؟ وصيام رمضان هل هو واجبٌ أم لا؟ أو شكّ في الحجّ مع الاستطاعة هل هو واجبٌ في العُمُر مَرَّةً أم لا؟ فهذه الشكوك كلّها كفر أكبر

يُستتاب صاحبها، فإن تاب وآمن وإلا قُتِلَ لقول النبي ﷺ: ((**من بدَّل دينه فاقتلوه**)) رواه البخاري في ((الصحيح))[1].

فلا بُدَّ من الإيمان بأنَّ هذه الأمور - أعني الصلاة والزكاة والصيام والحج - كلها حقّ، وواجبة على المسلمين بشروطها الشرعية[2].

أما الوسوسة العارضة والخطرات، فإنها لا تضرّ إذا دفعها المؤمن ولم يسكن إليها، ولم تستقر في قلبه؛ لقول النبي ﷺ: ((**إن الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به**))[3].

وعليه أن يعمل الآتي:

1 -يستعيذ بالله من الشيطان[4].

2 - ينتهي عما يدور في نفسه[5].

3 - يقول: آمنت بالله ورسله[6].

القسم الثاني: قوادح دون الكفر:

تُضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبه معرضاً للنار وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافراً، مثل: أكل الربا، وارتكاب المحرمات: كالزنا، والبدع، إذا آمن بأن ذلك حرام، ولم يستحله، أما إذا اعتقد أن ذلك حلالٌ صار كافراً، وغير ذلك مثل الاحتفال بالمولد، وهو ما أحدثه الناس في القرن الرابع وما بعده من الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فيكون ذلك إضعافاً للعقيدة، إلا إذا كان

---

(1) ورقمه 2017، وتقدم تخريجه.

(2) انظر:القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص27-42 بتصرف يسير جداً.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، برقم 5269، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، برقم 127.

(4) انظر: صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم 3276، ومسلم في كتاب الإيمان،باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها،برقم 134/ 213، 214.

(5) انظر:صحيح البخاري في كتاب الطلاق،باب الطلاق في الإغلاق والكره،برقم 5269، ومسلم في كتاب الإيمان،باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، برقم 127.

(6) مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم 134/ 212.

هناك في المولد استغاثة بالرسول ﷺ، فإن هذه البدعة تكون من النوع الأول المخرج عن الإسلام، ومن النوع الثاني كذلك التّطيّر كما يفعل أهل الجاهلية، وقد ردَّ الله عليهم: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾[1]، فالطيرة شرك دون كفر.. وكذلك الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، قال النبي ﷺ: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**))[2]. انتهى ملخّصاً[3].

❁ ❁ ❁

(1) سورة النمل، الآية: 47.
(2) أخرجه البخاري في كتاب الصلح،باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود،برقم 2697، ومسلم في كتاب الأقضية،باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور،برقم 1718.
(3) القوادح في العقيدة للعلامة ابن باز رحمه الله، وهي محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في شهر صفر عام 1403هـ،وهي مسجلة عندي بمكتبتي الخاصة.ثم طبعت والحمد لله تعالى في عام 1416هـ، بعنوان: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، اعتنى بنشرها وعرضها على مؤلفها: خالد بن عبد الرحمن الشايع، جزاه الله خيراً.

الباب الثالث:مذاهب الناس في تكفير أهل القبلة ومناقشتها

الفصل الأول: مذاهب الناس في التكفير

المبحث الأول: الخوارج ورأيهم

الخوارج يقال لهم: (الحَرورية) نسبة إلى قرية خرجوا منها يقال لها: حروراء، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه [وكفر بالمعاصي] يسمى خارجيّاً[1]، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان[2]، ولما اختلفت الخوارج صارت عشرين فرقة[3]، وكبار الفرق منهم: المحكّمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفرية، والباقون فروعهم، ويجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدّمون ذلك على كل طاعة، ولا يصحّحون المناكحات إلا على ذلك، ويكفّرون أصحاب الكبائر[4]، ويستحلّون دماءهم، وأموالهم، وقالوا: بخلود العصاة في النار، ويرون اتّباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب وإن كانت متواترة، ويكفّرون من خالفهم، ويستحلّون منه - لارتداده عندهم - ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي[5]، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقّاً واجباً[6]، ويجمع الخوارج على اختلاف مذاهبهم تكفير علي، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، أو صوّب الحكمين، أو أحدهما، والخروج على السلطانِ الجائر... ولم يُرضِ ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب، والصواب ما حكاه أبو الحسن عنهم وقد أخطأ الكعبي في دعواه إجماع

---

(1) انظر: التفصيل في هذا المبحث الخامس من الفصل الأول من الباب الأول من هذه الرسالة.
(2) الملل والنحل للشهرستاني، 114/1، وذكر جميع الفرق بالتفصيل لمذهب كل فرقة.
(3) الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، ص24،وذكر أسماء الفرق،ص24،وص73.
(4) الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، 115/1.
(5) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 335/3، وانظر الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة للجطيلي، ص58-60.
(6) الملل والنحل للشهرستاني، 115/1.

الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم، وذلك أن النجدات من الخوارج لا يكفّرون أصحاب الحدود من موافقيهم، وقالت النجدات: إن صاحب الكبيرة من موافقيهم كافرٌ بنعمة وليس فيه كفرُ دين[1].

قال عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي: إن المُحَكِّمة الأولى من الخوارج قالوا: بتكفير علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وأصحاب الجمل، وبتكفير معاوية، والحكمين، وأصحاب الذنوب من هذه الأمة وما زادوا على ذلك، حتى ظهرت الأزارقة منهم، فزعموا أن مخالفيهم مشركون، وكذلك أهل الكبائر من موافقيهم، واستحلّوا قتل النساء والأطفال من مخالفيهم، وزعموا أنهم مخلّدون في النار[2].

وما تمسَّك به الخوارج والمعتزلة وأمثالهم، من التشبّث بنصوص الكفر والفسوق الأصغر، واستدلالهم به على الأكبر فذلك مما جنته أفهامهم الفاسدة، وأذهانهم البعيدة، وقلوبهم الغلف، فضربوا نصوص الوحي بعضها ببعض، واتّبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

فقالت الخوارج: المُصِرُّ على كبيرة من زنا، أو شرب خمر، أو رباً، كافر مرتدّ خارج من الدين بالكلية، لا يُصلّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولو أقرّ لله تعالى بالتوحيد، وللرسول ﷺ بالبلاغ، ولو صلى وصام، وزكّى، وحجّ، وجاهد، وهو مخلّد في النار أبداً مع إبليس، وجنوده، ومع فرعون، وهامان، وقارون[3].

وفسرّوا الآيات القرآنية بما يؤيّد قولهم في تكفير من يرتكب الكبائر مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**﴾[5]. قالوا: قالوا: فلم يجعل الله منزلة ثالثة تقع وسطاً بين الكفر والإيمان، ومن كفر وحبط عمله فهو مشرك، والإيمان رأس الأعمال، وأول الفرائض... ومن ترك ما أمره الله به فقد حبط عمله، وإيمانه، ومن

---

(1) الفرق بين الفِرق، ص73-74.
(2) أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ص332.
(3) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، 420/2.
(4) سورة المائدة، الآية: 5.
(5) سورة التغابن، الآية: 2.

حبط عمله فهو بلا إيمان، والذي لا إيمان له مشرك كافر[1].

ومما تمسّك به الخوارج قوله ﷺ: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**))[2]، ويأتي الرّدّ عليهم إن شاء الله في فصل مناقشة الآراء[3].

المبحث الثاني: المعتزلة ورأيهم

وأما القدرية المعتزلة عن الحق، فقد افترقت عشرين فرقة كل فرقة منها تُكَفِّر سائرها، يجمعها كلها في بدعتها أمور: منها اتفاقهم على دعواهم في أن الفاسق من أمة الإسلام يكون في منزلة بين المنزلتين[4].

وسبب تسمية المعتزلة أنه دخل واحد على الحسن البصري[5] فقال:

يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يُخرج به عن الملة - وهم وعيدية الخوارج - وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان. ولا يضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة - وهم مرجئة الأمة - فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

فتفكّر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول: إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من

---

(1) الخوارج، الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم، ص30.

(2) متفق عليه، البخاري، كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، برقم 2475، ومسلم، واللفظ له، كتاب الإيمان، با ب نقصان الإيمان بالمعاصي، برقم 57.

(3) انظر المبحث الأول من الفصل الثاني من الباب الثالث.

(4) الفرق بين الفرق، ص24، وساق أسماء الفرق فقال: الواصلية، والعمْرَوية، والهُذَلية، والنَّظَّامية، والمردارية، والعُمَرية، والبشرية، والثُّمامِيّة، والجاحظية، والأسوارية، والإسكافية، والجعفرية، والخياطية، والشحامية، والهشامية، وأصحاب صالح قبة، والمريسيّة، والكعبية، والجُبّائية، والبهشمية المنسوب إلى أبي هاشم بن الجُبَّائي. الفرق بين الفرق، ص114، وص24، وانظر الملل والنحل للشهرستاني، 43/1-85.

(5) توفي الحسن البصري سنة 110هـ.

أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسُمّي هو وأصحابه معتزلة[1].

والمعتزلة هم: نُفاة الصفات، قالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته... إلخ، ويتفق مذهبهم مع مذهب الخوارج في حكم العصاة في الآخرة، وهو القول بخلود العصاة في النار، أما في الدنيا فلا يستحلّون شيئاً من دماء وأموال الفسقة - كما تفعل الخوارج - لكنهم اتفقوا مع الخوارج في إخراجهم من الإيمان واختلفوا معهم في دخولهم في الكفر، فقالت المعتزلة: خرجوا من الإيمان، ولم يدخلوا في الكفر، فهم في منزلة بين المنزلتين. أما الخوارج فيُخرجون الفساق من الإيمان، ويُدخلونهم في الكفر بمجرد الكبيرة[2]، أما المعتزلة فيقولون: العصاة ليسوا مؤمنين ولا كافرين، ولكن نُسمّيهم فاسقين، فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين، ولكنهم لم يحكموا للفاسق بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين، بل قضوا بتخليده في النار أبداً كالخوارج، فوافقوا الخوارج مآلاً، وخالفوهم مقالاً، وكان الكلّ مخطئين ضلالاً[3]. فالمعتزلة قرّروا أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، ومخلّد في النار يوم القيامة ما لم يتب[4].

ومن أدلّة المعتزلة على أنّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[5].

فلا يجوز - على ملحظ القاضي عبد الجبار - أن يكون الرسول ﷺ رؤوفاً رحيماً بمن يقيم عليه الحدّ من أهل الكبائر، وبمن يلعنه، وكذلك يحتجّ المعتزلة... بجملة من الأحاديث منها قوله ﷺ: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو**

---

(1) الملل والنحل للشهرستاني، 48/1.
(2) الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة للجطيلي، ص59، وشرح العقيدة الطحاوية، ص356.
(3) معارج القبول بشرح سلم الوصول في التوحيد، 421/2.
(4) موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، ص140، ط 99، دار اللواء.
(5) سورة التوبة، الآية: 128.

مؤمن))[1].

وقوله ﷺ: ((**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**))[2].

أمّا أدلّة المعتزلة فيما ذهبوا إليه من تأبيد العقاب في النار لأصحاب المعاصي فمنها قول الرسول ﷺ: ((**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردّى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**))[3].

وقوله ﷺ: ((**يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه**))[4]، ويأتي الرّدّ على المعتزلة فيما ذهبوا إليه إن شاء الله في فصل المناقشة لمذهبهم ومذهب غيرهم[5].

المبحث الثالث: الشيعة ورأيهم

وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه[6].

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، برقم 57.

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، 135/3، وأبو يعلى في مسنده، برقم 2863، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 7179.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس، برقم 1363، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، برقم 109، واللفظ له.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، برقم 6544، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، والنار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم 2850، واللفظ له.

(5) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الرسالة.

(6) الملل والنحل للشهرستاني، 146/1، وقال البغدادي في كتابه ((الفرق بين الفرق)) ص21: وأما الرافضة فإن السبئية منهم أظهروا بدعتهم في زمان علي ﷺ فقال بعضهم لعلي: أنت الإله فأحرق علي قوماً منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن،

وهم الذين شايعوا عليّاً ﷺ على الخصوص وقالوا: إنّ عليّاً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقّهم بالإمامة وولده من بعده[1].

وقالوا بإمامته وخلافته، نصّاً ووصاية، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: وليست الإمامة قضية مصلحية، تناط باختيار العامّة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة... ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبائر، والصغائر، والقول بالتولّي، والتبرّؤ قولاً، وفعلاً، وعقداً، إلا في حالة التقية، ويخالفهم بعض الزيدية[2].

وكان مبدأ مذهب الشيعة على يد زعيمهم - الخبيث - عبد الله بن سبأ اليهودي المتظاهر بالإسلام، وهو منافق حاقد، حيث كان أول من أظهر الطعن في أبي بكر، وعمر، وعثمان صهر رسول الله ﷺ، ومن ذلك اليوم إلى يومنا هذا والشيعة بهذه العقيدة وتمسكوا بها، والتفّوا حولها، فالذي لا يبغض خلفاء رسول الله ﷺ الثلاثة ليس عندهم بشيعي، أي لا يحب عليّاً عندهم.

وخلاصة القول في مذهب الشيعة: هو الطعن في أصحاب النبي ﷺ، بل في كبار الصحابة رضي الله عنهم، وإليك أمثلة لذلك من كتبهم:

1- الطّعن في أبي بكر رضي الله عنه: روى الكشي عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر أن محمد بن أبي بكر بايع عليّاً عليه السلام على البراءة من أبيه[3].

ومن الشيعة الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما سألوه عن أبي بكر وعمر فأثنى عليهما خيراً،فرفضوه عند ذلك،فسمّوا رافضة،

وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام لتسميتهم عليّاً إلهاً. ثم افترقت الروافض بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة، وافترقت الزيدية فرقاً، والإمامية فرقاً، والغلاة فرقاً، وكل فرقة منها تكفر سائرها وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام فأما فرق الزيدية، وفرق الإمامية فمعدودون في فرق الأمة.

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، 113/2، والملل والنحل للشهرستاني، 146/1.

(2) الملل والنحل للشهرستاني، 146/1.

(3) الشيعة والسنة، ص32.

وهم يسبون الصحابة ويلعنونهم،وقد يغلو البعض في علي بن أبي طالب ﷺ[1].

2- الطعن في عمر: ومن طعن الشيعة في عمر الفاروق ﷺ يكذب ابن بابويه القمي الشيعي على الفاروق ويقول: ((قال عمر حين حضره الموت: أتوب إلى الله من ثلاث: اغتصابي هذا الأمر، أنا وأبو بكر من دون الناس، واستخلافه عليهم، وتفضيل المسلمين بعضهم على بعض، ويذكر علي بن إبراهيم القمي الذي هو عندهم ثقة في الحديث، معتمد صحيح المذهب في تفسيره تحت قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً** ﴾[2]، قال أبو جعفر: الأول (يعني أبا بكر) يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول عليّاً وليّاً، ((يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً)) يعني الثاني (عمر))[3].

روى الكليني عن أبي عبد الله في قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً** ﴾[4]، قال: نزلت في فلان وفلان.. آمنوا بالنبي ﷺ في أول الأمر، وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي ﷺ: ((من كنت مولاه فعليٌّ مولاه))، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ثم كفروا حيث قضى رسول الله ﷺ فلم يقرّوا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء! وبيّن شارح الكافي أن المراد من فلان وفلان... أبو بكر، وعمر، وعثمان، وكذبوا قاتلهم الله!

3- طعنهم في بقية أصحاب النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين، فلم يكتفِ الشيعة بالطعن والتعريض في رحماء رسول الله ﷺ، بل تطرقوا إلى أعراض آل النبي ورفقته الكبار، وخاصة الذين هاجروا في سبيل الله وجاهدوا في الله حقّ جهاده، ونشروا دينه الذي ارتضى لهم، ناقمين، وحاسدين جهودهم المشكورة، فهاهم يسبّون حتى عمّ النبي ﷺ العباس ... وابنه عبد الله بن العباس، حبر

(1) الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة، ص59.
(2) سورة الفرقان، الآية: 27.
(3) الشيعة والسنة، ص34-35، وذكر تأويلات غير ما ذكر هنا، نسأل الله العافية.
(4) سورة النساء، الآية: 137.

الأمة، وترجمان القرآن... وطعنوا في سيف الله خالد بن الوليد، وطعنوا في عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة ﷺ (أجمعين) وطعنوا كذلك في طلحة والزبير، اللذين هما من العشرة المبشرين بالجنة، وقد قال النبي ﷺ: ((**أوجب طلحة**))[1]، يعني الجنة. وقال النبي ﷺ في الزبير: ((**إن لكل نبي حوارياً وحواريِّ الزبير**))[2]، وطعنوا في أنس بن مالك والبراء بن عازب ﷺ. وطعنوا في أزواج النبي ﷺ، وخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي المبرأة من فوق سبع سموات، وأخيراً كفَّروا جميع الصحابة عامّة. هذه هي عقيدة القوم من أولهم إلى آخرهم كما رسمها اليهود لهم، حتى صار دينهم الذي يدينون به دين الشتائم والسّباب، ولكنهم لم يكتفوا بالسّباب والشتائم على عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ، بل هوت بهم الهاوية حتى كفَّروا جميع أصحاب رسول الله ﷺ إلا النادر منهم، فهذا هو الكشي أحد صناديدهم يروي عن أبي جعفر أنه قال: كان الناس أهل ردّة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. وذلك قول الله ﷻ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[3]، ويروى عن أبي جعفر أيضاً أنه قال: ((المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا وأشار بيده إلا ثلاثة))[4].

فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ومما افتراه عليه الظالمون من تحريف لآياته، والاستدلال بها على تكفير أوليائه الذين قال فيهم سبحانه: ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ**

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب طلحة بن عبيد الله ﷺ، برقم 3738.وأحمد في المسند،165/1،وأبو يعلى في المسند،2/ 33،برقم 670،والحاكم في المستدرك،3/ 25، 374، وقال: ((صحيح على شرط مسلم))، ووافقه الذهبي، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن غريب))، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم 945.

(2) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، برقم 2846، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، برقم 2415.

(3) سورة آل عمران، الآية: 144.

(4) الشيعة والسنة باختصار شديد مع بعض التصرف، من ص29-50.

خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[1].

وقال تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**[2].

وأصل قول الرافضة: إن النبي ﷺ نصّ على علي نصّاً قاطعاً للعذر، وإنه إمام معصوم ومن خالفه كفر، وإن المهاجرين والأنصار كتموا النصّ، وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم وبدّلوا الدين، وغيّروا الشريعة، وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلا نفراً قليلاً، إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر، ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وأكثرهم يكفرون من خالف قولهم، ويسمّون أنفسهم المؤمنين، ومن خالفهم كفاراً، ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهر فيها أقوالهم دار ردّة أسوأ حالاً من مدائن المشركين والنصارى؛ ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين... ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق، كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم، ولا ريب أنهم أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسنة؛ ولهذا كانوا هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة، فجمهور العامة لا تعرف ضدّ السني إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سني، فإنما معناهُ لست رافضياً[3]، وسيأتي الرّدّ عليهم إن شاء الله في فصل المناقشة[4].

المبحث الرابع: المرجئة ورأيهم

الإرجاء على معنيين: أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: **﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاه ﴾**[5] أي أمهله وأخّره.

والثاني إعطاء الرجاء: أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأوّل فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخّرون العمل عن النّيّة

---

(1) سورة البينة، الآية: 8.
(2) سورة التوبة، الآية: 100.
(3) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 356/3.
(4) انظر: المبحث الثالث من الفصل الثاني من الباب الثالث من هذه الرسالة.
(5) سورة الأعراف، الآية: 111.

والعقد، أي يؤخرون العمل عن مُسمّى الإيمان، وأما المعنى الثاني فظاهر؛ فإنهم كانوا يقولون: لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة[1].

والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة وهم فرق[2].

وهم قوم يقولون: لا يضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالوا: لا يدخل النار أحد دون الكفر بالكلية. ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد، وبين إيمان أبي بكر وعمر، ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين إذ الكلّ ينطق بالشّهادتين نسأل الله العافية فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف آخر[3].

فالمرجئة قالوا: لا نُكفّر من أهل القبلة أحداً، فنفوا التكفير نفياً عامّاً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى، بالكتاب، والسنة، والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين، فلا

---

(1) الملل والنحل للشهرستاني، 139/1.

(2) الملل والنحل للشهرستاني، 139/1. وقال البغدادي في كتابه ((الفرق بين الفرق)): وأما المرجئة فثلاثة أصناف: صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذهب القدرية، فهم معدودون في القدرية وفي المرجئة، وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان، وبالجبر في الأعمال على مذهب جهم بن صفوان، فهم من جملة الجهمية والمرجئة، وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قدر وهم خمس فرق: يونسية، وغسانية، وثوبانية، وتومنية، ومريسية. وهذه الفرق الخمس تضلل كل فرقة منها أختها ويضللها سائر الفرق. انظر: الفرق بين الفرق، ص202، وص25. وزاد الشهرستاني: العُبيدية، والصالحية، فأصبحت فرق المرجئة الخالصة سبع فرق. انظر: الملل والنحل للشهرستاني، 139/1. أما الإرجاء الذي نسب إلى مرجئة الفقهاء كحماد بن سلمة وكأبي حنيفة وغيره من الأئمة من أهل الكوفة، وهو قولهم: إن الأعمال ليست من الإيمان، ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السنة على أن الله يعذب من يشاء من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها. وعلى أنه لا بد في الإيمان من نطق باللسان، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة يستحق مع تركها الذم والعقاب، فهذا النوع من الإرجاء ليس كفراً. وإن كان قولاً باطلاً مبتدعاً لإخراجهم الأعمال عن الإيمان.انظر: فتاوى ابن تيمية،297/7،و507/7، وشرح العقيدة الواسطية للهراس، ص129، وانظر أيضاً: تعليق الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز على العقيدة الطحاوية، ص19-20، فقد قال: إخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة، وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظيّاً بل هو لفظي ومعنوي، ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبّر كلام أهل السنة وكلام المرجئة، والله المستعان.

(3) معارج القبول، 421/2، والأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة، ص58.

خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك فإنه يُستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتدّاً[1]، ومذهب المرجئة موافق لمذهب الجهمية بأن الدين واحد لا يزيد ولا ينقص، فإيمان أفسق الناس كإيمان أطوعهم لله، والإيمان في مذهب المرجئة هو مجرد التصديق[2]، وسيأتي الرّدّ عليهم إن شاء الله في فصل المناقشة[3].

الفصل الثاني: مناقشة الآراء السابقة وتقرير الحق بالدليل

المبحث الأول: مناقشة الخوارج

1- الرّدّ على الخوارج: وقد ردّ النّسفي بردود يستمدّها من نصّ الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾[4]، فالتوبة النصوح لا تكون إلا من الكبيرة، كما يستمدّ حججاً أخرى من أحاديث الرسول ﷺ، أما تفسير الحديث: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**))[5]، فقال النووي رحمه الله: ((القول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله، ومختاره كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة))[6].

ومن أخطاء الخوارج عدم التفرقة بين الكبائر والصغائر من الأفعال بينما فرق الله تعالى بقوله: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**﴾[7]. فالخوارج إذن، إن حاولوا حجة في تكفير الأمة لم يجدوا، وإن جعلوا الذنوب

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ص355.
(2) الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة، ص 59.
(3) انظر: المبحث الثالث من الفصل الثاني من الباب الثالث.
(4) سورة التحريم، الآية: 8.
(5) أخرجه البخاري في كتاب المظالم،باب النهبى بغير إذن صاحبه،برقم 2475،ومسلم في كتاب الإيمان،باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله،برقم 57.
(6) شرح مسلم للنووي، 41/1.
(7) سورة النساء، الآية: 31.

كلها كبائر، لم يجدوا إلى الحجة سبيلاً من عقل ولا سمع[1].

ولا بد أن يُفرّق بين الكبائر والصغائر:

الكبائر: اختلف في حدّ الكبيرة على أقوال، أمثلها: أنها ما يترتب عليها حدّ في الدنيا، أو توعّد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب.

الصغائر: قيل: الصغيرة، ما ليس فيها حدّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الخاص بالنار، أو اللعنة أو الغضب[2].

ويردّ على الخوارج ومن وافقهم الذين يسلبون عن أهل الكبائر الإيمان من الكتاب قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[3]، فلم يخرج تبارك وتعالى القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوّة الدين بلا ريب.

2- قال تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾[4].

3- وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾[5]. ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدلّ على أن الزاني، والسارق، والقاذف، لا يقتل، بل يُقام عليه الحدّ، فدلّ على أنه ليس بمرتدّ[6].

أما الردّ على الخوارج ومن وافقهم في قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار فهو كما قال الطحاوي رحمه الله: «وأهل الكبائر... في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحّدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمته، إن شاء غفر لهم

---

(1) الخوارج والأصول التاريخية لمسألة تكفير لمسلم، ص31.
(2) شرح العقيدة الطحاوية، ص418.
(3) سورة البقرة، الآية: 178.
(4) سورة الحجرات، الآية: 9.
(5) سورة الحجرات، الآية: 10.
(6) شرح العقيدة الطحاوية، ص361.

وعفا عنهم، بفضله كما ذكره ﷻ في كتابه: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[1]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى الجنة[2].

وقال النبي ﷺ: ((**من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قالوا وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى**))[3]، وقد تواترت بذلك الأحاديث.. قال النبي ﷺ: ((**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**))[4].

وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات.

المرة الأولى: يخرج من النار بشفاعته - بعد إذن ربه له كما صرَّح بذلك القرآن - من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ((**.. فأخرجْ منها من كان في قلبه مثقال حبة من بُرّة أو شعيرة من إيمان**)).

والمرة الثانية: يخرج من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان.

والمرة الثالثة: يخرج من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان.

والمرة الرابعة: يخرج منها من قال لا إله إلا الله. فيقول الله ﷻ: ((**وعزّتي وجلالي، وكبريائي، وعظمتي، لأُخرجَنَّ منها من قال: لا إله إلا الله**))[5].

---

(1) سورة النساء، الآية: 48، و116.
(2) شرح العقيدة الطحاوية، ص416.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب في الجنائز، برقم 1237، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، برقم 94.
(4) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الشفاعة، برقم 4739، وأحمد، 213/3، والحاكم، 2/ 382، وقال: ((على شرط الشيخين))، وقال الذهبي: ((على شرط مسلم))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم 3714.
(5) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم 188/ 326.

اعتراض على عقيدة أهل السنة والجماعة ومناقشة هذا الاعتراض

1- قد يقال: إنّ الشارع قد سَمَّى بعض الذنوب كفراً كما قال النبي ﷺ: ((**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**))[1].

2- وقوله ﷺ: ((**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**))[2].

3- وقوله ﷺ: ((**من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ... فقد كفر بما أُنزل على محمد**))[3]، ونظائر ذلك كثيرة، والجواب:

إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة، لا يُكفَّر كفراً ينقل عن الملة بالكليّة كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتدّاً يُقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تُجرى الحدود في الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وهذا قول معلوم بطلانه، وفساده بالضرورة من دين الإسلام. ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين؛ فإنَّ قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾[4]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد: أخوّة الدين لا ريب[5].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان،باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر،برقم 48، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، برقم 64.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم 6103، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، برقم 60.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، برقم 135، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن إتيان الحائض، برقم 639، والدارمي في كتاب الوضوء والصلاة، باب من أتى امرأة في دبرها، برقم 1141، وأحمد في المسند، 408/2، وهو صحيح كما قال الألباني في آداب الزفاف، ص31.

(4) سورة البقرة، الآية: 178.

(5) شرح العقيدة الطحاوية، ص360-361.

المبحث الثاني: مناقشة المعتزلة

قد تصدّى أهل الحديث للرّدّ على ضلالات المعتزلة، مستندين إلى ما صحّ في السنة النبوية من الأحاديث، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيُلقون في نهر الحيا أو الحياة** - شك مالك - **فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**))[1].

وإذا اعتبرت إقامة الحدّ كفارة لصاحبها، ومجزية عن إعلان التوبة، فإن غفران ذنب من لم يقم عليه حدّ ولم يتب يبقى رهن إرادة الله، وذلك مصداقاً لقوله ﷺ في عصابة من صحابته: ((**تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بهتاناً تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**)). قال الراوي: فبايعناه على ذلك. رواه البخاري عن عبادة بن الصامت ﷺ[2].

والمعتزلة القدرية بتشدّدهم في تخليد مرتكب الذنب في النار ما لم يتب، ينطبق عليهم المثل السائر - ولله المثل الأعلى -: (السيدُ يُعطي، والعبد يمنع)؛ لأن الله تعالى يصرّح بالمغفرة للمصرّ على الكبائر إن شاء، وهم يدفعون في وجه هذا التصريح، ويُحيلون المغفرة بناء على قاعدة الأصلح والصلاح التي هي بالفساد أجدر وأحق[3].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، برقم 22، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، برقم 184.

(2) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة، برقم 3892، ومسلم في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، برقم 1709.

(3) موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، ص148.

أما الرّدّ على المعتزلة في قولهم بأن صاحب الكبائر يكون في المنزلة بين المنزلتين فهو على النحو الآتي:

1- قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾[1]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخاً لوليّ القصاص، والمراد أُخوّة الدين بلا ريب.

2- قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾[2].

3- وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾[3]، وهذا ردّ على المعتزلة فإن الفاسق يدخل في اسم الإيمان.

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدلّ على أن الزاني، والقاذف، والسارق، لا يُقتل بل يُقام عليه الحدّ، فدلّ على أنه ليس بمرتدّ[4].

وقد تقدمت الأدلّة القطعية من الكتاب والسنة - في مناقشة مذهب الخوارج - على أن أصحاب الكبائر من أهل القبلة لا تُخرجهم هذه الكبائر من الإسلام إن لم يستحلّوها، فإن تابوا قبل الموت تاب الله عليهم، وإن ماتوا بإصرارهم على هذه الكبائر فأمرهم إلى الله إن شاء أدخلهم الجنة من أول وهلة، وإن شاء عذبهم، ثم يخرجهم برحمته، ثم بشفاعة الشافعين من أهل طاعته.

المبحث الثالث: مناقشة الشيعة

لقد قال الشيعة في أصحاب رسول الله ﷺ ما لم ينزل الله به من

---

(1) سورة البقرة، الآية: 178.
(2) سورة الحجرات، الآيتان: 9- 10.
(3) سورة الأنفال، الآية: 2.
(4) شرح العقيدة الطحاوية، ص361.

سلطان، بل قد جاء في فضائل صحابة رسول الله ﷺ ما يدحر ويُخزي هؤلاء الذين قالوا على الله بغير علم، فهم في قولهم هذا خالفوا الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة ومن بعدهم، فقد قال رسول الله ﷺ: ((**لا تسبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**))[1].

وصحابة رسول الله ﷺ قد مدحهم الله في كتابه الكريم، وأثنى عليهم في مواضع كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾[3].

وورد في فضائل الصحابة ما لا يُحصى من الآثار والأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه بسنده قال رسول الله ﷺ: ((**النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**))[4].

2- وسئل النبي ﷺ من أحبّ الناس إليك؟ قال: ((**عائشة**))، قلت: من الرجال؟ قال: ((**أبوها**))، قلت: ثم من؟ قال: ((**ثم عمر بن الخطاب**))، فعدّ رجالاً[5].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، برقم 3673، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ، برقم 2541.

(2) سورة البينة، الآية: 8.

(3) سورة الأنفال، الآية: 74.

(4) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، برقم 2531، قال محمد فؤاد عبد الباقي نقلاً عن النووي في معنى (النجوم أمنة السماء): إن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت، وانشقت وذهبت.

(5) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ:لو كنت متخذاً خليلاً،برقم 3662، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ،برقم 2384.

3- وقال عليه الصلاة والسلام: ((**إن عبد الله رجل صالح**))[1]، يعني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فهؤلاء الصحابة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين مدحهم الله في كتابه، ومدحهم ودعا لهم بالمغفرة رسول الله ﷺ الناطق بالوحي، واحداً واحداً، وجماعةً جماعةً، ويمدحهم ويُثني عليهم كل من سلك مسلكه، واتبع سبيله من المؤمنين غير المنافقين من أبناء اليهود، والمجوس، الذين أكلت قلوبهم البغضاء والشحناء، والحسد عليهم لأعمالهم الجبَّارة في سبيل الله، وفي سبيل نشر هذا الدين الميمون المبارك، وكان هذا هو السبب الحقيقي لحنق الكفرة على هؤلاء المجاهدين، العاملين بالكتاب والسنة، وخاصة على أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم ، الذين قادوا جيوش الظفر، وجهزوا عساكر النصر، وكان سبب احتراق اليهود على المسلمين خاصة أنهم هدموا أساسهم وقطعوا جذورهم، واستأصلوهم استئصالاً، تحت راية النبي ﷺ، حين كان أسلافهم من بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، يقطنون المدينة، ومن بعد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في زمن عمر الفاروق رضي الله عنه؛ حيث نفَّذ فيهم وصية رسول الله ﷺ: ((**أخرجوا اليهود من جزيرة العرب**))[2]، وطهَّر جزيرة العرب من نجاستهم ودسائسهم، ولم يترك أحداً من اليهود في الجزيرة طبقاً لأمر رسول الله ﷺ[3].

4- وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم من بعد ذلك تسبق أيمانهم شهاداتهم، وشهاداتهم أيمانهم**))[4].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، برقم 3740، 3741، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، برقم 2478.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم، برقم 3053، ومسلم في كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، برقم 1637، وقال: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)) قال ابن حجر إن قوله: أخرجوا اليهود رواية الجرجاني، وقال: رواية أخرجوا المشركين..)) أثبت.

(3) السنة والشيعة، ص51-55 ببعض التصرف.

(4) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، برقم 2652، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم،

5- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه**))[1].

6- وقال النبي ﷺ: ((**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي**))[2].

7- وقد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان، فَعُلِمَ قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم**﴾[3].

8- وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً**﴾[4].

9- وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾[5]، فقد تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاَّه الله ما تولَّى وأصلاه جهنم[6].

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

برقم 2533.

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ:لو كنت متخذاً خليلاً،برقم 3673، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ، برقم 2541.

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة،باب قول النبي ﷺ:لو كنت متخذاً خليلاً،برقم 3656.

(3) سورة التوبة، الآية: 100.

(4) سورة الفتح، الآية: 18.

(5) سورة النساء، الآية: 115.

(6) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 1/4، و2.

المبحث الرابع: الرّدّ على المرجئة

الذين يقولون: لا يضرّ مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة. يُقال لهم: إن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب، والسنة، والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين، فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، أو المحرّمات الظاهرة، المتواترة، ونحو ذلك فإنه يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل كافراً مرتدّاً[1].

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله[2]: ((إن البخاري أورد الحديث الآتي، وأراد به الرّدّ على المرجئة لِمَا فيه من بيان ضرر المعاصي مع الإيمان، وعلى المعتزلة في قولهم: ((إن المعاصي موجبة للخلود في النار))، فلا يلزم من إطلاق دخول النار التخليد فيها[3]، والحديث هو: عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: ((**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيُخرجون منها قد اسودّوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة** - شكّ مالك - **فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**))[4].

وقال الله تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾[5]، فالتوبة من الشرك جعلها الله قولاً وعملاً بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.. والناس يتفاضلون بالأعمال وقال تعالى:
﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ** ﴾ [6] الآية، وقد بيّن النبي ﷺ أن الأعمال تدخل في مُسمّى الإيمان، فقال ﷺ:

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ص355.
(2) الفتح، 72/1.
(3) موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، ص148.
(4) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، برقم 22، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، برقم 184.
(5) سورة التوبة، الآية: 11.
(6) سورة التوبة، الآية: 5.

((الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))[1].

فمن قال: إن فرائض الله ليست من الإيمان فقد أعظم الفرية، ولو كان الأمر كما يقولون: كان من عصى الله وارتكب المعاصي والمحارم لم يكن عليه سبيل فكان إقراره يكفيه من العمل فما أسوأ هذا القول وأقبحه فإنا لله وإنا إليه راجعون[2].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، برقم 9، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الجهاد وكونه من الإيمان، برقم 35/ 85، واللفظ لمسلم.

(2) معارج القبول، 412/2.

الخاتمة: نتائج وثمرات البحث

تمّت بحمد الله تعالى هذه الرسالة بعد التّحرّي والتّدقيق قدر الإمكان، والموضوع جدير بالعناية والاهتمام؛ لِمَا له من الأهمية الكبيرة؛ ولخطورته على من قال فيه بغير علم.

أما أهم النتائج والثمرات لقضية التكفير فهي كثيرة، ومنها الثمرات الآتية:

1- إن الخروج على أئمة المسلمين حرام بالكتاب والسنة.

2- إن طاعة ولاة أمر المسلمين: من الولاة، والعلماء، والأمراء، في غير معصية الله: واجبة وجوباً لا شك فيه على الرعية بالمعروف.

3- إن كل من خرج على الإمام الذي اتفقت عليه الجماعة المسلمة، وكفَّر بالكبائر يسمى خارجيّاً، ويجب أن يطبق في حقّه الحكم الشرعي.

4- إنه ينبغي أن يعلم أن هناك أصولاً في التكفير لا بد من إتقانها، ومعرفتها حتى يكون طالب العلم على بصيرة من أمره.

5- إن معرفة ضوابط التكفير أمر مهمّ لطالب العلم الشرعي.

6- إن التكفير له موانع لا بدّ من معرفتها والعلم بها، فلا يكفّر المسلم عند أهل السنة إلا بعد تحقق الشروط، وانتفاء الموانع.

7- إن أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق الأخرى؛ سواء في قضية التكفير أم في غيرها، وقد قال الله تعالى في هذه الأمة: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[1].

8- إنَّ قضية التكفير هي حقّ الله ورسوله، فلا كافر إلا من كفّره الله ورسوله.

9- إنَّ الذي يُريد أن يحكم على أحد بالكفر لا بدّ له من التريث والتأني مرّات ومرّات خوفاً من القول على الله بغير علم؛ لأنه إذا حكم على إنسان بالكفر فلا بد أن تطبّق عليه أحكام المرتد (في الشريعة الإسلامية).

---

(1) سورة البقرة، الآية: 143.

10- إنَّ معتمد أهل السنة والجماعة في قضية التكفير: الكتاب، والسنة، والإجماع.

11- إنَّ الفِرق الأخرى المخالفة لأهل السنة والجماعة يختلفون بحسب أحوالهم ومقاصدهم، فمنهم من يكون كافرًا، ومنهم من يكون فاسقاً، ظالماً، ضالاً، ومنهم من يكون مخطئاً، وربما كان مغفوراً له، وقد بيّن ذلك فيما تقدّم ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رحمة الله عليهم.

12- إنَّ الشريعة الإسلامية لا تحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر إلا بعد أن يُبيَّن له، ويوجه إلى الحق بالدليل وبالتبيين وإزالة الشبه العالقة بالأذهان الفاسدة، فإذا أصرّ على ما هو عليه من الكفر والنفاق فعند ذلك لابدّ من العلاج النّاجع، وهو ما ورد في الشريعة من أحكام المرتدّ، يُستتاب فإن تاب وإلاّ قُتل كافراً مرتدّاً.

13- معرفة الحقّ بدليله، وأنّ الفرقة النّاجية هم أهل السنة والجماعة لِمَا تقدّم من الأدلّة، وأنّ ما عداهم ليسوا على الحقّ، بل هم على حسب أحوالهم كما تقدّم.

14- العلم بأن الحق والباطل دائماً بينهما صراع مستمر، ولكن - ولله الحمد - الغلبة في النهاية للحقّ، أمّا الباطل فيذهب ويتلاشى، بينما الحق ثابت لا يتزعزع.

15- التمييز بين الكلمات الآتية:

* الكفر، * النفاق، * الفسوق
* الظلم، * الشرك، * البدعة.

فإن كلاً من هذه الأمور ينقسم إلى قسمين:

(أ) أكبر يُخرج من الملّة، ويخلد صاحبه في النار.

(ب) أصغر لا يخرج من الملّة، وصاحبه تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وأدخله الجنة ابتداءً، وإن شاء عاقبه مدّة لا يعلمها إلا هو سبحانه، ثم يخرجه من النار، ويدخله الجنة برحمته، ثم بشفاعة الشافعين من أهل طاعته.

16 - معرفة خطورة الانحراف عن المنهج الشرعي وما يترتب على ذلك من أحكام.

هذا وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل عملي هذا متقبلاً خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً، مباركاً، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الرسالة الثالثة عشرة: تبريد حرارة المصيبة

عند موت الأحباب وفقد ثمرات الأفئدة وفلذات الأكباد

تمهيد:

كتبتُ أصل هذه الرسالة في يوم 1417/7/21هـ عندما فقد بعض الإخوة الأحباب بعض أولاده، أعظم الله أجره على مصابه، ولا حرمه جزيل ثوابه، وألهمه التسليم لأمره، والرضى بالقضاء: حلوه، ومرّه، وأخلف عليه من مصابه أحسن الخلف بمنّه وكرمه، وقد جمعت فيها بعض الآيات والأحاديث وأرسلتها إليه؛ لتبرِّد حرّ مصيبته، ويحتسب ويصبر، ثم كنت بعد ذلك أرسلها إلى كل من بلغني أنه مات له أحد من أولاده في مناسبات عديدة ولله الحمد، ثم تكررت المناسبات العظام في الابتلاء والمحن، والمصائب الجسيمة، لكثير من الأحباب، جبر الله **مصيبة كلّ مسلمٍ مُصاب**، فرأيت أن أضيف إليها بعض الآيات والأحاديث؛ ليبرِّد بها كلُّ مسلمٍ مصابٍ حرارة مصيبته، وخاصة من أصيب بثمرات الأفئدة وفلذات الأكباد[1].

وأرجو الله ﷻ أن يفتح قلوب الأحباب لاقتناء هذه الرسالة ثم إهدائها لمن أصابته مصيبة بفقد فلذات الأكباد، وثمرات الأفئدة، أو موت الأحباب تعزيةً لهم وتبريدًا لحرارة مصيبتهم، ويبشّر بالأجر؛ لحديث عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: ((**ما من مؤمن يعزِّي أخاه بمصيبةٍ إلا كساه الله سبحانه من حلل الكرامة يوم القيامة**))[2].

ولا شك أن المسلم المصاب إذا قرأ هذه الآيات والأحاديث انشرح صدره، وبردت حرارة مصيبته، وفُرِّج كربه، وقد قال النبي ﷺ: ((**من نفّس عن مُؤمنٍ كربة من كُربِ الدنيا نفّس الله عنه**

---

(1) قد ألف في هذا الباب:كتاب برد الأكباد عند فقد الأولاد،للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي (777هـ-842هـ)، وكتاب: تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد، للشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن السعدية الحلبي المتوفى سنة 660هـ. ذكر ذلك الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في مقدمته لبرد الأكباد؛ لابن ناصر الدين، ص5، نشر دار الأرقم بالرياض، وتوزيع مؤسسة الجريسي بالرياض.

(2) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عزّى مصابًا، برقم 1601، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، 267/1، وفي إرواء الغليل برقم 764.

كربةً من كرب يوم القيامة))[1].

ولله دَرُّ القائل:

الصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وإليك بيان ما أردت بيانه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعيد بن علي بن وهف القحطاني إلى كُلِّ مسلمٍ مُصابٍ بمصيبةِ موت الأحباب، أو فقد فلذات الأكباد، وثمرات الأفئدة، جبر الله مصيبتهم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فالله أسأل أن يُحسن عزاءكم، وأن يجمعكم ومن فقدتم في الفردوس الأعلى من الجنة، واعلموا ((**أن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فاصبروا واحتسبوا**))[2]، وأبشروا بما وعد الله عباده المؤمنين الصابرين، وإليكم ما تطمئنُّ به قلوبكم، ويُبرِّد حرّ مصيبتكم العظيمة، ويشرح صدوركم، ويذهب همومكم وغمومكم من كلام ربكم الكريم، الحكيم، الرؤوف، الرحيم، الذي هو أرحم بالعباد من والديهم، ومن كلام نبيكم وقدوتكم وحبيبكم محمد ﷺ:

1- صلوات الله ورحمته وهدايته للصابرين: قال الله تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لله وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾**[3].

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ أي: بشرهم بأنهم يُوفَّوْن أجورهم بغير حساب، فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: **﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾**، وهي

---

(1) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم 2699.

(2) انظر: مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم 923.

(3) سورة البقرة، الآيات: 155 - 157.

كلّ ما يُؤلم القلب أو البدن، أو كليهما، كما تقدم في الآيات، ومن ذلك **موت الأحباب، والأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ ﴾** أي مملوكون لله، مُدَبَّرون تحت أمره، وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأولادنا، وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء فقد تصرَّف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد: علمه بأن وقوع البلِيَّة من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه ووالدته، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره؛ لِمَا هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفرًا عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر **﴿أُولَـئِكَ ﴾** الموصوفون بالصبر المذكور **﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾** أي ثناء من الله عليهم **﴿وَرَحْمَةٌ ﴾** عظيمة، ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر **﴿وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾** الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به، وهو هنا: صبرهم لله[1].

قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: ((**نعم العدلان ونعمة العلاوة ﴿أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾، فهذان العدلان، ﴿وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾**، فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا))[2].

2- الاستعانة بالصبر من أسباب السعادة، قال الله تعالى: **﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾**[3].

3- محبّة الله للصابرين، قال عز وجل: **﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾**[4].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي، ص76، وتفسير ابن كثير، ص135.
(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص135، وهو في صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، الباب رقم 42، قبل الحديث رقم 1302.
(3) سورة البقرة، الآية: 45.
(4) سورة آل عمران، الآية: 146.

4- معيَّة الله مع الصابرين: قال الله ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾**[1].

5- استحقاق دخول الجنة لمن صبر، قال الله تعالى: **﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا ﴾**[2].

6- الصابرون يُوفَّون أجرهم بغير حساب، فلا يُوزن لهم، ولا يُكال لهم، إنما يُغرف لهم غرفًا، وبدون عدٍّ ولا حدٍّ، ولا مقدار[3]، قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾**[4].

7- جميع المصائب مكتوبة في اللوح المحفوظ، من قبل أن يخلق الله الخليقة ويبرأ النسمة، وهذا أمر عظيم لا تُحيط به العقول؛ بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير[5]، قال الله ﷻ: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ *، لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾**[6].

8- ما أصاب من مصيبة في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم إلا بقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علمه، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، فإذا آمن العبد أنها من عند الله فرضي بذلك وسلَّم لأمره، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، ويهدي الله قلبه فيطمئن ولا ينزعج عند المصائب، ويرزقه الله الثبات عند ورودها، والقيام بموجب الصبر فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدَّخره الله له يوم الجزاء من الثواب[7]، قال الله تعالى: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾**[8]، قال علقمة عن عبد الله: **﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ**

---

(1) سورة البقرة، الآية: 153.
(2) سورة الفرقان، الآية: 75.
(3) تفسير ابن كثير، ص1511، وتفسير السعدي، ص721.
(4) سورة الزمر، الآية: 10.
(5) تفسير ابن كثير، ص1313، وتفسير السعدي، ص842.
(6) سورة الحديد، الآيتان: 22- 23.
(7) تفسير السعدي، ص867.
(8) سورة التغابن، الآية: 11.

يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ هو الرجل الذي إذا أصابته مصيبة رضي بها وعرف أنـها من الله))[1].

وما أحسن ما قال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى:

سبحان من يبتلي أناسًا أحبَّهم والبلاءُ عطاءُ

فاصبرْ لبلْوى وكن راضيًا فإن هذا هو الدواءُ

سلِّمْ إلى الله ما قضاه ويفعل الله ما يشاء[2]

9- الله تعالى يجزي الصابرين بأحسن ما كانوا يعملون، قال تعالى:

﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ قسمٌ من الرب تعالى مؤكد باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة؛ فإن الله لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً، أي ويتجاوز عن سيئاتهم[3]، ولله دَرُّ أبي يعلى الموصلي القائل:

إني رأيت وفي الأيام تجربةٌ للصبر عاقبةٌ محمودةُ الأثرِ

وقلّ من جدَّ في أمر يحاولُه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر[4]

10- ما يُقال عند المصيبة والجزاء والثواب والأجر العظيم على ذلك، فعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنـها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

((**ما من عبدٍ تُصيبه مصيبةٌ فيقول: إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجُرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها، إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها**)) قالت أم سلمة، فلما توفي أبو سلمة رضي الله عنه قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيراً منه رسولَ الله ﷺ، وفي لفظ: ((**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما**

(1) البخاري، كتاب التفسير، سورة التغابن، بعد الحديث رقم 4907.

(2) برد الأكباد عند فقد الأولاد، للحافظ المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي (777-842هـ)، ص12.

(3) تفسير ابن كثير، ص753، وتفسير السعدي، ص449.

(4) انظر: الصبر الجميل لسليم الهلالي، 15- 16.

أمره الله: ((**إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجُرْني في مصيبتي واخلِفْ لي خيرًا منها...**)) الحديث))[1]. وفي لفظ ابن ماجه: ((**إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي، فأجُرْني فيها، وعوِّضني خيرًا منها**))[2].

وحديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمّوه بيت الحمد**))[3].

قال ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى:

يجري القضاء وفيه الخير نافلة لمؤمن واثق بالله لا لاهي

إن جاءه فرحٌ أو نابه ترحٌ في الحالتين يقول الحمد لله[4]

11- الأجر العظيم والثواب الكثير والفوز بالجنة لمن مات حبيبه المصافي فصبر، وطلب الأجر من الله تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ((**ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**))[5]، قوله: ((جزاء)) أي ثواب وقوله: ((**إذا قبضت صَفِيَّه**)) وهو الحبيب المصافي: كالولد، والأخ، وكل ما يحبه الإنسان، والمراد بالقبض قبضِ روحه وهو الموت.. وقوله: ((**ثم احتسبه إلا الجنة**))، والمراد: صَبَر على فقده راجيًا من الله الأجر والثواب على ذلك. والاحتساب: طلب الأجر من الله تعالى خالصًا.

ووجه الدلالة من هذا الحديث ((أن الصفيَّ أعمّ من أن يكون ولدًا أم غيره، وقد أفرد ورتّب الثواب بالجنة لمن مات له فاحتسبه))[6].

---

(1) مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم 918.
(2) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، برقم 1598، وصححه الألباني، في صحيح ابن ماجه، 267/1، وأصله في صحيح مسلم.
(3) الترمذي، برقم 1021، ويأتي تخريجه.
(4) برد الأكباد عند فقد الأولاد للحافظ محمد بن عبد الله بن ناصر الدين، ص17.
(5) البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، برقم 6424.
(6) فتح الباري، لابن حجر، 11/ 242 - 243.

وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله يقول: ((صفيه: حبيبه: كولده، أو أبيه، أو أمه، أو زوجته))[1].

12- أشدّ الناس بلاءً:الأنبياء،ثم الأمثل فالأمثل؛لحديث مصعب بن سعد عن أبيه ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: ((**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل: يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقةٌ ابتُلِيَ على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**))[2].

أكثر وأصعب بلاء: أي محنة ومصيبة؛ لأنهم لو لم يُبتلوا لتُوهِّم فيهم الألوهية؛ وليتوهن على الأمة الصبر على البلية؛ ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرُّعًا، والتجاءً إلى الله تعالى ((**ثم الأمثل فالأمثل**)) أي الفضلاء، والأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى رتبة ومنزلة، فكل من كان أقرب إلى الله يكون بلاؤه أشد؛ ليكون ثوابه أكثر ((**فإن كان في دينه صلبًا**)) أي قويًا شديدًا ((**اشتد بلاؤه**)) أي كميَّة وكيفيَّة ((**فما يبرح البلاء**)) أي ما يفارق[3].

ومما يزيد ذلك وضوحًا وتفسيرًا، حديث أبي هريرة ﷺ يرفعه: ((**إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلِّغه إياها**))[4].

13- من كان بلاؤه أكثر فثوابه وجزاؤه أعظم وأكمل؛ لحديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**إن عِظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**))[5].

---

(1) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم 6424، وذلك في فجر الأحد الموافق 14/10/ 1419هـ في الجامع الكبير بالرياض.
(2) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم 2398، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم 4023، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 565/2، وفي صحيح ابن ماجه، 371/2، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 143.
(3) تحفة الأحوذي للمباركفوري، 7/ 78 -79.
(4) أبو يعلى، وابن حبان، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1599.
(5) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم 2396، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء،برقم 4031،وحسنه الألباني في صحيح سنن

والمقصود الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه للنهي عنه، فمن رضي بما ابتلاه الله به فله الرضى منه تعالى وجزيل الثواب، ومن سَخِطَ: أي كره بلاء الله وفزع ولم يرض بقضائه تعالى، فله السخط منه تعالى وأليم العذاب، ومن يعمل سوءًا يُجز به[1].

ولا شك أن الصبر ضياء كما قال النبي ﷺ: ((**والصبر ضياء**))[2].

والضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر، فإنه نور محض فيه إشراق بغير إحراق، ولـمّا كان الصبر شاقًا على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس، وحبسها، وكفّها عما تهواه، كان ضياءً[3]؛ ولهذا - والله أعلم - يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب، بفضل الله ﷻ.

14- ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة؛ لأنها زالت بسبب البلاء[4]؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة: في نفسه، وماله، وولده، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**))[5].

15- فضل من يموت له ولد فيحتسبه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث**[6] **إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**))[7].

الترمذي،564/2، وفي صحيح ابن ماجه، 373/2، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 146.

(1) تحفة الأحوذي للمباركفوري، 77/7.

(2) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم 223.

(3) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، 24/2، 25.

(4) تحفة الأحوذي للمباركفوري، 80/7.

(5) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم 2399، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 565/2، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 2280.

(6) لم يبلغوا الحنث: أي لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث وهو الإثم. شرح النووي على صحيح مسلم، 420/16.

(7) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، برقم 1381.

والولد يشمل الذكر والأنثى.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما تعدُّون الرّقوب**[1] **فيكم**))؟ قال: قلنا: الذي لا يُولد له. قال: ((**ليس ذاك بالرّقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدِّم من ولده شيئًا**))[2].

16- من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابًا من النار؛ ودخل الجنة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: ((**من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجابًا من النار أو دخل الجنة**))[3]. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لامرأة مات لها ثلاثة ثلاثة من الولد: ((**لقد احتظرت بحظار شديد**[4] **من النار**))[5]؛ ولحديث عتبة بن عبد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث إلا تلقَّوْه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل**))[6].

17- من قدّم اثنين من أولاده دخل الجنة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار: ((**لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة**))، فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: ((**أو اثنين**))[7]، قال النووي رحمه الله: وقد جاء في غير مسلم ((**وواحد**))[8].

---

(1) أصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد.
(2) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، برقم 2608.
(3) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، قبل الحديث رقم 1381، تكلم الحافظ ابن حجر في فتح الباري، 245/3 عن وصله، وقال: ((قوله: كان له)) كذا للأكثر: أي كان قولهم له حجاباً، وللكشميهني: ((كانوا)) أي الأولاد.
(4) احتظرت: أي امتنعت بمانع وثيق، والحظار ما يجعل حول البستان وغيره من قضبان وغيرها كالحائط، شرح النووي على صحيح مسلم، 16/ 420 - 421.
(5) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم 2636.
(6) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب في ثواب من أصيب بولده برقم 1603، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، 46/2.
(7) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم 151 (2632).
(8) شرح النووي على صحيح مسلم، 420/16، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري 119/3 جميع الأحاديث التي فيها زيادة واحد وتكلم عليها كلامًا نفيسًا، ثم أشار إلى أن الذي يستدل به على ذلك حديث: ((ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة))، قال: وهذا يدخل فيه الواحد، فتح

وعن أبي صالح ذكوان عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تُعلّمنا مما علّمك الله، قال: ((**اجتمعن يوم كذا وكذا**))، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه الله قال: ((**ما منكن من امرأة تقدّم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابًا من النار**))، فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**واثنين، واثنين، واثنين**))[1].

18- من مات له واحد من أولاده فاحتسبه وصبر دخل الجنة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ((**ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**))[2]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((وهذا يدخل فيه الواحد فما فوقه وهو أصحّ ما ورد في ذلك، وقوله: ((**فاحتسب**)) أي صبر راضيًا بقضاء الله راجيًا فضله))[3]، وذكر ابن حجر رحمه الله أنه يدخل في ذلك حديث قرة بن إياس، وسيأتي في الحديث الآتي[4].

وسيأتي أيضًا حديث أبي موسى الأشعري ﷺ الذي فيه قوله ﷺ: ((**ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمّوه بيت الحمد**))، فهو يدلّ على أن من مات له ولد واحد دخل الجنة[5].

19- من مات له ولد فاحتسبه وجده ينتظره عند باب الجنة، بفضل الله ﷻ ورحمته؛ لحديث قرّة بن إياس ﷺ أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: ((**أتحبه**))؟ فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقده النبي ﷺ، فقال: ((**ما فعل ابن فلان**))؟ قالوا: يا رسول الله مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: ((**أما تحبّ أن لا تأتي**

الباري، 119/3، و243/11.

(1) متفق عليه:البخاري،كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، برقم 101، و1249، و7310، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم 2633.

(2) البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله، برقم 6424.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 119/3، ولابن حجر كلام يؤيد هذا في شرحه للحديث رقم 6424، في فتح الباري، 243/11.

(4) فتح الباري، 243/11.

(5) الترمذي، برقم 1021، وسيأتي.

بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك ؟)) فقال رجل: يا رسول الله: ألَه خاصة أو لكُلّنا؟ فقال: ((**بل لِكُلّكم**))، ولفظ النسائي: ((**ما يسرّك أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك ؟**))[1].

20- المؤمن إذا مات ولده سواء كان ذكرًا أو أنثى وصبر واحتسب وحمد الله على تدبيره وقضائه بنى الله له بيتًا في الجنة وسماه بيت الحمد؛ لحديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمّوه بيت الحمد**))[2].

وعن أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ يرفعه: ((**بخ بخ - وأشار بيده لخمس - ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يُتوَفَّى للمرء المسلم فيحتسبه**))[3].

21- السِّقط يجرّ أمّه بسُرِّهِ إلى الجنة؛ لحديث معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ: قال: ((**والذي نفسي بيده إن السقط ليجرُّ أُمَّهُ بسَرَره إلى الجنة إذا احتسبته**))[4].

22- ومما يشرح صدر المسلم ويبرِّد حرَّ مصيبته أن أولاد المسلمين في الجنة، قال الإمام النووي رحمه الله بعد أن ساق الأحاديث في فضل من يموت له ولد فيحتسبه: ((وفي هذه الأحاديث دليل على كون أطفال المسلمين في الجنة، وقد نقل جماعة فيهم

---

(1) النسائي، كتاب الجنائز، باب الأمر باحتساب الأجر، برقم 1871، رقم الباب 22، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، 243/11: ((أخرجه أحمد، والنسائي، وسنده على شرط الصحيح، وقد صححه ابن حبان، والحاكم))، وصححه الألباني في صحيح النسائي، 404/2.

(2) الترمذي، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، برقم، 1021، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 520/1، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1408.

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات، 433/7،وابن حبان،برقم 2328،والحاكم،511/1-512، وقال:((صحيح الإسناد))،ووافقه الذهبي،وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة،برقم 1204.

(4) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن أصيب بسقط، برقم 1609، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، 46/2.

إجماع المسلمين))، ونقل عن المازري قوله: ((ونقل جماعة الإجماع في كونهم من أهل الجنة قطعًا؛ لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾[1] [2].

ويدل عليه حديث أبي هريرة ﷺ أن أولاد المسلمين في الجنة، ((**وأن أحدهم يلقى أباه فيأخذ بثوبه أو بيده فلا يتركه حتى يدخله الله وأباه، أو قال: أبويه الجنة**))[3].

وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله يقول: ((أجمع المسلمون على أن أولاد المسلمين في الجنة، أما أولاد الكفار ففيهم خلاف، وأصح ماقيل فيهم أنهم يُمتحنون يوم القيامة، أو هم من أهل الجنة بدون امتحان، وهو أصحّ))[4]. وهو الصواب[5]؛ لحديث سمرة بن جندب ﷺ في الحديث الطويل وفيه: ((**وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة**))، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**وأولاد المشركين**))[6].

23- من تصبّر ودرَّب نفسه على الصبر صبَّره الله وأعانه وسدّده؛ لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ، وفيه: ((**ومن يستعفف يُعفّه الله، ومن يستغنِ يُغْنِهِ الله، ومن يتصبَّر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**))[7].

24- من أراد الله به خيرًا أصابه بالمصائب؛ ليثيبه عليها[8]؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من يُرد الله به**

---

(1) سورة الطور، الآية: 21.
(2) شرح النووي على صحيح مسلم، 421/16.
(3) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد، فيحتسبه، برقم 2635.
(4) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم 1381، و1382.
(5) انظر: فتح الباري لابن حجر، 246/3.
(6) البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم 7047.
(7) متفق عليه: البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، برقم 1469، وكتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، برقم 6470، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، برقم 1053.
(8) فتح الباري لابن حجر، 108/10.

خيرًا يُصب منه))[1].وسمعت شيخنا عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله يقول: ((أي بالمصائب بأنواعها، وحتى يتذكّر فيتوب، ويرجع إلى ربه))[2].

25- أمر المؤمن كله خير في السرّاء والضرّاء، وفي الشدّة والرّخاء؛ لحديث صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له**))[3].

26 - المصيبة تحطّ الخطايا حطًّا كما تحطّ الشجرة ورقها؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة يُشاكها**))[4].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:((**ما من مسلم يُصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطّ الله به سيئاته كما تحطّ الشجرة ورقها**))[5].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((**ما يُصيب المؤمن من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا همّ، ولا حزن، ولا أذى، ولا غمّ حتى الشوكةُ يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه**))[6]، وفي لفظ: ((**ما يُصيب المؤمنَ من وَصَبٍ**[7]**، ولا نَصَبٍ**[8]**، ولا سَقَم...**)).

27- يجتهد المسلم في استكمال شروط الصبر التي إذا عمل بها المصاب المسلم حصل على الثواب العظيم، والأجر الجزيل،

---

(1) البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم 5645.
(2) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم 5645.
(3) مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، برقم 2999.
(4) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم 5640، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم 49 (2572).
(5) مسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم 2571.
(6) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم 5641، 5642، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم 2573.
(7) الوصب: المرض.
(8) النصب: التعب.

وتتلخص هذه الشروط في ثلاثة أمور:

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ في الصبر؛ لقول الله ﷻ: ﴿**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾، ولقوله ﷻ في صفات أصحاب العقول السليمة: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[1]، وهذا هو الإخلاص في الصبر المبرّأ من شوائب الرياء وحظوظ النفس.

الشرط الثاني: عدم شكوى الله تعالى إلى العباد؛ لأن ذلك ينافي الصبر ويخرجه إلى السخط والجزع؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن ولم يشكني إلى عوّاده أطلقته من إساري، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل**))[2].

ولله دَرُّ الشاعر الحكيم حيث قال:

وإذا عرتك بليّةٌ فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلمُ

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم[3]

الشرط الثالث: أن يكون الصبر في أوانه، ولا يكون بعد انتهاء زمانه؛ لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: ((**اتّقي الله واصبري**)) [فقالت]: إليك عنّي فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: ((**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**))[4]. أي الصبر الكامل الذي يترتّب عليه الأجر الجزيل؛ لكثرة المشقة فيه، وأصل الصدم الضرب في شيء صلب، ثم استعمل مجازًا في كل مكروه حصل بغتة[5].

---

(1) سورة الرعد، الآية: 22.
(2) الحاكم في المستدرك، 349/1 وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي.
(3) الفوائد لابن القيم، ص165، وانظر: الصبر الجميل، لسليم الهلالي، ص28.
(4) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، برقم 1283، ومسلم، كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، برقم 15 (926).
(5) شرح النووي على صحيح مسلم، 481/6.

28- أمور لا تنافي الصبر ولا بأس بها، منها ما يأتي:

الأمر الأول: الشكوى إلى الله تعالى؛ فالتضرّع إليه، ودعاؤه في أوقات الشدّة عبادة عظيمة، فإن الله أخبر عن يعقوب بقوله: **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾**[2].

وقال تعالى:**﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾**[3].

وأيوب عليه الصلاة والسلام أخبر الله عنه بقوله تعالى: **﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾**[4].

وقال الله تعالى عنه: **﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾**[5]، **﴾**[5]، فإذا أصاب العبدَ مصيبةٌ فأنزلها بالله، وطلب كشفها منه فلا ينافي الصبر[6].

الأمر الثاني: الحزن ودمع العين؛ فإن ذلك قد حصل لأكمل الخلق نبينا محمد بن عبد الله ﷺ؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين[7] - وكان ظئرًا[8] لإبراهيم عليه السلام - فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبَّله وشمَّهُ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه[9]، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان[1]،

---

(1) سورة يوسف، الآية: 18.
(2) سورة يوسف، الآية: 83.
(3) سورة يوسف، الآية: 86.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 83.
(5) سورة ص، الآية: 44.
(6) انظر: الصبر الجميل، لسليم الهلالي، ص84.
(7) القين:الحداد،ويطلق على كل صانع،يقال:قان الشيء:إذا أصلحه.فتح الباري لابن حجر، 173/3.
(8) ظئرًا: مرضعًا، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر: من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها؛ لأنه يشاركها في تربيته غالبًا. وإبراهيم: ابن رسول الله ﷺ، فتح الباري لابن حجر، 173/3.
(9) يجود بنفسه: أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله. فتح الباري لابن حجر،

تذرفان[1]، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: وأنت يا رسول الله[2]؟ فقال: ((**يا ابن عوف إنها رحمة**)) ثم أتبعها بأخرى[3] فقال: ((**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**))[4].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((وقع في حديث عبد الرحمن بن عوف نفسه: فقلت يا رسول الله تبكي أَوَلَمْ تَنْهَ عن البكاء؟ وزاد فيه: ((**إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهوٍ ولعبٍ ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجوه، وشق جيوب، ورنّة شيطان**)). قال: ((**إنما هذا رحمة، ومن لا يَرحم لا يُرحم**))[5].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين، ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمّه، ومشروعية الرضاع، وعيادة الصغير، والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال، وجواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى، وفيه وقوع الخطاب للغير، وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين: أحدهما: صغره، والثاني نزاعه. وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق، وفيه جواز

174/3.

(1) تذرفان: يجري دمعهما. فتح الباري لابن حجر، 174/3.

(2) وأنت يا رسول الله:أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعلهم،كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع، فأجابه بقوله: ((إنها رحمة)):أي الحالة التي شاهدتها مني هي رقة القلب على الولد، لا ما توهمت من الجزع)) فتح الباري لابن حجر، 174/3.

(3) ثم أتبعها بأخرى:قيل:أتبع الدمعة بدمعة أخرى،وقيل:أتبع الكلمة الأولى المجملة وهي قوله: ((إنها رحمة)) بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله:((إن العين تدمع))،فتح الباري لابن حجر،174/3.

(4) متفق عليه، البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: ((إنا بك لمحزونون))، برقم 1303، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم 2315.

(5) فتح الباري لابن حجر، 174/3.

الاعتراض على من خالف فعله ظاهر قوله؛ ليظهر الفرق))[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي [ﷺ] يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله[2] فقال: ((**قد قضى**))؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بَكَوْا، فقال: ((**ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذِّبُ بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذِّب بهذا**[3] - وأشار إلى لسانه - **أو يرحم**[4]**، وإن الميت يعذَّب ببكاء أهله عليه**))[5]، وكان عمر رضي الله عنه يضرب فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويحثي بالتراب))[6].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((في هذا إشعار بأن هذه القصة كانت بعد قصة إبراهيم ابن النبي ﷺ؛ لأن عبد الرحمن بن عوف كان معهم في هذه ولم يعترضه بمثل ما اعترض به هناك، فدل على أنه تقرّر عنده العلم بأن مجرّد البكاء بدمع العين من غير زيادة على ذلك لا يضر))[7].

وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه في قصةٍ لصبي لإحدى بنات رسول الله ﷺ حينما قال النبي ﷺ لرسولٍ ابنته: ((**ارجع إليها فأخبرها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى،وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب**))، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ وأقسمت عليه أن يحضر، فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأسامة معهم، وحينما رُفع الصبي للنبي ﷺ وهو في النزع، فاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال:

---

(1) فتح الباري، لابن حجر، 174/3.
(2) في غاشية أهله: أي الذين يغشونه للخدمة وغيرها. فتح الباري لابن حجر، 175/3.
(3) ولكن يعذب بهذا: أي إن قال سوءًا. فتح الباري لابن حجر، 175/3.
(4) أو يرحم: أي إن قال خيرًا. فتح الباري لابن حجر، 175/3.
(5) يعذب ببكاء أهله عليه: البكاء المحرم على الميت هو النوح، والندب بما ليس فيه، والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما، شرح النووي على صحيح مسلم، 480/6. وانظر: فتح الباري لابن حجر، 153/3-160 وشرح النووي، 482/6-486.
(6) متفق عليه: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، برقم 1304، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم 924.
(7) فتح الباري لابن حجر، 175/3.

((**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**))[1].

وقد روى أنس بن مالك ﷺ قال: ((شهدنا بنتًا لرسول الله ﷺ، قال: ورسول الله ﷺ جالس على القبر، قال: **فرأيت عينيه تدمعان**))[2].

29-الأمور التي تعين على الصبر على المصيبة بفقد الأحباب كثيرة منها ما يأتي:

الأمر الأول: معرفة جزاء المصيبة وثوابها وهذا من أعظم العلاج الذي يُبَرِّد حرارة المصيبة، وتقدمت الأدلة على ذلك.

الأمر الثاني:العلم بتكفيرها للسيئات وحطّها كما تحطّ الشجرة ورقها[3].

الأمر الثالث:الإيمان بالقدر السابق بها،وأنها مقدرة في أم الكتاب كما تقدم.

الأمر الرابع: معرفة حق الله في تلك البلوى، فعليه الصبر والرضا، والحمد والاسترجاع والاحتساب.

الأمر الخامس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوفِ قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.

الأمر السادس: العلم بترتّبها عليه بذنبه، فإن لم يكن له ذنب كالأنبياء والرسل فلرفع درجاته.

الأمر السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة دواء نافع ساقه إليه العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر ولا يسخط ولا يشكو إلى غير الله فيذهب نفعه باطلاً.

الأمر الثامن: أن يعلم أن عاقبة هذا الدواء: من الشفاء والعافية

---

(1) متفق عليه، البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه))، برقم 1284، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم 923.

(2) البخاري،كتاب الجنائز،باب قول النبي ﷺ:((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه))،برقم 1285.

(3) تقدمت الأدلة على ذلك في الفقرة رقم 25.

والصحة وزوال الآلام ما لم تحصل بدونه، قال الله تعالى: ﴿**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1].

وقال ﷻ: ﴿**فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[2].

الأمر التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبيّن حينئذٍ: هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ وفضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

الأمر العاشر: أن يعلم أن الله يربي عبده على السرّاء والضرّاء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال[3].

الأمر الحادي عشر: معرفة طبيعة الحياة الدنيا على حقيقتها؛ فهي ليست جنة نعيم ولا دار مقام، إنما ممرّ ابتلاء وتكليف؛ لذلك فالكَيِّس الفطن لا يفجأ بكوارثها، ولله دَرُّ القائل:

إن لله عبادًا فُطَنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا أنها ليست لحيٍّ وطنا
جعلوها لُجَّةً واتخذوا صالحَ الأعمال فيها سفنا

فالحياة الدنيا لا تستقيم على حال، ولا يقر لها قرار، فيوم لك، ويوم آخر عليك، قال الله تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[4].

وقد أحسن أبو البقاء الرندي القائل:

---

(1) سورة البقرة، الآية: 216.
(2) سورة النساء، الآية: 19.
(3) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، ص448-459، وانظر: زاد المعاد، 4/188-196، وعدة الصابرين لابن القيم، ص76-86.
(4) سورة آل عمران، الآية: 140.

لكل شيء إذا ما تمَّ نُقصان فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان
هي الأيام كما شاهدتَها دول فمن سرَّه زمنٌ ساءته أزمان[1]

الأمر الثاني عشر: معرفة الإنسان نفسه؛ فإن الله هو الذي منح الإنسان الحياة فخلقه من عدم إلى وجود، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فهو ملك لله أولاً وآخرًا، وصدق لبيد بن ربيعة ﷺ القائل:

وما المال والأهلون إلا ودائعُ ولا بُدَّ يومًا أن ترد الودائع

الأمر الثالث عشر: اليقين بالفرج، فنصر الله قريب من المحسنين، وبعد الضيق سعة، ومع العسر يسرًا؛ لأن الله وعد بهذا، ولا يخلف الميعاد، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2].

وقد أحسن القائل:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تفرجُ

وقد وعد الله ﷻ بحسن العوض عما فات؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، كما قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[3].

ولله دَرُّ القائل:

وكل كسرٍ فإن الله يجبرُه وما لكسرِ قناةِ الدين جبرانُ[4]

---

(1) هكذا نُقل عند البعض، ولكن للإمام البستي في نونيته نحو هذا قال رحمه الله:
لا تحسبن سرورًا دائمًا أبدًا من سره زمنٌ ساءته أزمانُ
انظر: الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبد الله بن محمد الشمراني، ص 625.
(2) سورة هود، الآية: 49.
(3) سورة النحل، الآيتان: 41- 42.
(4) هكذا سمعته من الشيخ محمد بن حسن الدريعي، يقول: إنه كتبه له بعض أصدقائه عندما انكسرت رجله، ولكن البيت في نونية علي بن محمد البستي هكذا:
كل الذنوب فإن الله يغفرها إن شيّع المرء إخلاص وإيمان
وكل كسر فإن الدين يجبره وما لكسر قناة الدين جبران
انظر: الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبد الله بن محمد الشمراني، ص626.

الأمر الرابع عشر: الاستعانة بالله، فما على العبد إلا أن يستعين بربه أن يعينه، ويجبر مصيبته، قال تعالى: ﴿**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[1]، ومن كانت معية الله معه فهو حقيق أن يتحمل ويصبر على الأذى.

الأمر الخامس عشر: التأسّي بأهل الصبر والعزائم، فالتأمل في سير الصابرين وما لاقوه من ألوان الابتلاء والشدائد يعين على الصبر، ويطفئ نار المصيبة ببرد التأسي، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** ﴾[2].

الأمر السادس عشر: استصغار المصيبة، قال النبي ﷺ: ((**يا أيها الناس أيما أحدٍ من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشدَّ عليه من مصيبتي**))[3].

وكتب بعض العقلاء إلى أخ له يعزّيه عن ابن له يقال له: محمد، فنظم الحديث الآنف شعرًا فقال:

اصبر لكل مصيبة وتجلَّدِ واعلم بأن المرء غير مخلّدِ[4]

وإذا ذكرت محمدًا ومصابَهُ فاذكر مصابك بالنبي محمّدِ

الأمر السابع عشر: العلم أن المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمن، ولله دَرُّ القائل:

وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران

وذكر أنّ امرأة من العرب مرت بابنين لها وقد قتلوا، فقالت: الحمد لله رب العالمين، ثم قالت:

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 128.
(2) سورة الأحقاف، الآية: 35.
(3) ابن ماجه، واللفظ له، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، برقم 1599، والدارمي، 40/1، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1106.
(4) انظر: مقومات الداعية الناجح، للمؤلف، ص260-279.

وكل بلوى تصيب المرء عافية ملُيصِيْبَ وما يلقى لله في لتا[1]

الأمر الثامن عشر: العلم بأن الدنيا فانية وزائلة، وكل ما فيها يتغير ويزول؛ لأنها إلى الآخرة طريق، وهي مزرعة للآخرة على التحقيق، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة:

أما الأدلة من الكتاب، فعلى النحو الآتي:

1- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

2- وقال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[3].

3- وقال ﷻ: **﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾**[4].

4- وقال تعالى: **﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾**[5].

5- وقال تعالى: **﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[6].

6- وقال تعالى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ**

---

(1) برد الأكباد عند فقد الأولاد؛ لابن ناصر الدين، ص61.
(2) سورة الزخرف، الآيات: 33 - 35.
(3) سورة يونس، الآية: 24.
(4) سورة الكهف، الآية: 45.
(5) سورة القصص، الآية: 60.
(6) سورة القصص، الآية: 83.

تُرْجَعُونَ ﴾[1].

7 - وقال الله تعالى: **﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾**[2].

8- وقال سبحانه: **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾**[3].

9- وقال الله ﷻ: **﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾**[4].

10- وقال تعالى: **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾**[5].

11- وقال تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾**[6].

12- وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: **﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾**[7].

وأما الأدلة من السنة المطهرة، فقد زهَّد النبي ﷺ النَّاس في الدنيا، ورغَّبهم في الآخرة، بفعله وقوله ﷺ، على النحو الآتي.

1- أما فعله فمنه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((خرج النبي ﷺ ولم يشبع من خبز الشعير))[8].

---

(1) سورة القصص، الآية: 88.
(2) سورة الشورى، الآية: 36.
(3) سورة الأنعام، الآية: 32.
(4) سورة العنكبوت، الآية: 64.
(5) سورة الحديد، الآية: 20.
(6) سورة الرحمن، الآيتان: 36- 37.
(7) سورة غافر، الآية: 39.
(8) البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، برقم 5414.

2- وقالت: ((ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر))[1].

3- وقالت: ((إنا كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء))[2].

4- وقال ﷺ: ((**لو كان لي مثل أحد ذهبًا ما يسرني أن لا يمر عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيء إلا شيء أرصُدُهُ لدَيْن**))[3].

5- وقد ثبت عنه ﷺ أنه اضطجع على حصير فأثَّر في جنبه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال:
يا رسول الله لو أخذت فراشًا أوثر من هذا؟ فقال ﷺ: ((**ما لي وللدنيا،**
ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكبٍ سار في يومٍ صائفٍ فاستظلّ تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها))[4].

6- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ((ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض))[5]. والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالبًا كان بسبب قلة الشيء عندهم، على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم[6].

7- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان فراش رسول الله ﷺ من

---

(1) البخاري،كتاب الرقاق،باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا،برقم 6455.
(2) البخاري،كتاب الرقاق،باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه،وتخليهم عن الدنيا،برقم 6459.
(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون، والحجر والتفليس، باب أداء الديون، برقم 2389، ومسلم، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، برقم 991.
(4) أحمد في المسند، 301/1 بلفظه، والترمذي بنحوه، في كتاب الزهد، باب 44، برقم 1377، وقال: ((حديث حسن صحيح))، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم 4109، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، 280/2، وصحيح ابن ماجه، 394/2.
(5) البخاري،كتاب الأطعمة،باب قول الله تعالى:﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ الآية،برقم 5374.
(6) انظر: فتح الباري لابن حجر، 517/9، 549.

أدَم وحشوُهُ ليف))[1].

8- ومع هذا كان يقول ﷺ: ((اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا))[2].

9- وقال ﷺ: ((قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنَّعَهُ الله بما آتاه))[3].

وأما قوله في التزهيد في الدنيا والتحذير من الاغترار بها، فكثير، ومنه:

10- حديث مطرف عن أبيه ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿ أَلْـهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: **((يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك**
يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت،أو لبست فأبليت،أو تصدّقت فأمضيت))[4].

11- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، [و] ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه الناس))[5].

12- وقال النبي ﷺ مرة لأصحابه: ((أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله))؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحدٌ إلا ماله أحب إليه. قال: **((فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخّر))**[6].

13- ودخل النبي ﷺ السوق يومًا فمرَّ بجدي صغير الأذنين ميت، فأخذه بأذنه ثم قال: **((أيكم يحب أن هذا له بدرهم))؟** قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: **((أتحبون أنه لكم))؟** قالوا:

---

(1) البخاري،كتاب الرقاق،باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا،برقم 6456.
(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، برقم 6460، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، واللفظ له، برقم 1055.
(3) مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، برقم 1054.
(4) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم 2958.
(5) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم 2959.
(6) البخاري، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له، برقم 6442.

والله لو كان حيًّا كان عيبًا فيه؛ لأنه أسكُّ[1]، فكيف وهو ميت؟ فقال: ((**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**))[2].

14- وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء))[3].

والدنيا مذمومة إذا لم تستخدم في طاعة الله ﷻ:

15- فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكرُ الله، وما والاهُ، وعالمٌ، أو متعلم))[4]، وهذا يؤكد أن الدنيا مذمومة، مبغوضة من الله وما فيها، مبعدة من رحمة الله إلا ما كان طاعة لله ﷻ؛ ولهوانها على الله ﷻ لم يبلِّغ رسوله ﷺ فيها وهو أحب الخلق إليه.

16- فقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير[5].

وقوله: ((وما والاه)) أي ما يحبه الله من أعمال البر، وأفعال القُرَب، وهذا يحتوي على جميع الخيرات، والفاضلات، ومستحسنات الشرع، وقوله: ((**وعالم أو متعلم**)) العالم والمتعلم: العلماء بالله، الجامعون بين العلم والعمل، فيخرج منه الجهلاء، والعالم الذي لم يعمل بعلمه، ومن يعلم علم الفضول، وما لا يتعلق بالدين. والرفع في ((**عالم أو متعلم**)) على التأويل: كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا يحمدُ مما فيها ((**إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم**))[6]،فإذا رأى العاقل من ينافسه في الدنيا فعليه أن ينصحه

---

(1) الأسك: مصطلم الأذنين مقطوعهما.
(2) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم 2957.
(3) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم 4110، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، وقال: ((هذا حديث صحيح))، برقم 2320، وابن المبارك في الزهد والرقائق، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ، برقم 470، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 943، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3240.
(4) الترمذي،بلفظه،كتاب الزهد،بابٌ:حدثنا محمد بن حاتم،برقم 2322،وحسنه،وابن ماجه، كتاب الزهد،باب مثل الدنيا،برقم 4112،وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3244.
(5) انظر: البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الطعام إلى أجل، برقم 2200، ومسلم، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر، برقم 1603.
(6) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 3284/10 - 3285، ومرقاة المفاتيح

ويحذّره وينافسه في الآخرة[1].

17- وفي قصة أبي عبيدة ﷺ عندما قدم بمال من البحرين فجاءت الأنصار وحضروا مع رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلمَّا صلى بهم الفجر، تعرَّضوا له، فتبسَّم حين رآهم وقال: ((**أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء**))؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال: ((**فأبشروا، وأمِّلوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**))، وفي رواية: ((**وتلهيكم كما ألهتهم**))[2].

18- وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ **عن النبي** ﷺ: ((**إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض**))، قيل: وما بركات الأرض؟ قال: ((**زهرة الدنيا**))، ثم قال: ((**إن هذا المال خَضِرَة حلوة، من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع [ويكون عليه شهيدًا يوم القيامة]**))[3].

19- وقال خَبَّابٌ ﷺ: ((إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب))[4].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((أي الذي يوضع في البنيان وهو محمول على ما زاد على الحاجة))[5].

وذكر رحمه الله آثارًا كثيرة في ذمّ البنيان ثم قال: ((وهذا كله

شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري، 31/9، وتحفة الأحوذي للمباركفوري، 613/6.

(1) فقه الدعوة للمؤلف، 1007/2.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، برقم 3158، 4015، 6425، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم 2961.

(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، برقم 6427، ومسلم، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، برقم 1052، وما بين المعقوفين من رواية مسلم.

(4) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، برقم 5672، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، برقم 2681.

(5) فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، 129/10.

محمول على ما لا تمسُّ الحاجة إليه مما لا بدَّ منه للتوطّن، وما يقي البرد والحرّ))[1].

والمسلم إذا لم يجعل الدنيا أكبر همه وفقه الله وأعانه.

20- فعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقًا، يا ابن آدم لا تباعد عني فأملأ قلبك فقراً، وأملأ يديك شغلاً**))[2].

21- وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسدّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسدَّ فقرك**))[3]. قال ذلك عندما تلا: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ**﴾[4].

ولا شك أن كل عمل صالح يُبتغى به وجه الله فهو عبادة، بل وحتى الأعمال المباحة.

22- وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من كانت الدنيا همّه فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**))[5].

23- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه؛ جعل الله فقره بين عينيه،**

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، 93/11، و129/10.
(2) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، 326/4، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ((وهو كما قالا))، وصححه في صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3165.
(3) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا قتيبة، برقم 2466، وحسنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم 4108، وأحمد، 358/2، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 443/2، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3166، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، 346/3، وفي صحيح الترمذي، 593/2.
(4) سورة الشورى، الآية: 20.
(5) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم 4105، وصحح الألباني إسناده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 950، وصحيح الجامع، 351/5.

وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له))[1].

24- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى**))[2].

25- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه لمّا حضرته الوفاة قال: يا معشر الأشعريين ليُبلِّغ الشاهد الغائب، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**حلاوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلاوة الآخرة**))[3].

الأمر التاسع عشر: العلم بأن الله تعالى يجمع بين المؤمن وذريته، ووالديه وأهله، ومن يحب في الجنة، وهذا الاجتماع الذي لا فراق بعده لقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ** ﴾[4]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتّبعتهم ذرّيتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقرّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذلك))[5]. وهذا فضله تعالى على الأولاد ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأولاد فثبت في حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا ربّ أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**))[6].

---

(1) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب: حدثنا سويد، برقم 2465، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، 593/2، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 949 - 950.

(2) أحمد، 412/4، وابن حبان، برقم 709، والحاكم، 319/4، قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، برقم 4744: ((رواه أحمد ورواته ثقات)). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب على الحديث رقم 3247: ((صحيح لغيره))، وذكر له شاهدا في الأحاديث الصحيحة، برقم 3287.

(3) الحاكم وصححه،ووافقه الذهبي،310/4،وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،برقم 3248.

(4) سورة الطور، الآية: 21.

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص1268، 243/4.

(6) أخرجه أحمد في المسند،209/2،قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره:((إسناده صحيح)).

قال العلامة السعدي رحمه الله: ((وهذا من تمام نعيم أهل الجنة أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين اتّبعوهم بإيمان: أي الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم فصارت الذرية تبعًا لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون يلحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنة، وإن لم يبلغوها، جزاء لآبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئًا))[1]. وهذا هو الفوز العظيم.

نسأل الله تعالى أن يجمعنا في الفردوس الأعلى مع آبائنا، وذرّيّاتنا، وأزواجنا، وجميع أهلينا وأحبابنا في الله تعالى؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

ولا شك أن من فارق ذريته وأهله، وأحبابه في الآخرة فقد خسر خسرانًا مبينًا، كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[2] أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبدًا، وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، وهذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح[3].

وقال الله ﷻ: ﴿**وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ**﴾[4]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((أي ذُهِبَ بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفُرِّق بينهم وبين أحبابهم، وأصحابهم، وأهاليهم، وقراباتهم فخسروهم))[5].

وقد ذُكِرَ أن بعض الصالحين مات له ابن فجزع عليه جزعًا

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، للعلامة السعدي، ص815، وانظر: تفسير الطبري، 467/22-470، وتفسير البغوي، 238/4.
(2) سورة الزمر، الآية: 15.
(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص1151.
(4) سورة الشورى، الآيتان: 44- 45.
(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص1194.

شديدًا، حتى امتنع من الطعام والشراب، فبلغ ذلك الإمام محمد بن إدريس الشافعي، فكتب إليه ومما كتب إليه:

إني معزِّيك لا أنَي على ثقةٍ من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزَّى بباقٍ بعد ميته ولا المعزِّي وإن عاشا إلى حين[1]

والله أسأل أن يحسن الختام وأن يجعل هذا العمل نافعًا لي ولكل من بلغ إليه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(1) برد الأكباد عند فقد الأولاد، لابن ناصر الدين، ص67.

الرسالة الرابعة عشرة: الاعتصام بالكتاب والسنة
أصل السعادة في الدنيا والآخرة ونجاة من مضلات الفتن[1]

تمهيد:

هذه كلمات يسيرات في الحث على ((**الاعتصام بالكتاب والسنة**)) بيَّنت فيها بإيجاز: مفهوم الاعتصام بالكتاب والسنة، ووجوب الأخذ والتمسك بهما، وأن الله بيّن في القرآن الكريم كل شيء، وأنه أُنزل للعمل به، وأن الهداية والفلاح، والصلاح لمن اتبع الكتاب والسنة وتمسك بهما؛ وأن أعظم الوصايا النبوية وصية النبي ﷺ بكتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ، وأن القرآن الكريم يأمر بالاجتماع على الحق، وينهى عن الفرقة والاختلاف، وأن الاعتصام بالكتاب والسنة نجاة من مُضلات الفتن، وأن مخالفة الكتاب والسنة أصل الخذلان، وفساد الدنيا والآخرة، والذل والهوان، وأن الاختلاف سبب الشرور والفرقة، وأن الواجب على كل مُكلَّف الاعتصام بالكتاب والسنة؛ لأن فيهما المخرج من جميع الفتن لمن تمسك بهما؛ ولأن القرآن الكريم: من اتبع الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملُّه الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبه، من عَلِمَ علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراطٍ مستقيم[2].

ولِعظم منزلة الكتاب والسنة كان النبي ﷺ يقول في خطبته: ((**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**))[3].

---

(1) أصل هذا الكتاب مقال طلبته مني وكالة الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ونشرته الوكالة في جريدة الجزيرة، العدد رقم 10627، الصفحة 27، في يوم الجمعة بتاريخ 1422/8/17هـ.

(2) انظر: ما روي في سنن الترمذي، برقم 2906 .

(3) مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم 867 .

أولاً: مفهوم الاعتصام بالكتاب والسنة:

لا شك أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو أساس وأصل النجاة في الدنيا والآخرة. والاعتصام: هو الاستمساك[1]، قال ابن منظور رحمه الله: ((الاعتصام: الاستمساك بالشيء))[2].

فالاعتصام: التمسك بالشيء، ويقال: استعصم: استمسك[3]. قال الله ﷻ: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا** ﴾[4]، والاعتصام بحبل الله، قيل: الاعتصام بعهد الله، وقيل: يعني القرآن؛ لحديث أبي شريح الخزاعي ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ((**أبشروا، أبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟**)) قالوا: بلى، قال: ((**إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً**))[5].

وروي عن جبير بن مطعم ﷺ قال: ((كنا مع رسول الله ﷺ بالجحفة، فخرج علينا فقال: ((**أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن القرآن من عند الله؟**)) قلنا: نعم، قال: ((**فأبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، ولن تهلكوا بعده أبداً**))[6].

ومن اعتصم بالقرآن الكريم فقد اعتصم بالله، قال الله – جل وعلا -: ﴿ **وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[7]، أي يتوكل عليه ويحتمي بحماه[8]، والله تعالى أمر بالاعتصام بحبل الله وهو

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص569 .
(2) لسان العرب، 404/12 .
(3) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص570 .
(4) سورة آل عمران، الآية: 103 .
(5) أخرجه ابن حبان في صحيحه، 329/1، برقم 122، وقال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، 95/1، برقم 59: ((رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد))، وقال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 124/1: ((صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن نصر في قيام الليل ص74 بسند صحيح)).
(6) أخرجه الطبراني في الكبير، 126/2، برقم 1539، وفي الصغير [مجمع البحرين، برقم 252]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، 169/1: ((وفيه أبو عاتبة الزرقي وهو متروك الحديث))، وقال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 124/1، برقم 39: ((صحيح لغيره)).
(7) سورة آل عمران، الآية: 101 .
(8) تفسير السعدي، ص159 .

كتابه ﷻ في آيات كثيرة[1].

ثانياً: وجوب الأخذ بالكتاب والسنة:

أمر الله ﷻ بالأخذ بالكتاب العزيز، وردّ كل ما يحتاجه الناس وكل ما تنازعوا فيه إليه، فقال تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[2]. قال الإمام ابن كثير – رحمه الله -: ((قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى[3]: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ** ﴾[4].

والقرآن الكريم أمَرَ بالأخذ بكل ما جاء به الرسول ﷺ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه، قال الله ﷻ: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[5].

ولا شكّ أنّ الأخذ بالكتاب والسنة من أهم الواجبات وأعظم القربات؛ لأن الأخذ بالرأي المجرّد عن الدليل الشرعي يُوصل إلى المهالك؛ ولهذا قال سهل بن حنيف رضي الله عنه: ((اتهموا رأيكم، فلقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أردّ على رسول الله أمره لرددته، والله ورسوله أعلم))[6].

وهذا يؤكّد أن الرأي لا يعتمد عليه، وإنما المعتمد على الكتاب والسنة؛ قال الله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[7].

---

(1) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 19/76-83، و 9/5/8، و 36/60 .
(2) سورة النساء، الآية: 59 .
(3) تفسير ابن كثير، ص338 .
(4) سورة الشورى، الآية: 10 .
(5) سورة الحشر، الآية: 7 .
(6) متفق عليه، البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب: حدثنا عبدان، برقم 3181، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، برقم 1785 .
(7) سورة النساء، الآية: 59 .

وقال ﷻ: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾[2].

فالأصل في الحكم بين الناس يردّ حكمه إلى كتاب الله ﷻ ، وإلى سنة رسوله ﷺ[3].

وقد ذمّ الله القول عليه بغير علم، فقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[4]، فقرن سبحانه القول عليه بغير علم بالشرك بالله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[5].

وهذا يؤكد أن القول على الله بغير علم من أمر الشيطان.

وقال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾[6].

وقد بيّن النبي ﷺ أن القائل على الله بغير علم من الجاهلين الضالين المضلين، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم، ويُبقي في الناس رؤوساً**[7] **جُهّالاً يفتون بغير علم فيَضِلُّون ويُضِلُّون**))[1].

---

(1) سورة النساء، الآية: 65 .
(2) سورة الشورى، الآية: 10 .
(3) انظر: تفسير الطبري ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن))، 504/8، وتفسير ابن كثير، 519/1 .
(4) سورة الأعراف، الآية: 33 .
(5) سورة البقرة، الآيتان: 168- 169 .
(6) سورة الإسراء، الآية: 36 .
(7) رؤوس: جمع رأس، وفيه التحذير من اتخاذ الجهال رؤساء. شرح النووي على صحيح مسلم، 465/16 .

والحاصل أنه لا يجوز الاعتماد على الرأي، بل يُرجع إلى الكتاب والسنة، أو إلى أحدهما، فإن لم يجد فيرجع إلى الإجماع، فإذا لم يجد الأمور الثلاثة رجع إلى أقوال الصحابة ﷺ ، فإن وجد قولاً لأحدهم ولم يخالفه أحد من الصحابة، ولا عُرِفَ نص يخالفه، واشتهر هذا القول في زمانهم أخذ به؛ لأنه حجة عند جماهير العلماء، فإذا لم يجد قولاً يحتجّ به من أقوال الصحابة، واحتاج إلى القياس رجع إليه بدون تكلّف، بل يستعمله على أوضاعه، ولا يتعسّف في إثبات العلة الجامعة التي هي من أركان القياس، بل إذا لم تكن العلّة الجامعة واضحة، فليتمسّك بالبراءة الأصلية[2].

وكما دل الحديث على التمسك بالكتاب والسنة دلّ على التحذير من الرأي؛ لقول سهل ﷺ: ((**اتّهموا رأيكم على دينكم**))، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله -: ((أي لا تعملوا في أمر الدين بالرأي المجرد الذي لا يستند إلى أصل من الدين))[3]، وما أحسن ما قاله الشافعي – رحمه الله -:

كلُّ العلوم سوى القرآن مشغلةٌ إلا الحديث وعِلمَ الفقهِ في الدين

العلمُ ما كان فيه حدَّثنا وما سوى ذاك وسواسُ الشياطين[4]

وقد ذمّ السلف رحمهم الله الرأي المجرد عن الدليل، فعن ابن الأشجِّ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ((إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضَلُّوا وأضَلُّوا))[5].

وعن عروة بن الزبير أنه كان يقول: ((السنن السنن؛ فإن السنن

---

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، برقم 7307، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، 4/ 2058، برقم 2673 .

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، 14/20، و176/19، وإعلام الموقعين لابن القيم، 30/1، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، 282/13 .

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، 288/13 .

(4) ديوان الشافعي، جمع محمد عفيف، ص88، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير، 254/10 .

(5) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 139/1، برقم 201، والدارمي في سننه، 47/1، برقم 121، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، 1041/2، برقم 2001، ورقم 2003، 2005 .

قوام الدين [أزهد الناس في العَالِم أهلُهُ]))[1].

وقال الإمام أحمد – رحمه الله -: ((لا تكاد ترى أحداً نظر في هذا الرأي إلا وفي قلبه دغل))[2].

وقال الأوزاعي – رحمه الله -: ((إذا أراد الله ﷻ أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط))[3].

وقال الحافظ ابن عبد البر – رحمه الله – بعد أن ساق آثاراً كثيرة في ذم الرأي ما ملخصه: قال أكثر أهل العلم: إن الرأي المذموم المعيب المهجور الذي لا يحل النظر فيه، والاشتغال به: هو الرأي المبتدع، وشبهه من أنواع البدع[4].

وقال جمهور أهل العلم: الرأي المذموم في الآثار المذكورة هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات، ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً دون ردّها على أصولها من الكتاب أو من السنة[5]، ثم قال: ((ومن تدبّر الآثار المرويّة في ذمّ الرأي المرفوعة وآثار الصحابة والتابعين في ذلك علم أنه ما ذكرنا))[6]، فرجَّح – رحمه الله – هذا القول ثم قال: و((ليس أحد من علماء الأمة يثبت حديثاً عن رسول الله ﷺ ثم يردّه، دون ادّعاء نسخ ذلك بأثر أو بإجماع، أو بعمل يجب على أصله الانقياد، إليه أو طعن في سنده، ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته، فضلاً عن أن يتخذ إماماً ولزمه اسم الفسق، ولقد عافاهم الله ﷻ من ذلك))[7]، فينبغي للعبد أن يعتصم بالكتاب والسنة ثم بالإجماع، ثم بأقوال الصحابة ﭫ. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل[8].

---

(1) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، 1051/2، برقم 2029، 2030 .
(2) أخرجه ابن عبد البر في المرجع السابق، 1054/3، برقم 2035 .
(3) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، 1073/2، برقم 2083 .
(4) جامع بيان العلم وفضله، 1053/2 .
(5) انظر: المرجع السابق، 1054/2 .
(6) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، 1062/2 .
(7) انظر: المرجع السابق، 1080/2 .
(8) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، للمؤلف، 369/1، و1059/2-1062 .

ثالثاً: القرآن الكريم بيَّن الله للناس فيه كل شيء:

فهو المرجع في كل زمان وكل مكان، وفي كل ما يحتاجه الناس في دنياهم وأخراهم، قال الله تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾[1].

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – قال ابن مسعود ﷺ: ((قد بيَّن لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء))[2].

رابعاً: القرآن العزيز أُنزل للعمل:

فمن عمل به في جميع أحواله كان من السعداء العقلاء الفائزين في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾[3]، وقد كتب الله السعادة لمن عمل بالقرآن، ومما يدل على ذلك أن نافع بن عبد الحارث لَقِيَ عمر بن الخطاب ﷺ بعُسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولىً من موالينا، قال: فتستخلف عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: ((**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين**))[4].

خامساً: الهداية والصلاح والفلاح لمن اتبع القرآن والسنة وتمسك بهما:

قال الله تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى** ﴾[6].

---

(1) سورة النحل، الآية: 89 .
(2) تفسير ابن كثير، ص751 .
(3) سورة ص، الآية: 29 .
(4) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقهٍ أو غيره فعمل بها وعلّمها، برقم 817 .
(5) سورة المائدة، الآيتان: 15- 16 .
(6) سورة طه، الآية: 123 .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((تكفّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه: أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية))[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿ **الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ **هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا** ﴾[5].

وقال ﷻ: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ** ﴾[7].

وأما الأمر بطاعة الرسول ﷺ فقد أمر الله بطاعته في أربعين موضعاً[8]، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾[9].

وقال: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[10].

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن**

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 77/19 .
(2) سورة الأنعام، الآية: 155 .
(3) سورة إبراهيم، الآية: 1 .
(4) سورة آل عمران، الآية: 138 .
(5) سورة الإسراء، الآية: 82 .
(6) سورة الشورى، الآية: 52 .
(7) سورة الأعراف، الآية: 170 .
(8) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 83/19 .
(9) سورة النور، الآية: 54 .
(10) سورة آل عمران، الآية: 31 .

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

وقال النبي ﷺ في حجة الوداع: ((**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله [وسنة نبيه]**))[2].

سادساً: القرآن والسنة أعظم وصايا النبي ﷺ لأمته:

ففي حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما حينما سُئل: هل أوصى النبي ﷺ؟ فقال بعد ذلك: ((أوصى بكتاب الله))[3].

وعندما كان في طريقه ﷺ إلى المدينة أوصى بكتاب الله تعالى فقال: ((**وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، [هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة]، فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به**))، فحث عليه ورغب فيه، ثم قال: ((**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**)) ثلاث مرات، رواه مسلم[4].

سابعاً: القرآن الكريم يأمر بالاجتماع على الحق وينهى عن الاختلاف:

قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[5]، فأمر بعد الاعتصام بالكتاب بعدم التفرق.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرّق والأمر بالاجتماع والائتلاف))[6].

كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**إن**

---

(1) سورة النساء، الآية: 13 .
(2) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم 1218، وما بين المعقوفين للحاكم في المستدرك، 93/1، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 21/1 .
(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، برقم 2740، ومسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، برقم 1634 .
(4) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم 2408 .
(5) سورة آل عمران، الآية: 103 .
(6) تفسير ابن كثير، ص255 .

الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال))[1].

وقال الله ﷻ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾[2]. والمعنى من سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ فصار في شق والشرع في شق عن عَمْدٍ منه بعدما ظهر له الحق، واتّبع غير سبيل المؤمنين فيما أجمعوا عليه، فإنا نجازيه على ذلك[3].

ثامناً: الاعتصام بالقرآن والسنة نجاة من مضلات الفتن:

ومما يوضح ذلك، وصية النبي ﷺ بكتاب الله تعالى في عرفات، وفي غدير خم، وعند موته عليه الصلاة والسلام، وتقدمت الإشارة إلى ذلك.

وجاءت الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تدل على أن من استمسك بما كان عليه النبي ﷺ كان من الناجين، ومن ذلك حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: ((صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: ((**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشيّاً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة**))[4].

---

(1) مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة السؤال من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، برقم 1715 .

(2) سورة النساء، الآية: 115 .

(3) تفسير ابن كثير، ص361 .

(4) أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم 4607، والترمذي، كتاب العلم، باب باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، برقم 2676، وغيرهما، قوله: ((ذرفت)) أي: دمعت، وقوله: ((ووجلت)) أي خافت وفزعت، وقوله: ((تعهد)) يقال: عهد إليه بكذا: إذا أوصى إليه، وقوله: ((وإن عبداً حبشياً)) أي: أطع صاحب الأمر، واسمع له وإن كان عبداً حبشياً، فحذف كان وهي مزادة. قوله: ((عضوا عليها بالنواجذ)) النواجذ: الأضراس التي بعد الناب، وهذا مثل في شدة الاستمساك بالأمر. قوله: ((محدثات الأمور)) أي: ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة، ولا إجماع. انظر:

ومما يؤكد أهمية السمع والطاعة ما حصل للصحابة مع رسول الله عليه ﷺ في صلح الحديبية حينما اشتدَّ عليهم الكرب بمنعهم من العمرة، وما رأوا من غضاضةٍ على المسلمين في الظاهر، ولكنهم امتثلوا أمر رسول الله ﷺ فكان ذلك فتحاً قريباً، وخلاصة ذلك أن سُهَيل بن عمرو قال للنبي ﷺ حينما كتب: بسم الله الرحمن الرحيم: اكتب باسمك اللهم، فوافق معه النبي ﷺ على ذلك، ولم يوافق سهيل على كَتْبِ محمد رسول الله، فتنازل النبي ﷺ وأمر أن يكتب محمد بن عبد الله، ومنع سهيل في الصلح أن تكون العمرة في هذا العام، وإنما في العام المقبل، وفي الصلح أن من أسلم من المشركين يردّه المسلمون، ومن جاء من المسلمين إلى المشركين لا يُردُّ، وأوّل من نُفّذ عليه الشرط أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فردّه النبي ﷺ بعد محاورة عظيمة، وحينئذٍ غضب الصحابة لذلك حتى قال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ: ألستَ نبيَّ الله حقاً؟ قال: ((**بلى**))، قال: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: ((**بلى**))، قال: فلمَ نُعطي الدَّنِيَّة في ديننا إذاً؟ قال: ((**إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري**))، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، فلما فرغ الكتاب أمر النبي ﷺ الناس أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فشكا ذلك، فقالت: انحر واحلق، فخرج فنحر، وحلق، فنحر الناس وحلقوا حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً[1].

فحصل بهذا الصلح من المصالح ما الله به عليم، ونزلت سورة الفتح، ودخل في السَّنَة السادسة والسابعة في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، ثم دخل الناس في دين الله أفواجاً بعد الفتح في السنة الثامنة.

وهذا ببركة طاعة الله ورسوله؛ ولهذا قال سهل بن حنيف: ((اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أردّ أمر النبي ﷺ لرددته))[2]. وهذا يدلّ على مكانة الصحابة رضي الله عنهم وتحكيمهم رسول الله ﷺ، فحصل لهم من الفتح والنصر ما حصل، ولله الحمد والمنة.

جامع الأصول لابن الأثير، 280/1 .

(1) متفق عليه: البخاري،كتاب الشروط،باب الشروط في الجهاد،والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، برقم 2731، 2732، ومسلم، كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية، برقم 1783.

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب: حدثنا عبدان، برقم 3181، ومسلم، كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية، برقم 1785 .

والمسلم عليه أن يعتصم بالكتاب والسنة، وخاصة في أيام الفتن؛ ولهذا حذّر النبي ﷺ من الفتن، واستعاذ منها، وأمر بلزوم جماعة المسلمين، فقال ﷺ: ((**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**))[(1)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشحّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج**))، قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: ((**القتل، القتل**)). وفي لفظ: ((**يتقارب الزمان، وينقص العلم...**))[(2)].

وقد بيّن النبي ﷺ أنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده أشرّ منه، فعن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج فقال: ((**اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعد أشر منه حتى تلقوا ربكم**))، سمعته من نبيكم ﷺ[(3)].

وحث ﷺ على العمل الصالح قبل الانشغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة، فقال: ((**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**))[(4)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ستكون فتنٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي،ومن تشرّف لها تستشرفه،ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به**))[(5)].

والمخرج من جميع الفتن المضلّة التمسّك بالكتاب والسنة، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

تاسعاً: مخالفة الكتاب والسنة أصل الخذلان وفساد الدنيا والآخرة والذلّ والهوان:

قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ**

---

(1) مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة ومن النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، برقم 2867 .

(2) متفق عليه: البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، برقم 7061، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، برقم 157 .

(3) البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه، برقم 7068 .

(4) مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم 313 .

(5) متفق عليه: البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم 3601، ومسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كموقع القطر، برقم 2886 .

وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾[1].

وقال ﷻ: **﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾**[3].

وقال تعالى فيمن خالف أمر النبي ﷺ: **﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[4].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((... **وَجُعِلَ الذلّ والصغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم**))[5].

وجاء في السنن والمسانيد ما أُثر عن النبي ﷺ أنه قال: ((**لا ألفينّ أحدكم متكئاً على أريكة**[6] **يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به به أو نهيت عنه فيقول: بيننا وبينكم هذا القرآن، فما وجدنا فيه من حلال حللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإني أُتِيتُ الكتاب ومثله معه، ألا وإنه مثل القرآن أو أعظم**))[7].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**كلّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**)) قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: ((**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**))[8].

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 36 .
(2) سورة النساء، الآية: 65 .
(3) سورة طه، الآيات: 124-126 .
(4) سورة النور، الآية: 63 .
(5) مسند الإمام أحمد، 50/2، 92، وصحح إسناده العلامة أحمد بن محمد شاكر في شرحه وترتيبه للمسند، برقم 5114، 5115، 5667 من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(6) الأريكة: السرير في الحجلة، ولا يسمى منفرداً أريكة، وقيل: هو كل ما اتكئ عليه، وقوله: ((لا ألفين)) يقال: ألفيت الشيء إذا وجدته، وصادفته. جامع الأصول، لابن الأثير، 282/1 .
(7) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، برقم 4604، 4605، وابن ماجه، في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه، برقم 12، وصححه الألباني من حديث أبي رافع، وأبي ثعلبة، وأبي هريرة رضي الله عنهم في صحيح أبي داود، 318/3، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، 85/19 .
(8) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: ((فعلى كل مؤمن أن لا يتكلّم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدَّم بين يديه، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله، وعمله تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة ﷺ، ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسِّس ديناً غير ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا أراد معرفة شيء من الدين نظر فيما قاله الله والرسول ﷺ فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر، وبه يستدلّ، فهذا أصل أهل السنة))[1].

عاشراً: الاختلاف سبب الشرور والفرقة:

قال الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَـهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[2].

وقد بيّن النبي ﷺ بقوله: ((**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**))، قيل: من هم يا رسول الله، قال: ((**ما أنا عليه وأصحابي**))، وفي لفظ: ((**الجماعة**))[3] أي: هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

وعن حذيفة ﷺ قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كُنَّا في جاهِلِيَّةٍ وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: ((**نعم**)) .

قلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: ((**نعم وفيه دخن**))، قلت: وما دخنه؟

قال: ((**قوم يستنّون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**)).

. 7280

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 63/13 .

(2) سورة آل عمران، الآية: 105 .

(3) الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم 2641، وأبو داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، برقم 4596، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، برقم 3992، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، 364/2 .

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: ((**نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**)).

فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: ((**نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**)).

قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: ((**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**)).

فقلت:فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟قال:((**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**))[1].

قال الإمام النووي – رحمه الله -: ((وفي حديث حذيفة هذا: لزوم جماعة المسلمين، وإمامهم، ووجوب طاعته، وإن فسق، وعمل المعاصي: من أخذ الأموال، وغير ذلك فتجب طاعته في غير معصية، وفيه معجزات لرسول الله ﷺ، وهي هذه الأمور التي أخبر بها، وقد وقعت كلها))[2].

وعن عبد الرحمن بن يزيدَ، قال: صلّى عُثمان بمنىً أربعاً، فقال عبدالله [ابن مسعود]: صليت مع النبي ﷺ ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، ومع عثمان صدراً من إمارته ثم أتمَّها، ثم تفرَّقت بكم الطرق، فلوددت أن لي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين)).

وفي رواية أن عبد الله صلّى أربعاً! فقيل له : عِبْتَ على عثمان ثم صليت أربعاً ؟ ! قال : ((**الخلاف شرٌ**))[3].

ولا شكّ أن أمة محمد ﷺ لا تزال فيهم طائفة على الحق منصورة، لا يضرّهم من خذلهم أو من خالفهم حتى تقوم

---

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، برقم 7084، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، برقم 1847 .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، 479/12، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، 37/13

(3) أخرجه أبو داود في كتاب الحج، باب الصلاة بمنى، برقم 1960، والبيهقي في السنن الكبرى، 3/ 143. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، 1/ 550: ((صحيح))، وقال في السلسلة الصحيحة، 1/ 223: ((وسنده صحيح))، وأصل الحديث في صحيح البخاري، برقم 1084، ومسلم، برقم 695، وأما رواية: ((الخلاف شرّ)) فعند أبي داود كما تقدم.

الساعة؛لحديث معاوية ﷺ ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرّهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**))[1].

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين[2].

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب المناقب، باب: حدثنا محمد بن المثنى، برقم 3641، ومسلم بلفظه، في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم))، برقم 1037 .

(2) انظر: جامع الأصول لابن الأثير، 1/277-293، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 5/91-8، و19/76-83، و36/60، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني، 1/123-136، وفقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، للمؤلف، 1/369، و2/1059-1062 .